



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْقُرَى

لِلْعُلُومِ اللِّغَوِيَّةِ وَآدَابِهَا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد العاشر

رجب ١٤٣٤هـ / مايو ٢٠١٣م

قواعد النشر

- ١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها حسب المواصفات التالية:
 - أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).
 - ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩.٧ سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
 - ج. ترقيم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
 - د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.
 - هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعهده خطي موقع من الباحث / الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.
 - و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).
 - ٢- يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص ١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلاً (القحطاني والعبداني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).
 - ٣- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب (تحت خط) أو المقال (بين علامتي تنصيص)، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة ويوضع تحتها خط)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.
 - ٤- يمنح الباحث عشر مستلات من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.
- المراسلات:** ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- البريد الإلكتروني:** E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa
- حقوق الطبع:** تُعبّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.
- التبادل والإهداء:** توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب: ٧١٥، مكة المكرمة.
- الاشتراك السنوي:** خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.
- تنويه:** تصدر مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها بمسماها الحالي، بعد أن كانت جزءاً من مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، في مجلداتها (١-٢٠) الصادرة خلال الفترة (١٤١٩هـ - ١٤٢٨هـ) الموافق (١٩٩٩م - ٢٠٠٧م).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى لِلْعُلُومِ اللِّغَاتِ وَأَدَابِهَا

مجلة دورية علمية مُحَكَّمة نصف سنوية، تصدر عن جامعة أم القرى، لنشر الأبحاث العلمية الأصيلة في مجال اللغات وآدابها وفروعها المختلفة ذات الصبغة اللغوية، وفي أطرها النظرية والتطبيقية. وتُرَحَّبُ المجلة بنشر جميع ماله علاقة بما سبق، من مراجعات كتب، وتقارير أبحاث مُمَوَّلَة، وتوصيات مؤتمرات وندوات وأنشطة علمية أخرى، وملخصات رسائل جامعية، باللغتين العربية والإنجليزية، والتي لم يسبق نشرها، أو تقديمها للنشر لدى جهات أخرى، وذلك بعد مراجعتها من قِبَل هيئة التحرير، وتحكيمها من الفاحصين المتخصصين.

المشرف العام

د. بكري بن معتوق عساس

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

د. هاني بن عثمان ياسين غازي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبدالرحمن بن حسن العارف

هيئة التحرير

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد | أ. د. سعد بن حمدان الغامدي |
| أ. د. دخيل الله بن محمد الصحفي | د. محمد بن حماد القرشي |
| د. ظافر بن غرمان العمري | د. فهد بن محمد القرشي |
| د. عبدالله بن ناصر القرني | د. عفاف بنت جميل خوقير |
| د. مريم بنت عبدالهادي القحطاني | |

المحتويات

البحوث باللغة العربية :

- المعجم النسقي المحوسب
د. حسين بن علي الزراعي - د. عبد الرحمن بن حسن البارقي ٩ - ٥١
- دالية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه والنقد العربي - دراسة في المنهج
د. عبد الله بن عبد الرحمن بانقيب ٥٣ - ١٢١
- مفارقات نحوية في اطراد القاعدة وشدوذاها
د. إيهاب همّام همّام الشيوبي ١٢٣ - ١٩١
- حروف القلقة دراسة فيزيائية مخبرية
أ.د. سمير شريف استيتية ١٩٣ - ٢٣٨
- جماليات التضاد في خطبة قطري بن الفجاءة
د. رائدة محمود أخو زهية - د. ثناء نجاتي عياش ٢٣٩ - ٢٧٢
- الحجاج في الخطبة النبوية
د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي ٢٧٣ - ٣٥٢

البحوث باللغة الإنجليزية :

- The General Study Habits of Major EFL Students in King Khalid University and their Relationships With GPA, Gender and Certain Social Factors
Dr. Ismail Khalil Alrefaai & Salahud Din Abdul Rab & Muhammad Saiful Islam 9-63

المعجم النسقي المحوسب

د. عبد الرحمن بن حسن البارقي

أستاذ اللسانيات المساعد

بجامعة الملك خالد بأبها

د. حسين بن علي الزراعي

أستاذ اللسانيات المشارك

بجامعتي صنعاء والملك خالد بأبها

المعجم النسقي المحوسب^(*)

د. حسين بن علي الزراعي د. عبد الرحمن بن حسن البارقي

ملخص البحث

يسعى هذا العمل إلى رصد التَّسْقِيَّة والاطرادات الاشتقاقية من كل جذر، وإلى رصد مواضع كسر النسق تمهيداً لحوسبة كافة عناصر المعجم المولدة من الجذور، ويصب هذا العمل في الاتجاه الرامي إلى إيجاد تصور تسلسلي serializational يعمل بالتضافر مع التصور الاشتقاقي derivational ويسهم في تحقيق الكفاية الحوسبية computational adequacy للمعجم العربي. ولتحقيق هذه الاستراتيجية فإن البحث ينهض على مادتين عريضتين نعهما الموردين الأساسيين للمعجم النسقي المحوسب:

المادة الأولى: (لائحة الجذور المعجمية): قوامها ثمان وعشرون لوحةً ألفبائيةً تُحصي كافة الجذور الثلاثية الممكنة وغير الممكنة للغة العربية (الفقرة (٢) للتمثيل)) وتعد نواة لكافة الجذور الأخرى.

المادة: الثانية (بطاقة المورفيمات): صُمِّمت لتسهيل إحصاء كافة الإمكانات الاشتقاقية الممكنة من كل جذر كما هو مبين في (الفقرة (٢-١)).^١

dictionary systematic computerized The

Dr. Husain Ali Alzeraee

Associate Professor of Linguistics

Dr. Abdulrahman Hasan Albarqi

Assistant Professor of Linguistics

ABSTRACT:

This work aims at identifying the systematic ordains and sequentials derived from each Arabic root and to specify the system collapse required as a perquisite for computerizing the whole lexicon elements generated from these roots. The project also aims at establishing sequential and derivational conceptualizations that contribute in launching the computational adequacy for the Arabic lexicon. To achieve this strategy, the research builds on tow broad principles that are considered the key resources of computerized systemic lexicon:

The first principle is the list of lexical roots (the twenty-eight Arabic alphabets that include all possible and impossible trilateral roots in Arabic language (see paragraph 2 for an example)). These roots work as the main source of all other roots in Arabic.

The second principle is the (morpheme card) that it is designed to facilitate counting all possible derivations from each root (as shown in paragraph 2.1).

تقديم

عرف المعجم العربي المعاصر دراساتٍ معمقةً ونتائجٍ بحثيةً مهمةً منطلقة من أهداف ورؤى مختلفة، تجسدت في ظهور معاجم حوسبة تلي حاجة الباحث والدارس بمختلف مستوياته. ونظراً لضخامة المادة اللغوية من جهة، والطبيعة الاشتقاقية للجذور المعجمية، فإن أيًا من النظريات المعجمية لم تحقق الكفاية الوصفية ولا الشمولية المرجوة لعناصر الخزانة أو المدونة المعجمية المكونة من فرادات وعناصر معجمية ذات طبائع مختلفة.^٢

من جانب آخر فإن المعجم، كما هو معروف، مكونٌ غير مستقل تمامًا عن بقية مكونات النحو؛ فالمعجم موضوع للفونولوجية، وهو كذلك موضوع للمورفولوجية التركيبية، وموضوع للدلالة. ولزم عن كون المعجم موضوعًا لعدد من المكونات عدم استقلالية المعجم، وعدم استقلالية المكونات المذكورة نفسها عن المعجم. فالاستقلالية بعدٌ غير ممكن في كافة معاجم اللغات ولكنها في معجم العربية، على الخصوص، تمثل جوهر المشكلة الذي يعاني منه موضوع حوسبة المعجم العربي على مبادئ تتسم بالبساطة simplicity والاقتصاد economy والشمولية الإحصائية.

وبناء على حقيقة عدم الاستقلالية، يأتي هذا العمل في سياق البحث عن حلول ممكنة تمكن من حوسبة المعجم حوسبة كافية تستند على تصورٍ يهدف إلى تقليص عدم الاستقلالية دون إغفال لحضور المكونات الأخرى في المعجم. ويظل البحث عن تصورٍ مقبول لاستقلالية المعجم طموحًا ممكنًا لكنه غير وارد لحد الآن.

لقد عرف المعجم العربي الحوسب غنىً وتنوعًا في الأعمال المعجمية، وحققت هذه الأعمال تقدماً كبيراً للوصول إلى كفاية معجمية أدبية وحاسوبية. ويصب هذا

العمل في الاتجاه الرامي إلى إيجاد تصور تسلسلي serializational يعمل بالتضافر مع التصور الاشتقاقي derivational ويسهم في تحقيق الكفاية الحوسبية computational adequacy للمعجم العربي. ولتحقيق هذه الاستراتيجية فإن البحث ينهض على مادتين عريضتين نعهما الموردين الأساسيين للمعجم النسقي المحوسب^٣:

المادة الأولى: (لائحة الجذور المعجمية): قوامها ثمان وعشرون لوحةً ألفبائيةً تُحصي كافة الجذور الثلاثية الممكنة وغير الممكنة للغة العربية (الفقرة (٢) للتمثيل)) وتعد نواة لكافة الجذور الأخرى.

المادة الثانية: (بطاقة المورفيمات): صُممت لتسهيل إحصاء كافة الإمكانيات الاشتقاقية الممكنة من كل جذر كما هو مبين في (الفقرة (٢-١)).

بتطبيق المادة (الثانية) في (الأولى) فإننا نسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١ - حصر كافة الجذور العربية حسابياً وملء ثغرات النسق الجذري للغة العربية.
- ٢ - حصر كافة المورفيمات التي تحتاجها الجذور
- ٣ - تحديد المورفيمات التي يقبلها أو يمتنع عنها كل جذر لرصد خصائص النسق الصرفي.
- ٤ - معرفة الإمكانيات الاشتقاقية لكل جذر
- ٥ - حصر الوحدات المعجمية المشتقة من كل جذر من خلال إعداد بطاقة خاصة بكل جذر وإمكاناته الاشتقاقية
- ٦ - تبسيط التنقل في أحوال الجذر واشتقاقاته المختلفة
- ٧ - تمييز المورفيمات الاشتقاقية derivational عن المورفيمات الصُرفية inflectional
- ٨ - بناء قاعدة بيانات دقيقة لكل جذر واشتقاقاته الممكنة

- ٩ - تبسيط تصنيف الجذور في طبقات معجمية (أحداث، أوضاع، حالات)
- ١٠ - تبسيط معرفة الدخيل من الأصل
- ١١ - إعداد ذخيرة لغوية محوسبة لا تعتمد على فكرة الذخائر النصية المطوّلة
- ١٢ - تزويد اللغة العربية بنظام صرفي تسلسلي إلى جانب نظامها الصرفي الاشتقاقي يمكن من تيسير قضايا الترجمة الآلية وضبطها، بحيث يمكن أن يعمل بثلاثة موارد تمثل المعجم، ولائحة تضم الكلمة ومقابلها الأجنبي، ثم قاعدة الأمثلة والعينات المعالجة سلفاً (EBMT).^٤
- ١٣ - تخفيف العبء الحوسبي بالتنبؤ بإمكانات كل جذر عوضاً عن الاعتماد على الذخائر النصية التي تتطلب آلاف المدونات القديمة والحديثة^٥
- ١٤ - تبسيط الدراسات الرامية إلى تحقيق الكفائتين الوصفية descriptive adequacy والتفسيرية explanatory adequacy لقضايا اللغة العربية المختلفة
- ١٥ - تبسيط تعليم الميزان الصرفي العربي.
- ١٦ - معالجة كافة الجذور بطريقة موحدة ومنتظمة من شأنها أن تخرج لنا عملاً معجمياً يضم كافة المكونات اللغوية الأخرى، يتصف بالبساطة والاقتصاد والأناقة.
- ١٧ - تجاوز إشكال تعدد الأوزان الفعلية (وصلت في صوالة وأتول إلى ٢٧٣٠ وزناً) والأوزان الاسمية (وصلت في صوالة وأتول مثلاً إلى ٣٩٠ وزناً)
- ١٨ - تجاوز إشكال تعدد السوابق واللواحق (وصلت في صوالة وأتول مثلاً إلى ٣٤٢ سابقة ولاحقة).
- ١٩ - توخي الدقة في تبيان الخصائص اللغوية الصحيحة للكلمة عوض الخلط المقولي الذي ظهر في بعض المحللات الصرفية (كما في صوالة وأتول ص ١٤).
- ٢٠ - زيادة كفاءة المحللات الصرفية المتقدمة

٢١- ملؤ ثغرات النسق الصرفي الاشتقاقي، وتبسيط تمييز الاشتقاقات التي تخرج بمعنى مختلف عن المعنى المطرد في الاشتقاقات المختلفة من الجذر، وتحديد المواقع التي كسر فيها النسق بالإضافة إلى تبسيط الحصول على المفردات الخارجة عن النسق وتبسيط تعيين المرادفات، كما في الجدول التالي رقم (١):
جدول (١)

ترادف + خروج عن النسق

شَهَدَ	ضَرَبَ
شهد	ضُرب
شاهد	ضارب
مشهود	مضروب
شهادة	ضربة
شَهِدَ = عسل	ضَرَبَ = عسل

يتضح من خلال الجدول (١ أ) أن مادة [ضَرَبَ] بمعنى عسل خارجة عن النسق الدلالي المنطلق من الجذر (ضَرَبَ)؛ ويعد الحقل المملوء باللون الأصفر علامة لكسر النسق الدلالي المغاير للحقول الوردية، وكذلك الحال مع مادة [شَهِدَ] بمعنى عسل؛ إذ تظهر في حقل مملوء بلون أصفر دلالة على كسر النسق الدلالي للمادة [شَهِدَ]، وحيث أن مرادفات المادة [عسل] تظهر في أكثر من نسق، فعلى عملية الحوسبة أن تشير إلى الحقول التي تتقاطع فيها مرادفات لجذور مختلفة؛ وترصد عملية الحوسبة هذه المترادفات في الوقت ذاته الذي يظهر فيه كسر النسق بإشارات حاسوبية مختلفة من قبيل اختلاف اللون أو بوساطة التنبيه بصوت معين. ويقترح البرنامج أن يعد النظر في طبيعة الاشتقاقات التي كسرت النسق الدلالي من جهة أنها قد تكون دخيلة وليست عربية.

سوف تكون الفقرات الموالية توضيحا لما تقدم.

١- الرؤية والتمثيل ومنهج البحث

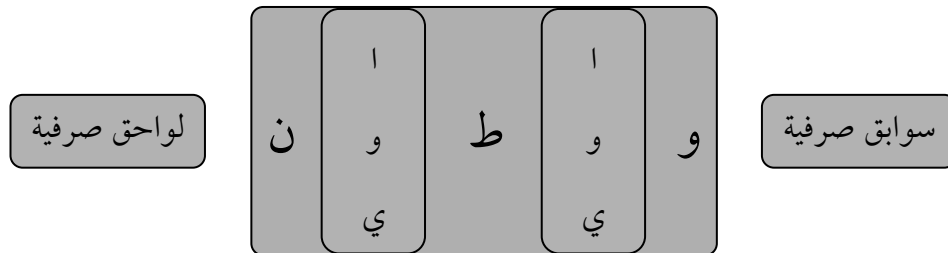
نقترح في هذا العمل تصوراً تسلسلياً serializational لصرف اللغة العربية يعمل إلى جانب التصور الاشتقاقي derivational وذلك بغرض تنظيم المعجم النسقي المحوسب الذي يبنى على المادتين اللتين أثبتناهما في مقدمة هذا العمل. وتبنى في هذا العمل كافة النماذج التوليدية التي تنطلق من فرضية أن المورفولوجية موضوع للمعجم سيلكرك (١٩٨٢) وأندرسون (١٩٨٢) وبيكر (١٩٨٨) وديشلو وويليامز (١٩٨٧)، وأن المورفولوجية قد لا تمثل مكوناً مستقلاً داخل النحو (الفاسي الفهري (١٩٩٠))، وإنما هي مكون تبدأ مدخلاته في المعجم وتنطبق خروجه في التركيب كما في نظريات الصرف الموزع عند هالي ومارنتز (١٩٩٦) والفاسي الفهري (١٩٩٧) وعبد الرزاق تورابي (٢٠٠٠) و(٢٠٠٦). بالإضافة إلى نظريات دمج البنية الموضوعية argument structure في التركيب كما في بيكر (١٩٨٨) وقريمشو (١٩٩٠) وهيل وكيزر (١٩٩٣).

نعد المعجم العربي في هذا العمل لائحة من الجذور يتم ملؤها بالمورفيمات الملائمة لكل جذر، ومما يلزم عن هذه النتيجة أن موضوع حوسبة المعجم مطلب مورفولوجي. ومن مشغلات الإطار النظري أن نطلق من تصور مورفيمي في عمليات الإلصاق المورفيمي لا من تصور صيغي. فالصيغة في هذا العمل مورفيم إلصاقي شأنه شأن اللاصقة (كما في الزراعي ٢٠٠٧). ويقوم هذا العمل على فكرة تعويض الصيغة مورفيمات، فالصيغة (كما في الزراعي ٢٠٠٧) والمتبنى هنا هي مورفيم، والهدف هو البحث عن الخصائص التسلسلية للمعجم العربي إلى جانب الخصائص الاشتقاقية. لتحقيق الأهداف المثبتة في المقدمة.

١- ١. فرضية استقلال المعجم عن الصرف وإفراغ المعجم من القواعد

إذا تأملنا النموذجين (٢ أ) و (٢ ب) ، أدناه، اللذين نوضح من خلالهما نمط العلاقة بين المعجم من جهة والوحدات النحوية أو الصرفية من جهة ثانية، فإن النموذج (٢ ب) وخلافاً للنموذج (٢ أ) يوضح نمط العلاقة بين المعجم الممثل في المربع والوحدات الصرفية في المستطيلات في اللغات ذات النظام التسلسلي (الإنجليزية على الخصوص). فنرى بوضوح أن المعجم (المربع) يضم الجذع (nation)، ويتصل بالمعجم من الخارج مستطيلاً يضم السوابق واللاحق؛ وعند تصنيف الجذع فإن التصريف لا يتم داخل المعجم وإنما خارجه بضم الزيادات إلى أول الجذع أو إلى آخره بطريقة تسلسلية من الخارج. وبناء عليه فإن المعجم يبقى مستقلاً عن الصرف في اللغات التي يعبر عنها النموذج (٢ أ)؛ فهذا الأخير يعد بمثابة قوالب صرفية تفرغ فيها الجذور والجذوع المخزنة في المعجم. إذاً، يعد الصرف في هذا التصور مكوناً مستقلاً أيضاً عن المعجم، ويتم تطبيق القواعد التي يتم بموجبها دمج لاصقة أو صيغة في جذر خارج المعجم في مستوى وجيهي inter face level بين المعجم والصرف (المزيد من الإيضاح في الفقرة الموالية). إن المعجم بهذه الصورة لا يتضمن قواعد ولا تنطبق عليه قيود الحوسبة بالمعنى الذي يتمتع به التركيب.^٦

(٢ أ)



prefixes

nation

suffixes

وخلافاً للنموذج (٢ أ) نجد أن النموذج (٢ أ) يتضمن عمليات صرفية داخل المعجم؛ فالزيادات تقع هنا داخل المعجم وخارجه أيضاً، وهذا يعكس لنا جيداً وضع المعجم العربي في علاقته المتداخلة مع الصرف.

١-٢. فرضية عدم استقلالية المكون المعجمي عن الصرفي

يوضح النموذج (٢ أ) نمط العلاقة بين المعجم والوحدات الصرفية في اللغة العربية؛^٦ فنرى بوضوح أن الوحدات الصرفية (سوابق ولواحق وأواسط) ممثلة داخل المستطيلات وهي أربعة مستطيلات: اثنان خارجيان يمثلان السوابق واللواحق، واثنان داخليان يمثلان الأواسط أو الحشويات التي تقع بعد فاء الجذر وعين الجذر. ويلزم عن هذا التمثيل أن الصرف مكوّن من مكونات المعجم في اللغة العربية وليس مستقلاً عنه كما في الإنجليزية.

لقد تم تقديم اقتراحين لمقاربة مشكل تنظيم العناصر المعجمية داخل المعجم: الأول ورد في الزراعي (٢٠٠٧) ويتضمن ضرورة إخراج الصرف من داخل المعجم. ويستند هذا الاقتراح إلى تصور عدد من اللسانيين للمعجم؛ بحيث تُنظر للمعجم على أنه مجرد مستودع للعناصر المعجمية وأنه عبارة عن لائحة للعناصر المعجمية، وهذه العناصر لا يحكمها نظام^٨. وبموجب هذا الافتراض اقترحنا أن يتم تصريف الجذور

المعجمية خارج المعجم؛ فإذا أردنا أن نشق "منشار" من الجذر "نشر" فإننا ندمج "نشر" في الصيغة "مفعال" المنتظمة في الصرف خارج المعجم لنحصل على "منشار". ونظرا لعدم وضوح نتائج هذا المقترح المرتبط بإدراج الجذور في الصيغ؛ فسوف ندافع في هذا العمل عن المقترح الثاني المتضمن لفكرة أن المعجم العربي، بطبيعته، يضم صُرفيات morphemes لا يمكن حسابها خارج المعجم؛ ويلزم عن هذه الفكرة تبني فرضية تعمل على تنظيم الصُرفيات النحوية داخل المعجم لا خارجه وفق هندسة تولد العناصر المعجمية توليدا تسلسليا لا اشتقاقيا.^٩ ويلزم عن هذا أن المعجم حاسوبي أيضا كالتركيب وتنطبق فيه قيود صرفية ونحوية تعد إلى جانب الجذور دخلا input لبناء الكلمة داخل المعجم ما دام أن هذا الأخير ميدان واسع لانطباق القواعد الصرفية والنحوية.

٢. لائحة الجذور المعجمية وبطاقة المورفيمات

اقترحنا في الزراعي (٢٠٠٧) لوحات معجمية للجذور الثلاثية تمثل مدخلا للمعجم النسقي الحاسوبي مستمدة من أفكار العلامة إدريس السغروشي (١٩٩٨) و(١٩٨٧) (١٩٨٨) و(١٩٩١). يتألف المعجم الحاسوبي من ثمان وعشرين لوحة (بعدد الحروف الهجائية) ابتداء من لوحة حرف الألف إلى لوحة حرف الياء. تضم كل لوحة لائحة من الجذور الثلاثية المهمة والمستعملة، الذي أتت به الرواية أو الذي لم تأت به الرواية. وتشغل كل لوحة على النحو المبين في لوحة حرف الألف.

تتألف لوحة "الألف" مثلا مثل بقية اللوحات من شريطين للحروف الأبجدية: شريط عمودي مرتب من الألف إلى الياء وشريط أفقي مرتب من الألف إلى الياء على النحو الواضح في كل لوحة من اللوحات المثبتة في الزراعي (٢٠٠٧). فالحرف الأول والثالث متغيران والثابت هو الثاني فقط. نبدأ بالحرف الأول في الشريط

العمودي وهو الألف الذي يتقي الحرف الثاني وهو الألف أيضاً، والحرف الثالث في الجذر (من الألف إلى الياء) على هذا النحو المبين في لوحة الألف من قبيل ما نراه في (٣):

(٣)

[أ أ أ] [أ ب] [أ ت] [أ ث] [أ ج] ... إلى [أ ي]

هذه الجذور نضع أمامها العلامة (غ) في المربع المخصص وتعني أنها غير موجودة كما في الجدول (٦). ثم نتقل إلى الحرف الثاني في الشريط العمودي وهو الباء ونمرره بنفس الطريقة مع حرف الألف ثم مع الحرف الثالث لنحصل على جذور من النوع (٤):

(٤)

[ب أ أ] [ب أ ب] [ب أ ت] ... [ب أ س] ... إلى [ب أ ي]

وإذا كان الجذر موجوداً كما في الصورة (٥):

(٥)

[ب أ س]

فإننا نضع أمامه الحرف (م) المكبّر في المربع المخصص له للدلالة على أن هذا الجذر موجود كما هو موضح في لائحة الجذور (٦).

(٦)

أ	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
أ	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ب	ب	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م

عملنا بعد الفراغ من إعداد اللوحات على تحديد ما هو موجود منها ورمزنا له بـ(م) للدلالة على أن الجذر موجود معتمدين في هذا على معجم المنجد في صيغتيه (٣٩) و(٤٠). فاصطفينا من كل الجذور عددًا محدودًا من الجذور يصل إلى الثلث من مجموع الجذور المثبتة.^{١٠}

٢- ١ بطاقة الجذر المعجمي وطرق اشتغالها

تم إعداد بطاقة الجذر المعجمي على النحو المين في (٧):

(٧)

[حدث (...) وضع (...) حالة (...)]

ف			ص			س		
أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
أت	أت	أت	أت	أت	أت	أت	أت	أت
أن	أن	أن	أن	أن	أن	أن	أن	أن
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي
ين	ين	ين	ين	ين	ين	ين	ين	ين
يت	يت	يت	يت	يت	يت	يت	يت	يت
ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
اس	اس	اس	اس	اس	اس	اس	اس	اس
اف	اف	اف	اف	اف	اف	اف	اف	اف
ان	ان	ان	ان	ان	ان	ان	ان	ان
ات	ات	ات	ات	ات	ات	ات	ات	ات
ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط	ا-ط

فالبطاقة (٧) تتضمن صورة الجذر [...]ف...ع...ل...] وله أربعة فضاءات: فضاءان خارجيان عن يمين فاء الجذر ويسار لام الجذر، وفضاءان داخليان بعد فاء الجذر وعين الجذر تبعاً. تظهر في هذه الفضاءات كافة المورفيمات التي يمكن أن ترد في كل فضاء. ونجد في رأس كل فضاء مورفيماً شريطاً يتضمن العنوان المقولي لكل مجموعة مورفيمات: فالمورفيمات ذات الطبيعة الفعلية (التي تولد الأفعال من الجذور) عنوانها المقولي [ف]، والمورفيمات ذات الطبيعة الصّفية (التي تولد الصّفة) عنوانها المقولي هو [ص]، في حين أن عنوان المورفيمات ذات الطبيعة الاسمية هو [س]. وهذه المقولات الثلاث تظهر في كل فضاء من فضاءات الجذر الأربعة. وفي رأس البطاقة نضع علامة مناسبة أمام الطبقة التي ينتمي إليها الجذر (حدث) أو (وضع) أو (حالة).
تشتغل بطاقة الجذر المعجمي بموجب عدد من المبادئ على النحو الآتي الوارد في (٨):

(٨)

- أ- عند انتقاء المورفيم يراعى الطبيعة المقولية للمورفيم الأول.
- ب- الانتقاء من اليمين إلى اليسار (قيد الاتجاه من اليمين إلى اليسار)
- ت- عدم العودة للخلف (قيد الاتجاه من اليمين إلى اليسار)
- ث- الانتقاء لمورفيم واحد على الأكثر من كل عمود مقولي
- ج- تجاهل الشكل والحركات وكافة القضايا الناتجة عن تحول صوتي

٢-٢ استراتيجية بطاقة الجذر المعجمي

لبطاقة الجذر المعجمي استراتيجيات نعتقد أنها قادرة على تقديم حلول للعديد من مشاكل التنظيم المعجمي والصرفي للغة العربية: فبموجب المبدأ (٨أ) يُعرف من البداية نوع المقولة المعجمية التي تنتمي إليها الكلمة المنتقاة: فإذا أردنا انتقاء الوحدتين المعجميتين "انتصر" و "انتصار" فإننا نتقي الأولى انطلاقاً من مورفيم (ان) السابقة prefixe

الواردة تحت المقولة (ف) في الفضاء الخارجي الأيمن، ومنتقي الثانية انطلاقاً من مورفيم (ان) الوارد تحت المقولة (س) من نفس الفضاء؛ إذ تعد السوابق في هذا العمل رؤوساً فضلاتها الجذوع المعجمية بمفهوم الرأسية في الأدبيات التوليدية كما في سيلكرك (١٩٨٢) وأندرسون (١٩٨٢) وبيكر (١٩٨٨) وديشلو وويليامز (١٩٨٧) وقرميشو (١٩٩٠).^{١١}

وبموجب المبدأ (٨ب) يبدأ الانتقاء من المورفيمات القصوى في اليمين (السوابق prefixes) فالتالي يليها. ويؤكد المبدأ (ت) المبدأ (ب) بعدم العودة إلى الخطوة السابقة في الانتقاء؛ فالعلاقة بين المورفيمات محكومة بعلاقة رتببة صارمة انظر الفقرة (٣) وتفرعاتها. وبالنظر إلى المبدأ (ث) فإنه لا يصح انتقاء أكثر من مورفيم من كل عمود مقولي من الأعمدة الثلاثة الواردة في كل فضاء. أما المبدأ (ج) فتقلص بموجبه مساهمة الفونولوجية في المعجم لصالح حضور أكبر لمساهمة المورفولوجية في المعجم (انظر الفقرة (٣) وتفرعها (٣-٢-٢)).

٢- ٢- ١ الانتقاء والحفاظ على طبيعة المقولة المعجمية

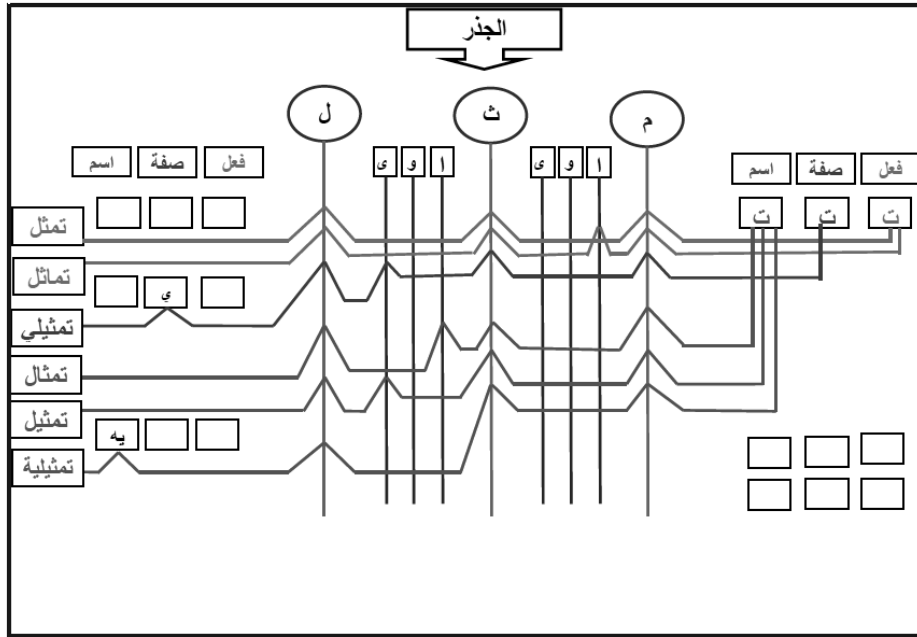
نعد المبدأ (٨أ) أعلاه (المتصل بالحفاظ على الطبيعة المقولية) مبدأ ضروريا في هذا العمل؛ إذ يمكن بواسطته تقديم حلول لعدد من المشاكل التي اعترضت حوسبة التركيب في نموذج س- خط على سبيل المثال؛^{١٢} فالمبدأ (٨أ) في تصور البطاقة يعمل على تحديد الاختيار المقولي منذ البداية، وتستمر المقولة في كافة تحولاتها التالية محافظة على قيد السلامة المقولية. فإذا كنا سنشتق الصفة من الجذر "كتب" فإن المبدأ (٨أ) يعمل على مراقبة سلامة هذا الاختيار حتى نهاية تصريف الجذر، ونعد هذا الإجراء من متطلبات التصور التسلسلي للغة العربية، وبدونه فإن مشكلة الصرف العربي تظل مشكلة اشتقاقية بحتة، وحينما نقول اشتقاقية فإن موضوع القواعد غير المطردة يكون حاضراً بقوة. لنحلل المثال (٩):

(٩ أ)

- أ- تمثّل - تماثّل - تماثلت - تماثلا - تماثلوا - تماثلن (التاء مقولة فعلية)
 ب- تمثّل - تماثلت - تماثل - تماثيل - تمثيل - تمثيلة - تمثيلات (التاء مقولة اسمية)
 ج- تمثيليّ (التاء مقولة وصفية)

ويظهر المخطط (١٠) سيرورات تطبيق البادئ رقم (٨) التي تنظم خروج الاشتقاقات المتحصلة من الجذر.

الشكل (١٠)



فاشتقاق العناصر المعجمية من الجذر "مَثَل" في الشكل (١٠) جاءت انطلاقاً من المورفيم "ت" الوارد في الفضاء الأيمن من الجذر في البطاقة (٧)، إلا أن مورفيم "التاء" ليس ذا طبيعة واحدة: فهو في (٩أ) مورفيم ينتمي إلى مقولة "الفعل"، ويؤدي انتقاء هذا المورفيم إلى ظهور كافة الاشتقاقات التي يكون رأساً لها.^{١٣} ويلزم عن هذا أن كافة

المورفيمات الأخرى الواردة في وسط الجذر ونهايته مورفيمات تنتمي إلى نفس مقولة "الفعل"؛ فالمورفيم "أ" في تماثل منتقى من عمود المقولة الفعلية الوارد بعد "فاء" الجذر "مثل" وهكذا. أما "ت" في بداية العنصر "تمثل" في (٩ب) فإنها "اسمية" وليست "فعلية" ولذا وجب أن تقرأ [تُمَثَّل] لا [تُمَثَّل]؛ والمورفيم "أ" يعد مورفيما اسميا بخلاف نظيره في (٩أ) و(٩ج). وفي (٩ج) تُنتقى "ت" من عمود المقولة الوصفية، وتتوارد المورفيمات الوصفية التي تحافظ على وصفية الكلمة منذ البداية؛ فـ"ياء" للاحقة للجذر منتقاة من عمود الصفة الوارد في الفضاء الأيسر ليم بموجبها اشتقاق الصفة "تمثيلي" من الجذر "مثل". ويوضح الجدول التالي (١١) طريقة انتظام العناصر المعجمية الموسعة بالمورفيمات من الجذر [كتب] تحت المقولة المعجمية الموافقة لها (فعل-صفة-اسم).

(١١)

المورفيمات الاسمية	المورفيمات الصفية	المورفيمات الفعلية
١ - كتابة	١. كَاتِب (و/ي ن)	١ - كَتَبَ
٢ - مكتب	٢. مكتوب (و/ي ن)	٢ - كُتِبَ
٣ - مكاتب	٣. مكتِب (و/ي ن) (قياس)	٣ - أَكْتَبْهُ
٤ - مكتبة	٤. مُكْتَب (و/ي ن) (قياس)	٤ - أُكْتِبْ
٥ - مكتبات	٥. مُكْتَب (و/ي ن) (قياس)	٥ - كَتَبْهُ
٦ - كتاب	٦. مُكْتَب (و/ي ن) (قياس)	٦ - كُتِبْ
٧ - كُتِبْ	٧. مكَاتِب (و/ي ن)	٧ - كَاتِب
٨ - الكُتَاب (مكان)	٨. مكَاتِب (و/ي ن)	٨ - كُوتِبْ
٩ - كتاب (جمع)	٩. متكَاتِب (قياس)	٩ - تَكَاتِبْ
١٠ - مكيتب	١٠. ؟	١٠ - تَكُوتِبْ
١١ - مكتيبة	١١. مكْتِب (و/ي ن)	١١ - اكْتَبْ
١٢ - كتيب	١٢. مكْتَب (و/ي ن)	١٢ - اكْتَبْ
١٣ - كيتيب	١٣. مستَكْتِب (و/ي ن)	١٣ - استَكْتِبْ
١٤ - كويتب	١٤. مستَكْتَب (و/ي ن)	١٤ - اسْتَكْتِبْ
	١٥ - ---ي (النسب)	١٥ - أ/ن/ي/ت ---
		١٦ - الأمر

ونبين هنا أن اللواصق الواردة في هذا الجدول ليست كل ما في العربية من لواصق ولكنها عينة بسيطة مقترحة لطرق الزيادة.

٢-٢-٢. فرضية تعميم المورفيم وتوسيع الجذور

تبنى في هذا العمل فرضية مورفيمية محضة لتوسيع الجذور؛ بمعنى أننا سنعوض الصيغ مورفيمات في هذا العمل، ف"منشار" ليست مؤلفة من الجذر "نشر" والصيغة "مفعال" كما هو في الزراعي (٢٠٠٧) وإنما هي كلمة مؤلفة من المورفيم القِطعي المفصّل "م" حيث: "م" منتقى من الفضاء الاسمي الأيمن ليلتصق بالجذر "نشر" ثم يدمج مورفيم "أ" المنتقى من الفضاء الأيسر لعين الكلمة كما هو موضح في (١٢).^{١٤}

(١٢)

[م]ن ش [أ] ر.

يتم ملء النسق الاشتقاقي في تصورنا للمعجم الحاسوبي بزيادات (سألتمونيها) في مواقع محددة من كل جذر لا تزيد عن أربعة مواقع على نحو ما في (١٣):

(١٣)

١- [...] ف ٢- [...] ع ٣- [...] ل ٤- [...]

يعد الموقع [١] والموقع [٤] موقعين خارجيين تحتلهما اللواصق الصرفية السوابق واللواحق تبعاً ويمثلان واجهة الصرف مع التركيب في عملية بناء الكلمة. ويعد الموقع [٢] و [٣] موقعين داخليين تحتلهما مورفيمات العلة في الغالب وتمثل واجهة الصرف مع المعجم. وفي الغالب يحتل الموقع رقم [١] في النموذج (١٣) سوابق محددة من قبيل (س) أو (أ) أو (ت) أو (م) أو (ن) أو (ي). يحتل الموقع رقم [٤] نَظٌّ من اللواحق (ة) أو (ن) أو (هـ)، أما الموقعان الداخليان [٢] و [٣] فيتشتر

فيهما في الغالب حروف العلة (ا) أو (و) أو (ي) وهما موقعان للصرف الاشتقاقي اللاتسلسلي في نظام الصيغ، ونطمح أن يكون تسلسليا في هذا العمل المؤسس على نظام المورفيمات لا الصيغة، وعادة ما تُحدث الزيادة في هذين الموقعين مشاكل صرفية قد تحرق بعضها قيود النسق الصرفي.^{١٥} أما زيادة العلامات المتصلة فتقع دائما في الموقع [٤].

تعد هذه الزيادات من قبيل التوسيعات التي تطرأ على الجذور؛ بمعنى أننا لا نولد بموجب هذه التوسيعات صيغا جديدة على الثلاثين صيغة المحددة في انشطار الفتحة (في أخطوط الثلاثي وأخطوط الرباعي) وإنما نحصل على توسيعات لكل جذر على النحو الذي بيناه سابقا.^{١٦} وإذا افترضنا أن هناك عددا محددا من التوسيعات التي يحصل عليها كل جذر فإننا نتنبأ بعدد الجذور الموسعة أيضا وهو ما نعهده أساس ذخيرة المعجم المحوسب.

٣. المورفيم في مقابل الصيغة الصرفية

تعد الصيغة موضوعاً رياضياً في النظام الصرفي العربي بمعنى أنه لا وجود له في الاستعمال الواقعي للغة، وخلافاً للصيغة المورفيم أو الزيادة التي تعد مكوناً من مكونات الكلمة المستقلة.^{١٧} بناء على هذه الحقيقة فإننا نقترح في هذا العمل تصوراً تسلسلياً لصرف اللغة العربية نفترض له أن ما يقابل مورفيم "er" الإنجليزي في كلمة writer هو مورفيم "ا" في كلمة "كاتب" لا الصيغة "فاعل". ومما يلاحظ في هذا التصور أننا نتحدث عن مقابل ملموس للمورفيم الإنجليزي عوضاً عن المقابل المجرد الذي يسمى صيغة. كما أننا نقابل مورفيماً بمورفيم ولا نقابل مورفيماً بصيغة. ومثل هذا يقال في مورفيم الجمع "s" في lions حيث نفترض أن ما يقابله هو مورفيم "و" في أسود لا صيغة "فُعُول".^{١٨}

إن تعويض الصيغة بمورفيم لا يحدث فروقا على مستوى إحالة العناصر الصرفية طالما وأن المعلومات الإحالية المدجة على المورفيم لم تتغير ولا تختلف عن المعلومات المدجة في الصيغة. وكما أن المعلومات المدجة في السوابق واللواحق ثابتة فإن هذه الآلية تعمل على تثبيت مداليل إحالية على مورفيمات الأواسط بدلا من تثبيتها على الصيغ؛ فالمداليل المثبتة على صيغة "فاعل" كالترج في "كاتب" والحال في "جالس" والحرقة في "سائق" والتأنيث في "طالق" وغيرها يمكن نسخها على المورفيم "أ" في كل ما ورد. وإذا ما أثير تساؤل عن كفية التعامل مع مورفيمات غير مستقلة أو متصلة كالتي تعاملنا معها من قبيل: "م" في "منشار"، (خلافا للواحق "وا" و"أن" أو "ة" التي يسهل إلصاقها تسلسليا في نهاية الجذر لأنها مستقلة ومتصلة)، فإننا نقترح هيكلية للمورفيمات المؤلفة من أكثر من فونيم من قبيل الزيادات المتصلة بكلمة "مناشير" أحدها "م" قبل الجذر والثاني "أ" بعد فاء الجذر والثالث "ي" بعد عين الجذر على النحو الموضح في الفقرة الموالية.

٣- ١. القطع المورفيمي segment وتعويض الصيغة

إذا تأملنا المثال الوارد في (١٢) الذي نعيده في (١٤):

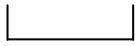
(١٤) أ- [م] نش [ا] ر

ب- [م] ن [ا] ش [ي] ر

فإننا نلاحظ أن الجذر "نشر" في (١٤) قد زيد بـ [م] قبل فاء الجذر و بـ [ا] في الوسط بعد عين الجذر. فتمثل الزيادتان معا [م] و [ا] قطعاً مورفيميا يحملان الدلالة على معنى الآلة التي كانت تحملها الصيغة "مفعال". وفي (١٤) ب تمثل الزيادات [م] و [ا] و [ي] قطعاً مورفيميا مدجا بالدلالة على الجمع الذي تعبر عنه الصيغة "مفاعيل"

في نظام الصرف الاشتقائي. وهذه الزيادات وإن كانت غير متصلة مثل الزيادات التي تقع سوابق أو لواحق إلا أنها تعد مورفيماً أيضاً طالما وأنها تحافظ على مقولة الكلمة بموجب المبادئ المنظمة للإصافها في الجذر. وتوضيحاً لنمط العلاقة القطعية نقدم الخطاطة (١٥):

(١٥)

أ- [م] نش [ا] ر


ب- [م] ن [ا] ش [ي] ر


يراعى في كل عمليات الدمج القطعي المبادئ الواردة في (٨)، بالإضافة إلى الاحترام الصارم لقيدي المحلية *localité* والاتجاه *directionnalité* بالمعنى المحدد في نظرية الربط والعمل *théorie du charme et du gouvernemet* عند التاكي محمد (١٩٩٧ ص: ٢٩) Taki Mohammed المستلهمة من أعمال (Kaye, lowenestamm et Vergnayaud (1990).^{١٩} فقيد المحلية يعني أن المورفيمات (كل مورفيم) قارة في المحل المولدة فيه، ويعني قيد الاتجاه أن العمليات الانتقائية للمورفيمات تتجه من اليمين إلى اليسار فقط.

٣- ٢. الانتقاء وبناء المورفيمات المتصلة والمورفيمات المنفصلة

للمورفيمات خصائص انتقائية تركيبية وقد تكون صوتية: فمن الانتقاء التركيبي انتقاء المورفيم لمورفيم ومثاله: انتقاء مورفيم تاء التأنيث "للمورفيم ألف الشنية" في "كتبنا" أو انتقاء مورفيم ياء النسب "ي" لتاء التأنيث المربوطة "ة" في "شافعية"...

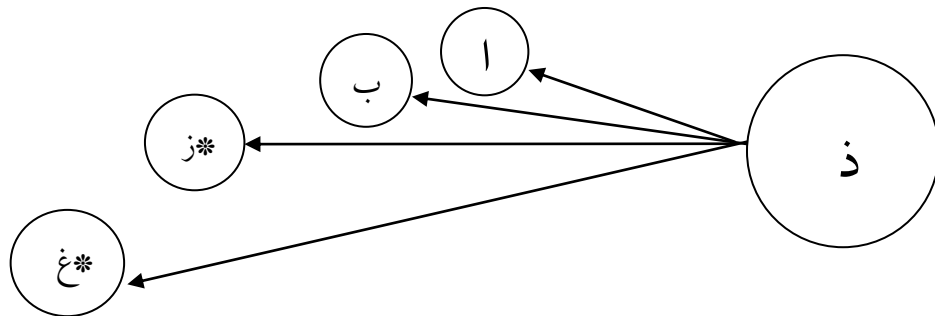
ومن الانتقاء الصوتي انتقاء مورفيم لفونيم من قبيل انتقاء مورفيم "ان" المطاوع للفونيم "ت" في سياق "انتصر" وانتقاء المورفيم "ان" أيضا للفونيم "ك" في "انكسر" وهكذا. فكل مورفيم ينتقى عددا محدودا من المورفيمات أو الفونيمات التي هي بمثابة سمات مدمجة فيه منذ البداية. (نفصل هنا بالأمثلة الطبيعة التركيبية للمورفيمات) كما في "اضطرب"؛ حيث هي مؤلفة من مورفيم مركب غير متصل "اط" كما هو مبين في (١٦)

(١٦)

[أ]ض[ط] ر [ب]

وذلك لتجاوز المشاكل الصوتية والتحويلات الأبوفونية من جهة وتأكيد الاطراد والتسلسل في بناء المورفيمات.^{٢٠} نأمل أن يقدم هذا التصور فرصة لمتابعة هذا العمل وتطويره، ونأمل أيضا أن يمهد هذا العمل للمعجم الصوتي الانتقائي الذي نجد له بعض الاستعمالات المحوسبة؛ بحيث يحدد لكل صوت (وبموجب السمات المدمجة فيه) عدد محدود من الأصوات التي ينتقيها؛ فنعرف الكلمة اللاحقة أو الخاطئة (السيئة التكوين) بمجرد الخرق في إحدى عمليات الانتقاء. إذا أخذنا ، على سبيل المثال، حرف (ذ) فإنه يسمح له بانتقاء (ا أو ب) مثل "ذاب" و"ذب"، مثلا، في حين أنه لا يسمح له بانتقاء (غ أو ز) كما يتضح في النموذج التالي المبين في (١٧):

(١٧)



فانتقاء الحرف (ذ) لكل من (ا أو ب) يعد سليماً بينما يؤثر مؤشر صوتي أو بصري على عدم سلامة انتقاء كل من (غ أو ز) المسبوقتين بالنجمة (*) لعدم سلامتهما. وتطبق هذه المبادئ الانتقائية على عملية الانتقاء المورفيمي لما يعقبها كإجراء صوتي لتمكين الالتحام بين مورفيم ومورفيم أو مورفيم وصوت من أصوات الجذر الصامتة.

٤. الإلصاق التسلسلي

في النظام التسلسلي المقترح يكون الحديث عن إلصاق للمورفيمات لا عن اشتقاق؛ فما يمكن أن نحصل عليه بعملية اشتقاق نحصل عليه في هذا العمل بعملية إلصاق انتقائي للمورفيمات المبينة في البطاقة (٧). وتبدأ عمليات الإلصاق بمورفيمات الفضاء الأيمن للجذر ثم بمورفيمات الفضاءات الأخرى. وفي خطوة مكملية نعد عملية إلصاق المورفيمات في المواقع المحددة عمليات تسلسلية تتموقع في نظام رتبي صارم مثل لواصق اللغات التسلسلية.

٤- ١ الإلصاق وسط الجذر ووجيهة المعجم

بيننا في الزراعي (٢٠٠٧) أن ميدان انطباق العمليات الصرفية هو وسط الجذر بالنسبة للصرف الذي يكون في وجيهة مع المعجم، وتنطبق العمليات الصرفية الأخرى في الفضاءين الخارجيين للجذر، وتكون العمليات الصرفية من هذا النوع في وجيهة مع التركيب. وفي هذا العمل حاولنا أن نقدم تصوراً فيه تلصق المورفيمات المحددة في وسط الجذر بصورة تسلسلية كما هو الحال بالنسبة للمورفيمات التي تلصق خارج الجذر. وفي الغالب ينشأ عن الإلصاق في الوسط تحويلات صوتية من قبيل التحويلات الصرفية الأبوفونية *apophonic morphology* مما يعد من اهتمام المقاربات الفونولوجية لعمليات إقحام العلة في الجذر في النماذج المؤطرة

بالنظرية الأمثلية *optimal theory*،^{٢١} إلا أن برنامج المعجم النسقي كما نقدمه في هذا العمل يكتفي برصد ما تنتجه اللاصقة من مفردات مولدة من الجذر دون النظر في قواعد التحويلات الأبوفونية؛ فهذا العمل هو ذو طبيعة معجمية، الغاية الأولى منه هو ملء ثغرات النسق المعجمي واستحضار كافة عناصر الخزانة أو المدونة المعجمية بطرق حسابية.^{٢٢}

٤- ٢. الإلصاق في الأطراف ووجيهة التركيب

يعد بناء الكلمة من الأطراف بناء تركيبيا محضاً؛ فالجذر يزود بمورفيمات التطابق كالعدد والجنس والشخص ومورفيمات الزمن والتعدية والتلزم وغيرها، وهي مورفيمات تنقل المفردة من المعجم إلى التركيب، ويظهر هنا بوضوح عدم استقلالية الصرف عن المعجم وعن التركيب ونعده هنا القنطرة التي تربط بين المعجم والتركيب. وفي هذا العمل تعد المورفيمات الخارجية التي تقع في الفضاء الأيمن من الجذر هي رؤوس العناصر المعجمية؛ إذ تعمل هذه الرؤوس على انتقاء الجذور وانتقاء كافة الوحدات المولدة من الجذور. فالمورفيم (أ) الوارد تحت المقولة (س) في الفضاء الأيمن هو المولد للجمع "أولاد" من الجذر (و ل د). كما أن المورفيم (أ) الوارد تحت المقولة (ص) في الفضاء الأيمن هو المولد للصفة "أجل" من الجذر (ج م ل) وهكذا. فمن الواضح أن مورفيمات الفضاء الأيمن تعمل بمثابة رؤوس تنتقي الجذور والوحدات المولدة من الجذور بطريقة نسقية مطردة. ومن بين ما يناط بعمل الرؤوس أن الانتقاء الأول للرأس يحدد مسار العناصر المولدة من الجذور؛ فبانتقاء المورفيم أ المولد تحت المقولة (س) في الفضاء الأيمن فإن تشقيق الجذر (و ل د) يتوقف عند "أولاد" فلا ترد أية عناصر أخرى مشتقة عن هذا الجذر ولا تلحق به أي من اللواحق الواردة في الفضاء الأيسر من الجذر وهكذا.

٥. دمج المعلومات في المورفيمات

بعد الانتهاء من عمليتي حصر الجذور المستعملة في اللوحات الثماني والعشرين، والانتهاء من تحديد كافة العناصر والوحدات المولدة من الجذور الممكنة بموجب عمليات انتقاء مورفيمي، تتضح السمات (الظاهرة أو الأقل تجريدا) النحوية والدلالية المدجة في المورفيمات منذ البداية. و ومن السمات المكتسبة ما هو مجرد عميق، وعلى آلة العمل هذه أن تقوم بدمجها وتحديد قيمها النحوية والدلالية: إن إصاق المورفيم "أ" الوارد تحت المقولة (ص) بعد فاء الجذر (ع م ل) يولد لنا الوحدة "عامل" التي تجمع على "عاملون" أو "عمّال"، وبموجب السمات النحوية المدجة منذ البداية في المورفيم "أ" وهي إما سمة [ص] التي تتضمن سمات مجردة من قبيل: [أسم فاعل] و [حال] و [تدرج] نحصل على "عامل" الأولى، و إما سمة [استمرار] التي تعطي "عامل" الثانية. أما "عامل" التي تجمع على "عوامل" فإنها موسعة بمورفيم (ا) الوارد تحت المقولة (س) لا (ص) وهي مدجة بسمة [س] التي تتضمن سمات مجردة من قبيل: [- اسم فاعل] و [- حال].

٥- ١ دمج المعلومات النحوية

جميع المورفيمات تقريباً مدجة بمعلومات نحوية مثل المعلومات المحيلة على التطابق في الشخص أو العدد أو الجنس أو التعدية أو التلزم بالإضافة إلى المورفيمات المحيلة على الزمن مثل مورفيمات (أنيت) وغيرها. وبالنسبة للمورفيمات الخارجية فإن معلوماتها أو سماتها النحوية قارّة، خلافاً لسمات المورفيمات العلية التي تلصق في وسط الجذر، فهذه الأخيرة متغيرة نسبياً؛ فالمعلومات التي هي مدجة في مورفيم "أ" الوارد تحت المقولة (ص) بالنسبة لـ "كاتب" لا نتوقع أنها كذلك تماماً بالنسبة لـ "حامل"

و"طالق"؛ حيث نقترح بالنسبة لهما أن تدججا بسمه نحوية أخرى تخصص الجنس المؤنث [تأنيث]، وهذه السمة ليست مطردة في كل "أ" بل هي عارضة في عدد من الألفاظ الخاصة.^{٢٣}

٥- ٢ دمج المعلومات الدلالية

تعد عملية دمج المعلومات الدلالية في المورفيمات أكثر تعقيدا من عملية دمج المعلومات النحوية؛ حيث تتصف هذه الأخيرة بالثبات والاستقرار وبالمحدودية أيضا، أما المعلومات الدلالية فمتنوعة وغنية وغير قارة. لكننا غير بعيدين عن رؤية ملائمة لحوسبة المعلومات الدلالية في المورفيمات إذا ما تبيننا النظريات التقليدية المعروفة في أبحاث اللسانيات التوليدية، وأبرز هذه النظريات نظرية التفرع المقولي subcategorization عند شومسكي ونظريات الدلالة التوليدية عند (كاتز وفودور وبوستل) ونظريات أنصار الدلالة التصورية عند جاكندوف فيما يتعلق بتمثيل المعنى في الذهن من خلال السمات الدلالية،^{٢٤} فهذه الأخيرة تعين على إيجاد حلول للتنبؤ بإمكانات الجذر انطلاقا من السمات الدلالة للمورفيم. وتبنى نظريات التفرع المقولي (قريمشو ١٩٩٠) والفاسي الفهري (١٩٨٦) بالنسبة للبنية الموضوعية الأولية argument structure للجذور من قبيل: "ضرب" حيث تدمج بمعلومات تخص التعدي واللزوم وهي معلومات دلالية قد تكون ذات طبيعة تركيبية (في بعض الأحيان)؛ بحيث نولد منها "ضرب" المتعدية و"ضرب" في المتعدية بواسطة الحرف،^{٢٥} بالإضافة إلى "ضرب" المدجة بمعلومات دلالية محضة في عبارة "ضرب" مثلاً. وهذه المعلومات لا تدمج في مورفيم لاصقي بل تدمج في الجذر نفسه الذي هو في هذا التصور مورفيم لكنه لا يعد صيغة.

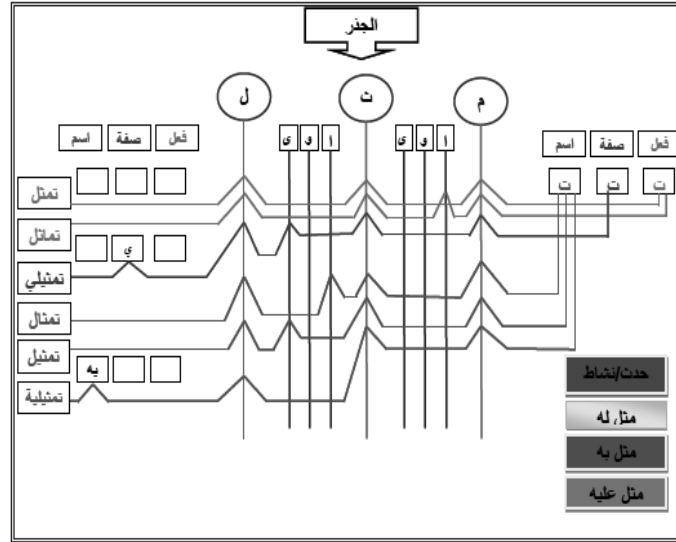
ومن الأمثل أن نرد المعلومات الخاصة بالتعدي واللزوم إلى المكون التركيبي لا الدلالي بحيث تدمج هذه المعلومات أثناء دمج المعلومات التركيبية التي ترصد

بوضوح مساهمة النحو في المعجم. وتبقى السمات الدلالية التي تولد المجاز من الجذور مخصصة بمعلومات دلالية محضة من قبيل: [/ - حي] التي يشتق بموجبها "ضرب مثلاً" وسمات أخرى مثل: [/ - محسوس] التي تميز بموجبها بين "أكل طعاماً" و "أكل هواء" للتعبير عن خروج المرء بلا شيء من أمر ما. ومن السمات الدلالية سمة [/ - عاقل] التي نولد بموجبها "الولد يعبث" و "الريح تعبث بالغصون". وباستخدام "التفريع المقولي" وهندسة السمات وتحليلها نتوقع زيادة كفاءة الترجمة الآلية وتقريبها من النسبة الحاصلة في ترجمة الجملة بواسطة الإنسان.^{٢٦}

الخاتمة والنتائج

نعد هذا التصور المؤسس على نظرية المورفيم لا الصيغة تصوراً مقبولا في عصر التقنية والمعلومات والحوسبة بالنظر إلى الأعمال المؤسسة على مدونات الذخائر النصية العملاقة. ومن نتائج هذا التصور، إن كتب له التقدم والإنجاز:

١- تقديم حلول حسابية دقيقة تمكن من تهيئة ذخيرة لغوية محوسبة تسهم في تحقيق تقدم ملموس لقضايا مختلفة ومتنوعة من قبيل قضايا الترجمة الآلية وسد بعض ما فيها من نقص؛ فعلى سبيل المثال نجد أن نتيجة البحث في برنامج الترجمة الآلية (أدوات اللغة) عن ترجمة مادة "نشر" تعطي "نشر" بمعنى "وَزَع" لكننا لا نجد "نشر" بمعنى "قطع"، وكذلك لا نعثر على "عَزَف" بمعنى "ابتعد" وإنما نعثر فقط على "عزف" بمعنى "لعب"، والأمثلة كثيرة على هذا النقص عل الرغم من كثافة المادة الجاهزة المخزنة في ذاكرة البرنامج. زد على هذا أن كثيراً من الكلمات مكررة في الذخائر النصية فكلمة "ضرب" قد تكون مثبتة في أكثر من مائة نص" وهذا يزيد من العبء الحاسوبي، في حين أن فكرة هذا العمل تتيح ورود الكلمة لمرة واحدة فقط، وترد معها جميع الإمكانات الدلالية في نفس بطاقة الجذر كما يظهر من خلال هذا الشكل التالي بالنسبة للجذر "مثل" إذ نعثر (بعد توليد كافة الاشتقاقات الصرفية) على الإمكانات التعبيرية والدلالية: (مثل له، مثل به، مثل عليه...) وتصنيفه ضمن الطبقة الخاصة به: حدث/ نشاط.



٢- تبسيط عمل المحللات الصرفية وما يدخل في ميادين الذكاء الاصطناعي بشكل عام؛ وذلك من قبيل سهولة تحليل الكلمة إلى مكوناتها الأولية، وسهولة تركيب الكلمة من المكونات الصغرى بموجب عمليات مطردة وقارّة.

٣- تبسيط البحث في المعجم عن الاشتقاقات وما يلزم عنها من جناس أو طباق أو ترادف، ورصد مواضع كسر النسق في المشتقات والمصادر والجموع وغيرها كما في النموذج رقم (١) الذي نعيده هنا:

مثال لرصد الترادف ومواضع كسر النسق

شَهِدَ	ضَرَبَ
شَهِدَ	ضُربَ
شاهد	ضارب
مشهود	مضروب
شهادة	ضربة
شَهِدَ = عسل	ضَرَبَ = عسل

- ٤- تبسيط القضايا المتصلة بموضوع المقارنة بين اللغات
- ٥- تحسين أداء الدراسات والأبحاث المتصلة بخصوصية اللغة العربية في موضوع الدخيل والأصيل؛ فالجذور الواردة في لوحة الحروف كلها أصيلة وتنتج فقط الاشتقاقات الأصلية، أما الجذور التي نحصل عليها من خارج اللوحة أو تلك الوحدات من الأفعال أو الأسماء التي لا جذر لها أو لا تقبل التوسيع بالزيادات فهي غير أصيلة.
- ٦- تبسيط تعلم وتعليم العربية، ففي إطار تعليم الصرف العربي، مثلاً، يتيح هذا التصور للمتعلم معرفة طبيعة الزيادة التي يكون لها شكل واحد ومدايل مختلفة؛ فالاشتقاقات "كاتب" و "طائر" و "طالق" و "رائع" كلها تمت بزيادة مورفيم الألف بعد فاء الجذر لكنها لا تعطي نتيجة واحدة؛ ففي الأولى هي علامة اسم الفاعل وفي الثانية هي علامة الاسمية وفي الثالثة هي علامة للجنس المؤنث وفي الثالثة هي علامة للوصفية، وسوف يعطينا الحاسوب (بناء على البيانات المدرجة في كل لوحة جذر) لائحة بالجذور التي تؤدي زيادة الألف فيها إلى اشتقاق اسم الفاعل ولائحة أخرى بالجذور التي تؤدي زيادة الألف فيها إلى الصفة وأخرى بالجذور التي تؤدي زيادة هذه الألف إلى الجنس المؤنث وهكذا مع بقية الزيادات التي تؤدي الزيادة فيها إلى نتائج مختلفة.
- ٧- الإسهام في تعميق قضايا التنظير في مكونات الدرس اللغوي المختلفة الأصواتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركيبية وكذا التداولية؛ فيمكن لنا أن نعد أجائاً انطلاقاً من فكرة الجذور والبطاقة، فلو بحثنا في موضوع "زيادة" الألف بعد فاء الجذر فإننا ننتظر نتائج إحصائية دقيقة حول عدد ورود هذه الألف وعدد الجذور التي تسمح بزيادة الألف ونوع الجذور التي تسمح بزيادتها (حالة، وضع، حدث،

نشاط، إتمام ، إنجاز)، ويصح هذا مع بقية الزيادات فلو أخذنا زيادة التاء المربوطة فإننا سنحصل بتطبيق هذا التصور على المواد التي تزداد فيها هذه التاء ومقولات هذه المواد (اسم، صفة) ودلالات هذه الزيادة التي تتنوع بتنوع المقولة التي تتصل بها (اسم جامد، صيغة مبالغة، اسم فاعل، اسم جمع ...) فزيادة التاء على هذه المقولات لا تعطي دائماً التأنيث وإنما قد تعطي دلالات مختلفة بحسب مقولة المادة الملصقة بها. وإذا كانت فكرة تنوع دلالة المورفيمات موجودة في الأدبيات القديمة والحديثة، فالجديد هنا يتعلق بتنظيم وحوسبة ما ورد أو يرد في الأدبيات المختلفة بحيث يسهل تعليم قضايا اللغة العربية انطلاقاً من معرفة نسقية، منتظمة وليس انطلاقاً من استظهار للقياس باستخدام الحدوس التي كثيراً ما تخطئ.

٨- ونؤكد في ختام هذا البحث أن عملنا هذا وما جاء فيه من أفكار يظل محاولة تتلمس طريقاً إلى تدعيم نتائجها بمزيد من الأعمال التي نحن الآن بصدد استكمالها وفي ضوء عدد من الجهود التي تصب في مجالات حوسبة المعجم العربي.

الهوامش والتعليقات:

- (*) تمت المشاركة بهذا البحث ضمن أعمال الندوة الدولية الرابعة للمعالجة الآلية للغة العربية التي عقدت من ٢-٣ مارس (٢٠١٢) جامعة محمد الخامس - الرباط.
- ١ - لا يقدم هذا العمل تصوراً بديلاً عن المعاجم المبنية على التصور الاشتقاقي وإنما يتضافر معها كما ينص على ذلك الهدف (١٢) أعلاه، ويسعى لإيجاد حلول لبعض المشكلات التي لا تزال قائمة أبرزها: مشكلة تضخم المادة المعجمية المخزنة في ذواكر البرامج الإلكترونية، ومشكلة رصد النسقية الكافية ومواقع كسر النسقية وغيرها من المشكلات التي أوردناها في التقديم.
- ٢ - حتى الأعمال العملاقة التي تنهض بها جامعات ومؤسسات متقدمة لم تحقق النسقية المطلوبة والكافية. انظر على سبيل المثال مشروع: Arabic wordnet (عبر محرك البحث google): إذ يعتمد هذا المشروع ربط شبكات واسعة من العناصر المعجمية (أفعالا وأسماء وصفات وغيرها) ببعضها البعض: وتعتمد آلية الربط على تجميع العناصر المعجمية المترادفة؛ فالعنصر "كرسي" سيربط بكل العناصر المتصلة بالحقول المعجمي [أثاث]، وهكذا. وانظر لمزيد من الإيضاح الأعمال المنشورة في: المعالجة الآلية للغة العربية (٢٠٠٦) Language = Arabic processing. ومن ضمن هذه الأعمال ما يسمى بـ FrameNet وفكرتها تعتمد على إيجاد تخصيصات للعناصر المعجمية تنبني على سمات features مدججة في العناصر المعجمية المشتركة: ويصنف هذا العمل تخصيصات المادة إلى المعجمية إما إلى إطار أصلي core frame أو إطار غير أصلي non-core (بحسب <https://framenet.icsi.berkeley.edu/fndrupal/>) فتخصيصات "يبيع" و "يشترى" أصلية في مادة التجارة، أما تخصيصات المكان والزمان فهي غير أصلية في هذه المادة. ولا يكفي مشروع framenet بالتخصيصات الدلالية أو المعجمية، بل يلجأ أيضاً إلى تحليل الجملة انطلاقاً من مكوناتها التركيبية: فكل عبارة نحوية تفرع إلى مكونات تركيبية من قبيل: تخصيص المركب الاسمي (الفاعل) ب (م.س) والمركب الفعلي (م.ف) في عبارة /زدهرت /التجارة، على سبيل المثال، بغرض الحصول على متوالية نحوية. ويستثمر هذا المشروع أفكاراً

من النحو التوليدي حول آلية دمج المعلومات النحوية والمعلومات الدلالية باستخدام نظريتي التفريع المقولي وتخصيص السمات الدلالية وكذلك الأدوار المحورية وهي أفكار حاولنا استثمارها بطريقة تبدو مشابهة كما في الفقرة (٥).

٣- تنهض المعالجة الآلية للمعجم العربي على عدد كبير من الموارد اللسانية تشمل على حسب تورابي (٢٠٠٦ص: ٦٥) "الجزور والصيغ والصور البسيطة أو المصرفة والمركبة (باللواحق والمتصلات) والكلمات السياقية، مع بلورة أنظمة للتحليل والتصريف والتخزين والاسترجاع".

٤- لائحة العينات المعالجة سلفاً هي بحسب فيليبس وسفوزا (٢٠٠٦ ص: ٩) Phillips & Sforza "نسخة من الترجمة المؤتممة تستخدم عينات واسعة من الجمل المترجمة سلفاً، لتقديم ترجمة للجمل الجديدة".

٥- قول ابن جني ، الخصائص ٣٥٦/١ : "ألا ترى أنك لم تسمع أنت و لا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره"

٦- هذا التصور مؤسس على افتراضات شومسكي (١٩٩٥) حول التركيب والمعجم؛ إذ يعد الأول حاسوبياً وليس الأمر كذلك بالنسبة للثاني: ومفهوم الحوسبة يعني هنا ببساطة الوصول إلى قواعد ومبادئ تحكم العمليات الاشتقاقية في المستوى الذي تنطبق فيه؛ حيث تنطبق هذه القيود والقواعد في مستوى التركيب وهي غير واردة في مستوى المعجم. ومن تنسب إليه هذه الفكرة أيضاً: ديشللو ووليامز (١٩٨٧): حيث يعدان المعجم غير محكوم بقوانين تحكم عناصره؛ فما يجمع بين عناصره هي اللاقانونية lawless.

٧- يمكن أن ينطبق النموذج (٢ ب) على اللغة الإثيوبية (السامية) أيضاً: إذ تعتمد لغة تشاها الإثيوبية chaha علة الجزور التي تملأ بعلل (كالعربية) لتكوين الجدوع، ثم يصبح الجدع قادراً على تحمل السوابق واللواحق كما في الجذر sβr (ك س ر) تتخلله علل صوتية ليصير جذعاً sōpōrō (كسر)، بعد ذلك يضاف إلى الجذع سابقة من قبيل سابقة التلزم (tō)=(ان) فتصير tō-sōpōrō (انكسر). راجع لمزيد من التفصيل حول هذه المعطيات ونظام الإلصاق في لغة تشاها الإثيوبية بانكسيرا (١٩٩٩ ص: ٣٦) Banksira.

- ٨- انظر الإحالة السابقة رقم (٦) بهذا الخصوص.
- ٩- ينظر في التصورات الاشتقاقية للمعجم الفاسي الفهري (١٩٨٦) و(١٩٩٨) والسغروشي (١٩٨٧) و (١٩٨٨) و(١٩٩١) و(١٩٩٦) وتورايب (٢٠٠٠) و(٢٠٠١) و(٢٠٠٦) والزراعي (٢٠٠٧).
- ١٠- نطمح أن نعيد النظر في اللوحات المعجمية انطلاقاً من مجموعة كبيرة من المعاجم العربية وفي ضوء تصورات شاملة للمعجمية العربية على غرار ما جاء في البوشيخي (٢٠١٠). وانظر أيضاً فطوم القريش وآخرين (٢٠١٢): إنجاز قاعدة بيانات للفعل في اللغة العربية- استنتاجات لسانية ومعطيات إحصائية؛ حيث قدم الباحثون تصوراً لقاعدة بيانات تحصي الجذور المستعملة والمهملة من الثلاثي وقاعدة بيانات أخرى للرباعي، لكننا نعتقد أن عملنا هذا أكثر دقة وشمولية لأن عدد الجذور الثلاثية في تصور اللوحات المقدم في بحثنا هو ٢١٧٩١ جذراً مستعملاً ومهملاً هي قاعدة البيانات الأساسية، بينما تضم قاعدة بيانات الجذور الثلاثية عندهم ١٥٦٢٥ مستعملاً ومهملاً. كما أن عملنا لا ينهض على مجرد إحصاء جذور الأفعال وإنما على الجذور زكافة ما يتولد منها من اشتقاقات.
- ١١- معلوم في هذه الأعمال المؤسسة على مبادئ النظرية التوليدية كما في شومسكي (١٩٥٧)- (٢٠٠١) أن الرؤوس في تركيب الجملة تملك خصائص انتقائية ولها فضلات ومخصصات: الفضلة (الموضوع الداخلي) والمخصص (الفاعل أو الموضوع الخارجي) وتسمى الرؤوس مع الفضلات والمخصصات بالبنية الموضوعية argument structure كما في فريمشو (١٩٩٠) على وجه الخصوص. وعلى هذا الأساس افترضت هذه الأعمال فيما يخص الصرف أن السوابق prefixes تلعب دور الرؤوس وتكون الجذور فضلات لهذه الرؤوس. من ناحية ثانية هناك من يرى أن وظيفة هذه الرؤوس (السوابق الصرفية) لا تقتصر على انتقاء الجذور كفضلات لها، بل يسند لها تحديد نوع البنية الموضوعية التي تتضافر معها في تركيب الجملة؛ يفترض بانكسيرا (١٩٩٩ ص: ٣٧) على سبيل المثال، أن وجود السابقة الدالة على الإنعكاس reflexive (t $\bar{d}$) ومثلها (ان) العربية و (se) الفرنسية تعويضاً عن

غياب الفاعل. لاحظ عبارة: (انكسر الباب) حيث جاءت السابقة (ان) تعويضا عن غياب الفاعل الحقيقي في (كسر شخص الباب). ويسمى بانكسير (١٩٩٩ ص: ٣٧) الفاعل بالرابط الموضوعي l'argument acteur.

١٢ - يعود النقاش المعروف حول ما إذا كانت الوحدات المعجمية تدخل التركيب تامة التصريف أو ناقصة التصريف إلى تدخل التركيب في تغيير الطبيعة المقولية للوحدة المعجمية المستقاة من المعجم. وتسبب التحول المقولي الذي يحصل أثناء الخروج من البنية العميقة إلى البنية السطحية (بالمفهوم التقليدي لعمليتي "ضم" merge و"نقل" move) في تعقيد العمليات الحوسبية التي تنطبق على التركيب. وينعكس هذا التعقيد مباشرة على المبادئ المنظمة لعلاقة النحو بالمعجم. (للتدقيق والتعمق: ينظر شومسكي (١٩٩٥) و(١٩٩٨) و(٢٠٠١).

١٣ - الحركات هنا لا تستعمل، فقد استُغني عنها بنوع المقولة التي تدخل منها للكلمة؛ فكلمة [تمائل] إذا دخلنا لها من اللاصقة (ت) الموجودة تحت مقولة الأفعال فلا يمكن أن تُقرأ على أنها [تمائل] المصدر، ولا تُقرأ بهذه الطريقة إلا إذا دخلنا لها من مدخل (الناء) الموجودة تحت مقولة الأسماء. والاستغناء عن الحركات هنا هو بهدف تقليص العبء الحاسوبي.

١٤ - فكرة المورفيمات ليست بديلاً عن التصورات المبنية على الاشتقاق بالصيغ ولا بديلاً عن طرق الاشتقاق التقليدية الأخرى على الإطلاق، بل هي متكاملة معها لحل مشاكل تقنية كما أسلفنا في الإحالة رقم (١)، ولكن في هذا التصور على الخصوص احتجنا إلى مثل هذا الفصل مرحلياً حتى لا نخلط المشاكل الصوتية بالصرفية؛ ففي حال إعطاء أهمية للتحويلات الأبوفونية الناتجة عن الزيادات فإنه يصعب وجود تفسير لهذا التحول، على سبيل المثال: زيادة الألف "ا" الاسمية بعد عين الكلمة في [ك ت ب] يولد لنا المفرد [كتاب] والجمع [كُتاب] وعندئذ يصعب إيجاد تفسير للتناوب الحركي: كسر فاء الكلمة في الأولى وضمه في الثانية، ولهذا فإن فكرة توليد الاشتقاقات من الجذور في هذا العمل تجاهلت تماماً مناقشة أسباب هذه التناوبات مكتفين بالصورة السطحية للكلمة المولدة أو المشتقة.

١٥ - إذا أخذنا الجذور معتلة الوسط مثل: [قام] و [صام] و [نام] و [لام]، تواجهنا عدد من المشكلات أولها العودة بالعلة إلى أصلها قبل عملية الإلصاق، وثانيها كيف ننظر لهذه العلة عند توليد المصادر [قيام] و [صوم] و [نوم] و [لوم]؛ فهل سنظل عيّنًا للجذر كما في قام وصام ونام ولام أم سنتحول إلى زيادة بعد العين كما في المصدر قيام؟ وهناك مشكلة أخرى تتعلق باطراد النسق؛ فنحن لا نحصل على مصادر هذه الأفعال بنفس النوع من الزيادات؛ فمنها ما يقبل تطويع عين الكلمة إلى ياء كما في قام قِيَامًا وصام صِيَامًا وبعضها يطوع العين إلى واو كما في صام صَوَمًا ولام لَوَمًا ونام نَوَمًا. ولهذا الأسباب فإن الحلول المقترحة هنا لهذه الجذور ألا تظهر هذه الألف في لوحة الجذور فهي إما واو أو ياء، لكن الإشكال الذي لا يزال قائمًا هو هل ستبقى هذه العلة عيّنًا للجذر أم سنتحول إلى مورفيم وزيادة بعد العين؟ وفي الحقيقة لقد صمم هذا العمل ليتجاوز مشكلات ناتجة عن التحويلات الأبوفونية أو التحويلات الصرفية الأبوفونية ما أمكن، مع أن هذا التجاوز لا يكون متاحًا مع كل الجذور، وستعامل الوحدات المستعصية على الزيادات السلسلة بالطريقة نفسها التي تعامل معها الوحدات التي لا جذر لها فتكون في ملحق خاص في نهاية اللوحة يظهر لنا الصورة السطحية للكلمة دون المرور بمراحل تحويلها. ومن ذلك أيضًا فإننا إذا أردنا توليد كلمة "أشاء" من الجذر [شَ يَ ء] المثبت في لائحة الجذور، فإننا لا نحصل عليها بمجرد الزيادة في الوسط فحسب، وإنما نلجأ أيضًا إلى قاعدة حذف "عين الجذر" مع أن حذف عين الكلمة غير وارد وليس من ضمن المبادئ التي ترصد التحولات الاشتقاقية في هذا العمل؛ فهذه أمثلة بسيطة على بعض العمليات التي قد تخرق قواعد النسق الصرفي المصممة في هذا العمل لتوليد كافة اشتقاقات الجذر.

١٦ - في نظرية انشطار الفتحة للسغروشي المبينة في السغروشي (١٩٨٧) و (١٩٨٨) و (١٩٩١) و (١٩٩٦) وتورابي (٢٠٠٠) و (٢٠٠١) و (٢٠٠٦) والزراعي (٢٠٠٧). نجد أن الصيغ الأساسية التي يولدها أخطوط الثلاثي اثنتا عشرة صيغة تنطلق من (فَعَلَّ) كما يولد أخطوط الرباعي ثمانية عشرة صيغة تنطلق من (فَعَّلَلَّ).

- ١٧- يترتب على صرف الصيغة في اللغة العربية تعقيدات في عدة مجالات استراتيجية كمجال تعليم اللغة وحوسبتها، وهذا أمر منتظر إذا كنا نتعامل مع قضايا كالصيغ لا وجود لها وليست من نسيج بنية الكلمة العربية.
- ١٨- بالتأكيد ليس المقصود من هذه المقابلة الانطلاق من وضع اللغة الإنجليزية (ذات النظام التسلسلي في عملية الإلصاق) فلقد بينا في الفقرة الأولى من هذا العمل أن بناء معجم للعربية يجب أن ينطلق من حقيقة التعالق الحاصل بين الصرف والمعجم داخل المعجم العربي خلافاً للمعجم الغربي الذي يفصل الصرف عن المعجم بمجرد الزيادات في أطراف الجذع. وبناء عليه فهذه المقابلة تأتي لغرض التوضيح فقط. كما أن المعجم الغربي لا ينطلق من الجذور وإنما من الجذع مباشرة وهذا كاف لإثبات درجة الاختلاف بين العربية والإنجليزية.
- ١٩- نص مبدأي المحلية والاتجاه كما في التاكي (١٩٩٧ ص: ٢٩) كالآتي:
- a- Le Principe de la localité stricte
b- Le principe de la directionnalité
- إلا أن قيدي المحلية والاتجاه لا يطبقان في هذا العمل على المقطع كما في توجه النظرية الأمثلية optimality وإنما على المورفيمات والقطوع المورفيمية المكونة من مورفيمات.
- ٢٠- الطاء بعد فاء الجذر "ضرب" متقلبة عن نظيرها المهموس "التاء" نتيجة ضغوط الضاد الصوتية على التاء (ظاهرة المماثلة)، وتلافياً لمشاكل التحولات الصوتية في بناء المعجم النسقي، رأينا ضرورة إيراد ورود الصوت كما يظهر في البنية السطحية، ويتم التركيز على خرج العمليات الناتجة، لتحقيق صورة تسلسلية لعملية إلصاق المورفيمات.
- ٢١- وانظر أيضاً عن معطيات الأمازيغية كريم بن سوكنس (٢٠٠١ ص: ٩٠) حيث يظهر من خلال المعطيات المقدمة أن الأمازيغية تمتلك خاصية إقحام العلة في نهاية المقطع كما في العربية وذلك من قبيل: إقحام العلة (a) في نهاية الجذر كما في الجذر azzl (جري) تصبح azzal: "جرى" بعد إقحام العلة في آخر الجذر. وهذا الإقحام بناء على سوكنس (٢٠٠١) يشتق بناء على اعتبارات الموسومية markedness. وتعمل الموسومية لليلة المقحمة في

وسط الجذر العربية على تحديد غلط العلة الموافق للمورفيمات (السوابق) التي يتم بموجبها انتقاء الجذر الموافق لها.

٢٢- الأبوفوني بحسب تورابي (١٩٨٨ ص: ٤٠) هي عملية صرفية متجذرة بعمق في اللغة العربية وتعني التناوبات (التغيرات) الصوتية الداخلية في الجذع، وتنشأ هذه التغيرات على وجه الخصوص بين الفونيمات العلية القصيرة (فتحة/كسرة/ضمة): فالفتحة على عين "ضرب" تؤول إلى كسرة تحت عين "يضرب"، كما تؤول الكسرة في "حزن" إلى فتحة في "يحزن" وهكذا، فهذه التناوبات الأبوفونية يتجاهلها تماماً المعجم النسقي في هذا العمل. لمزيد من التعمق والتفصيل في المقاربات الأبوفونية انظر: كرلوتش (١٩٦٢) kurylowicz والسغروشي (١٩٨٧) وتورابي (١٩٩٨) وبلبول (٢٠١٠).

٢٣- لاشك أن السمات المدجة في كل مورفيم نحوية كانت أو دلالية منتظمة في مصفوفات، وقد تضم كل مصفوفة سمات سمة واحدة طاغية على النحو المقترح في التاكي محمد (١٩٩٧) ص: ٣٥ Taki Mohammed

٢٤- ينظر محمد غاليم (١٩٩٩) و (٢٠٠٧) و جاكندوف (٢٠٠٧): ترجمة محمد غاليم.
٢٥- نفيد في هذا السياق من مجموعة أبحاث اشتغلت على معجمة الأدوار المحورية (المنفذ والمصدر والهدف والمكان والأداة...) أبرزها أعمال (قريمشو ١٩٩٠) (والفاسي الفهري ١٩٩٦ و ١٩٩٧).

٢٦- ينظر للتفاصيل في موضوع المعنى المتكئ على الترجمة الآلية: عز الدين (٢٠٠٦) Azzedine. وفيلبس وسفورزا (٢٠٠٦) Phillips & Sforza.

المراجع العربية

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ق. ٤. هـ): الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت - لبنان، بدون ط.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط. ١، ١٩٨٥.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: اللُّمع في العربية، تح: حامد المؤمن، مكتبة النهضة العربية، ط. ٢، ١٩٨٥.
- البستاني، أكرم وآخرون (٢٠٠٣): المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت - لبنان، ط. ٣٩ و ٤٠.
- البوشيخي، عز الدين (٢٠١٠): بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضاءاته النظرية، وقائع الندوة الدولية من ٨-١٠ أبريل، فاس - المغرب.
- تورابي، عبد الرزاق - الرامي، سالم (٢٠٠١): حول المولد الصرفي للكلمات المعجمية العربية، وقائع ندوة: التوليد والنسقية والترجمة الآلية، المجلد ١، إشراف عبد القادر الفاسي الفهري، وإعداد أحمد بريسول وخالد الأشهب، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- تورابي، عبد الرزاق (٢٠٠٦): حوسبة الصرف العربي: الموارد والخبرات اللسانية، وقائع الندوة الدولية المعالجة الآلية للغة العربية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- جاكندوف ر. وشومسكي. ن. و ر. فندلر (٢٠٠٧): دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة: محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر.
- الزراعي، حسين (١٩٩٩): التراكيب المتطابقة في الجنس، دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب.
- الزراعي، حسين (٢٠٠٤) إعراب الجر والأنظمة الإعرابية عبر اللغات - دراسة تركيبية ودلالية صرفية، وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء.

- الزراعي، حسين (٢٠٠٧): بناء الكلمة وتحليلها، مقاربات في اللسانيات الحاسوبية، دار الآفاق، صنعاء.
- السغروشي، إدريس (١٩٨٧): مدخل للصوارة التوليدية، دار توبقال للنشر. ط١.
- السغروشي، إدريس (١٩٨٨) الصيغ في اللغة العربية، وقائع الندوة الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، منشورات عكاظ.
- السغروشي، إدريس (١٩٩١): حول الاشتقاق، ضمن ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منشورات البيونسكو، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- السغروشي، إدريس (١٩٩٦): التأليف والمعجم العربي، أبحاث لسانية١، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- الصباغ، أحمد بن قاسم (ق.٨.هـ): رسالة في اسم الفاعل، تح: محمد حسن عواد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١. ١٩٨٣.
- غاليم، محمد (١٩٩٩): المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- غاليم، محمد (٢٠٠٧): النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة - مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال للنشر.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٨٦): المعجم العربي - نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٠): البناء الموازي - نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٧): المعجمة والتوسيط - نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

- الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٨): المقارنة والتخطيط في البحث اللساني. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- فطوم القرش وآخرون (٢٠١٢): إنجاز قاعدة بيانات للفعل في اللغة العربية استنتاجات لسانية ومعطيات إحصائية، وقائع الندوة الدولية الرابعة للمعالجة الآلية للغة العربية، جامعة محمد الخامس - الرباط.

المراجع الأجنبية:

- Anderson, S.: 1982. Where's Morphology? *Linguistic Inquiry*. 13,571-612.
- Akkal, A.: 1996, Word Order Related Issues in Standard
- Azzedine, M.:2006. Meaning-Based Translation. In Arabic Language processing. Edited By: Abdelfattah Hamdani & others. Institute of Studies and Recherches of Arabisation. Rabat.
- Baker, M.: 1988, *Incorporation*. A grammatical Functional changing, Chicago University press.
- Banksira. D.: 1999, Du rôle des prefixes a- tō- et at en chaha. *Linguistic Research*. Vol. 4 N° 1-2. Publication de l'Institut d'Etudes et de Recherches Pour l'Arabisation- Rabat I.E.R.A.
- Bensoukas, K.: 2001. Markedness And epenthetic quality. *Linguistic Research*. Vol. 6 N° 1. Publication de l'Institut d'Etudes et de Recherches Pour l'Arabisation- Rabat I.E.R.A.
- Chomsky, N.: 1995, *The Minimalist Program*. The MIT Press, Cambridge, Mass.
- Chomsky, N.: 1998, Minimalist Inquiry. the framework, *MIT Occasional Papers in Linguistics* 15.
- Chomsky, N.: 2001, Beyond Explanatory Adequacy. *MIT Occasional Papers In linguistics*,
- Di sciullo, A.M. & Williams, E.: 1987. On the Definition of Word. MIT press, Cambridge, Mass.

- Fassi Fehri, A.: 2005, 'Verbal and Nominal Parallelisms Extensions. *Linguisticreasar- ch*.vol.10.2.9-43.
- Kurylowicz, J.: 1962. *L'apophonie en Sémitique*, Warszawa-Karakow, Pologne. Lass, R.: 1985, *phonology*, Cambridge University Press.
- Grimshaw, J.: 1990, *Argument Structure*. The MIT Press, Cambridge, Mass.
- Halle, M.: 1996, *Distributed Morphology: Impoverishment and Fission*, Paper delivered at the third Conference on Afroasiatic Languages, Sophia Antipolis, Nice.
- Hale, K., and J. Keyser: 1993, *On Argument Structure and the Lexical Expression of Syntactic Relations*, in Hale K. and J. Keyser eds., *The View from Building 20*, MIT Press, Cambridge, Mass...
- Phillips, A & Sforza, V.: 2006. *Arabic –to- English Example Based Machine Translation Using context-Insensitive Morphological analysis*. In *Arabic Language processing*. Edited By: Abdelfattah Hamdani & others. Institute of Studies and Recherches of Arabisation. Rabat.
- Selkirk, E.: 1982. *The syntax of word*. MIT press, Cambridge, Mass.
- Taki, M.: *les formes verbales de l'arabe classique*. RECHERCHES LINGUISTIAUEE. Vol. 2 N 1-Rabat.
- Thakur. D.: 2002. *Linguistics Simplified: Morphology*, Bharati Bhawan.
- Tourabi. A.: 1998. *The apophonic system of Standard Arabic*. *Linguistic Research*. Vol. 3 N° 1. Publication de l'Institut d'Etudes et de Recherches Pour l'Arabisation- Rabat I.E.R.A.
- <https://framenet.icsi.berkeley.edu/fndrupal/>

دالية المعريّ في رثاء
أبي حمزة الفقيه والنقد العربي
((دراسة في المنهج))

د. عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد
قسم اللغة العربية - الكلية الجامعية بالقطيف
جامعة أمّ القرى

دالّية المعريّ في رثاء أبي حمزة الفقيه والنقد العربي

((دراسة في المنهج))

د. عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب

ملخص الدراسة

حاولت هذه الدراسة أن تقف على أهم الجهود التي تناولت دالّية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه، فعرضت لها، ووقفت على مناهجها، وطرائقها، والإسهام الذي بذلته في تجلية سمات القصيدة ودلالاتها، فهي تنتمي في سيرها المنهجية إلى ما يسمى بدراسات (نقد النقد)؛ لأنها تسعى إلى البحث عن الكيفية التي تعامل فيها الناقد العربي مع الدالية بغية الكشف عن منهجية الناقد في ذلك التعامل. وتمّ رصد الجهود التي تناولت الدالية عبر ثلاثة محاور، المحور الأول: (المنهج الجزئي/ ما حول النص "الدراسة التاريخية")، وقد تناول هذا المحور الجهود التي انصرفت عنايتها إلى ظروف القول التاريخية دون اهتمام واضح بالتكوين الداخلي والبنائي والجمالي للدالية. والمحور الثاني: (المنهج التجزيئي/ دراسة النص)، ودار هذا المحور حول الجهود التي تناولت التكوين النصي الداخلي للدالية، وتم تقسيم الرصد في هذا المحور حسب المكوّن النصي الذي استأثر بجهد كل محاولة اللّغة، المعنى، النغم والإيقاع، الدراسة الأسلوبية. والمحور الثالث: (منهج الانتخاب والاختيار/ ما بعد النص)، وحاول هذا المحور أن يقف وقفة فيما بعد النص، وما تركه من أثر، وحاول قياس هذا الأثر واستجلائه من خلال أحد أهم مظاهره، وهو الكيفية التي حضرت بها الدالية في كتب الانتخاب والاختيار. وانتهت الدراسة من خلال كل ذلك إلى أن الجهود التي عرضت للدالية قد أتت على جوانب متعددة منها، وإن تجزأت هذه الجوانب ولم تأت في سياق شمولي واحد يُعنى بها جميعاً، إلا على نحو ما، سعت إلى شيء منه الدراسة الأسلوبية في تناولها للمكوّنات الداخلية عبر عدة مستويات.

**Dalia of Maari in lamentation
Abu Hamza al-Faqih and the Arabic Criticism
Study in the Curriculum**

ABSTRACT:

This study tried to stand on the most important efforts that addressed Dalia Maari in lamentation Abu Hamza al-Faqih, introduced it, and stood on the curriculum, and methods, and the contribution that it put in clarifying the features of the poem and its connotations, it belongs to the so-called studies (criticizing the criticism); it seeks to search for how Arab critic dealt with the Dalia in order to detect the critic methodology in dealing with it. The efforts that addressed the Dalia are three parts, the first part: (The partial curriculum / What about the text "historical study"), has dealt with the historical conditions disbanding its attention to the structural and aesthetic content of the Dalia. The second part: (the fractional curriculum / study the text), was about the efforts that addressed the internal textual content of the Dalia, and was divided in this part by component textual that attracted every attempt "the language, the meaning, the melody and the rhythm, the stylistic study." The third part: (curriculum election and selection / post text), and this part tried to see what is post the text, and the effect left, and tried to measure this effect through one of the main features, which is how the Dalia attended in the books of the election and selection. The study concluded that all the efforts offered to Dalia have come on various aspects of it, though fragmented these aspects and did not come in comprehensive context concerns all of them, but somehow, sought the stylistic study in dealing with internal components across multiple levels.

مقدمة

حظيت دالية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه بوقفات ودراسات متعددة قديما وحديثا، وقد حاول كلُّ منها أن يعاين النص، ويكشف عن دلالاته حسب المنطلقات التي انطلق منها، وحسب ما توافر له من إمكانيات.

وتحاول هذه الدراسة أن تقف على أهم الجهود التي تناولت الدالية، فتعرض لها، وتقف على مناهجها، وطرائقها، والإسهام الذي بذلته في تجلية سمات القصيدة ودلالاتها. ولا أعلم دراسة قبل هذه الدراسة حاولت هذا الرصد وتتبعه والكشف عنه.

وسيتّم رصد الجهود التي تناولت الدالية عبر ثلاثة محاور:

١ - المنهج الجزئي / ما حول النصّ الدراسة التاريخية

وتناول هذا المحور الجهود التي دارت حول نص الدالية، وركزت في إسهامها على ظروف القول التاريخية، واقتصر اهتمامها في الغالب على هذا الجانب دون تناول واضح للتكوين الداخلي والبنائي والجمالي للدالية.

٢ - المنهج التجزيئي / دراسة النص

وسيعرض هذا المحور للجهود التي تناولت التكوين النصي الداخلي للدالية، وتم تقسيم الرصد في هذا المحور حسب المكوّن النصي الذي استأثر بجهود كل محاولة، فتوزعت هذا المحور عدة فقرات، فكانت هناك الجهود المنضوية تحت الجانب اللغوي، والجهود التي استحوذ عليها الاهتمام بالمعنى، والجهود التي اهتمت بالجانب النغمي والإيقاعي للدالية، وأخيرا الجهود التي فاشتت الدالية من المنطلق الأسلوبي.

٣ - منهج الانتخاب والاختيار / ما بعد النص

وستحاول الدراسة أن تقف في هذا المحور وقفة فيما بعد النص، وما تركه من أثر. وستحاول قياس هذا الأثر واستجلاءه من خلال أحد أهم مظاهره، وهو حضور الدالية في كتب الانتخاب والاختيار، والكيفية التي جاء عليها.

بقيت الإشارة إلى أن الدراسة أثبتت ملحقاتاً في آخرها يتضمّن نص الدالية كاملاً؛ تفادياً لتكرار ذكر الأبيات أثناء الدراسة، فاكثفت في الغالب بالإشارة إلى رقم البيت أو الأبيات التي تكون مناط الحديث.

١ - المنهج الجزئي / ما حول النص "الدراسة التاريخية"

وستتجه البحث هنا إلى الوقوف أمام الدراسات التي عُنت بظروف القول التاريخية، كالتوقيت الزمني لإنشاء القصيدة، ومناسبتها، وعلاقتها بقائلها، واقتصر اهتمامها الأكبر على هذا الجانب دون وقوف واضح أمام التكوين النصي والبنائي والجمالي للدالية.

وتعد دراسة الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (١٣٠٦-١٣٩٨هـ) أبو العلاء وما إليه إحدى الدراسات التي عُنت بهذا الجانب في الدالية.

ففيما يتعلق بالتوقيت الزمني لإنشاء القصيدة فقد عقد الأستاذ الميمني فصلاً في كتابه سمّاه (فترة الشباب أو خمسة عشر عاماً وأشهر ٣٨٣-٣٩٨هـ)^(١)، وبين فيه شعر أبي العلاء الذي قاله في هذه الفترة. وأدخل الميمني في هذه الفترة الدالية، ورأى أنها من الشعر الذي أنشده المعري خلالها، وساق لتأكيد ذلك زمن وفاة المرثي أبي حمزة الفقيه، فذكر أنه مات قبل الأربعمئة كما تشير المصادر ممّا يؤكد أنها من شعر هذه الفترة، يقول الميمني: "ونرى أن جُلَّ شعر السَّقَط غير ما قيل في الصبا أو في بغداد

والدرعيات وغير قليل من المقاطيع أنشئ في خلالها. كقطعة له إلى شطرُنَجِيٍّ، ولاميته على لسان سائق الحاج، وراثاء أبي حمزة وكان مات قبل الأربعمئة كما في الجواهر المضئية، وراثاء أبي إبراهيم العلوي...^(٢). واتخذ الميمني من القصيدة دلالة على الخطة التي توخاها المعري في عزلته من إعراض عن الدهر ولذته^(٣).

وقد ناقش الميمني وهماً وقع عند بعض المصنفين فيمن قيلت فيه الدالية. ومن أولئك السمعاني، وتبعه ياقوت، حيث ذكر السمعاني أن القصيدة قالها أبو العلاء في أبي الخطاب الجبلي، وقد نقل الميمني قول السمعاني الذي جاء فيه: أبو الخطاب الشاعر الجبلي... وكان من المجيدين قال ابن ماكولا: له معرفة باللغة والنحو ومدح أبي وعمي قاضي القضاة أبا عبدالله. قلت: وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة، ومدحه أبو العلاء بقصيدته التي أنشدناها الأديب أبو عبدالله الحسين بن عبد الملك الحلال بأصبهان قال أنشدنا أبو المكارم عبدالوارث بن عبد المنعم الأبهري قال أنشدنا أبو العلاء... لنفسه غير مجد البيت. ومات أبو الخطاب في ذي القعدة ٤٣٩هـ^(٤). ثم ذكر الميمني تخطئة ابن خلكان للسمعاني وذلك في نص ابن خلكان القائل: "وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحسن بن عبدالله الفقيه الحنفي قاضي مَنبُج كان، وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرفَ باين العديم الحلبي"^(٥). ثم ذكر الميمني رأيه الذي يؤكد فيه أن الدالية كانت في أبي حمزة الفقيه ولم تكن في أبي الخطاب الجبلي، مستدلاً على ذلك بعدد من القرائن منها ما نص عليه عنوانها من أن المعري يرثي فقيهاً حنفياً، ومنها ما جاء في القصيدة من ذكر لأبي حمزة^(٦)، وأخيه محسن وأبنائه^(٧)، يقول الميمني: أما القصيدة فإنها في أبي حمزة حقاً وفي عنوانها يرثي (فقيهاً حنفياً) وسمي فيها أبا حمزة وأخاه محسن وأبنائه كما مر. وقد علمت أن محسن أخو أبي حمزة من الجواهر أيضاً. على أن القصيدة ليست من

المشاعرة في شيء. ويلزم على هذا أن يكون من الشعر ما قيل بعد سنة ٤٣٩ هـ وهو باطل^(٨). وعلى الرغم من موافقة الميمني لابن خلكان في أن القصيدة قيلت في أبي حمزة فإنه يستدرك عليه عبارته (بل كتبها إلى)؛ لأنّ "القصائد ليست مما يكتب إلى الأموات، فوجه العبارة (بل كتبها في)"^(٩).

وبهذا يستبين أنّ وقفات الميمني اتجه اهتمامها إلى مسائل تدور حول النص، وتتعلق بتاريخه، دون ولوج إلى تكوينه الداخلي.

ومن الدراسات التي تدخل في هذا المحور دراسة الدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" (١٩١٢ - ١٩١٨ م) التي جاءت بعنوان: (أبو العلا المعري). وترى الدكتورة عائشة عبدالرحمن أنّ الدالية من الشعر الذي قاله المعري في مرحلة الشباب، وسمته: الشاب الطامح، وهي في هذا تتفق مع الأستاذ الميمني. وتمتاز هذه المرحلة كما تبين الدكتورة عائشة عبدالرحمن باعتداد المعري بذاته وعناده، فقد "صمّم على أن يتحدى محنته، وأن يشق سبيله مع الأحياء لا يعوقه فقد البصر. وبلغ المدى في مكابرتة، فرئي في صباه يلعب النرد والشطرنج ويأخذ في فنون اللهو والجد كما يفعل لداته المبصرون"^(١٠).

وترى الدكتورة عائشة عبدالرحمن فيما سمته: (ومضات كاشفة) أنّ المعري لم يكن يجهل عقم هذه المكابرة... وإلّا ما كان يجلجل بهذا الادعاء رجاء التشاغل عن واقعه المر، وحمل نفسه على المقاومة والتجمل بالصبر على ما لا حيلة له فيه. أو لعله كان يحاول بهذا الضجيج الصاخب، أن يصمّ سمعه عن صوت في أعماقه يؤرقه ليل نهار: أما أن أن تكفّ عن هذا العناد العقيم والمكابرة الخائبة؟ وقد عبّر عنه، دون تنبه منه، مطلع قصيدته الحماسية في الجهاد ضد الروم:

لَقَدْ آَنَ أَنْ يَنْثِي الْجُمُوحَ لِحَامُ وَأَنْ يَمْلِكَ الصُّعْبَ الْأَبْيَ زَمَامُ^(١١)

وعبرت عنه كذلك، نفثات حزينة أفلتت منه واشية بما كان يطوي في أعماقه،
وومضات كاشفة عن مكتوم قهره وأساه^(١٢).

وتشير الدكتورة عائشة عبدالرحمن إلى أن هذه الومضات أكثر ما تلقانا في مراثيه التي صدرت عنه ناضحة بالمرارة والشجن واليأس^(١٣). وذكرت من هذه المراثي الدالية، وأوردت منها أربعة عشر بيتا هي (١-٩، ١٢، ٤٩، ٥١-٥٣). وترى الدكتورة أن هذه الومضات الكاشفة عن الجرح الغائر في نفسه وإن كانت بادية في مراثيه إلا أنها لم تنفرد وحدها بهذا الإيقاع الحزين، بل طالت كل شعر شبابه، ولكن المعري شغلنا عن الالتفات إليها "ببريق طموحه الساطع، وتاهت منا في ضجيج مكابرتة واستعلائه، وعذرنا هنا أن أبا العلاء نفسه، حاول صادقا خلصا، أن يشغل بهذا الضجيج عن مكابדתه النفسية لدواعي اليأس والقنوط، وهواجس الخيبة والقهر، لولا أن أفلتت من أعماقه، من حيث يدري ولا يدري"^(١٤). وتعرف الدكتورة أنها كانت ممن يظن أن مراثيه تنفرد بهذا الإيقاع الحزين وأن غيرها من شعر الشباب، كله طموح واستعلاء، تقول الدكتورة: "ومنا من كان يظن أن مراثيه تنفرد بهذا الإيقاع الحزين، وأن غيرها من شعر شبابه، كله طموح واستعلاء، وزهو واعتداد. وأعترف بأنني كنت إلى عهد قريب، من بين الذين غلب عليهم ذلك الظن، ثم لما عدت أصغي من جديد إلى صوت أبي العلاء في ديوانه (سقط الزند) أدركت أننا على خطأ، حين فاتنا ملح الومضات الكاشفة عن الجرح الغائر في أعماق وجدانه، لا في مراثيه فحسب، ولكن كذلك في مدائحه وحماسياته، وغزلياته وفخرياته، وأكاد أقول في كل قصيدة من شعر شبابه"^(١٥).

ونخلص من كل هذا إلى أن الدكتورة ترى أن تلك الومضات الكاشفة كانت أكثر ما تظهر بإيقاعها الحزين في المراثي، وإن لم يخل منها جُل شعر الشباب.

وهذا الذي قدمته الدكتورة عائشة عبدالرحمن عن التوقيت الزمني لإنشاء الدالية وأنها من شعر مرحلة الشباب، التي تمتاز باعتداد المعري بذاته ومكابرته، وما حمله شعر هذه المرحلة - وخاصة المراثي التي منها الدالية - من تلك الومضات الكاشفة عن الجرح الغائر في نفس المعري جراء فقدانه بصره، كلّ هذا يعد من الدراسة التاريخية التي تُعنى بصاحب القول، ومحاولة الربط بين ما جاء في شعره وما انطوت عليه حياته من مواقف وأحداث.

٢ - المنهج التجزيئي / دراسة النص

وستكون وجهة البحث هنا متجهة إلى تلك الدراسات التي حاولت أن تكشف عن السمات النصية الداخلية للدالية. وسيتم تقسيم فقرات هذا المبحث حسب المكوّن النصي الذي استأثر بجهد كل دراسة أو مجموعة دراسات.

أ - اللغة

ستتناول الدراسة هنا تلك المحاولات التي ركزت في قراءتها للدالية على إيضاح الجانب اللغوي وما يتعلق به من عناصر؛ بغية تقريب النص والكشف عن دلالاته الأولى. وتأتي الشروح الشعرية التي عرضت للدالية ممثلاً واضحاً للاهتمام بهذا الجانب. وبوجه عام، تختلف الشروح من قارئ إلى آخر حسب الكفاءة والقدرة التي يمتلكها، والأدوات الإجرائية التي يوظفها^(١٦). فالشرح ممارسة تتجه نحو إيضاح النص وكشف دلالاته.

وجاءت حركة الشروح الشعرية في الثقافة العربية استجابة لظروف ثقافية وتعليمية، ونتيجة لتغيّر القيم الحياتية والأدبية التي كان يُنظر من خلالها إلى النص^(١٧).

واختلفت نظرة الدارسين إلى مدى عمق هذه الممارسة، والمستوى الذي تبلغه في قراءة النص. فبينما يرى الدكتور شعبان عبدالحكيم محمد أنها ممارسة "تعتمد على الدلالة المرجعية للألفاظ، مع التشبث بالحقيقة والواقع، والنظرة المريبة للخيال، وتنحية أيّ مجال للتأويل، والاعتماد على المعنى الظاهر للنص"^(١٨)، نجد أنّ الدكتور أحمد الودرن يراها "عملية ذهنية معقّدة ذات مراتب أولاهها حيرة وكسر للبداهة، وما بعدها كشف واكتشاف، وآخرها فهم واهتداء إلى المقاصد. إنّ الشرح يتجاوز مألوف القراءة إلى عميقها، ومجرد الاستيعاب إلى البناء والإضافة. إنّ الشارح ينفخ في روح النص فيبعثه من حال الانكفاء والكمون إلى حال التفتح والظهور؛ لذلك لا تكاد تقل هموم الشارح عن هموم المبدع، فكلاهما يعايش آلام الخلق وأطواره"^(١٩).

ويمكن التوفيق بين الرأيين حينما ننظر إلى هدف هذا النوع من الممارسة، فهي تتوجه إلى قارئ آخر، يهدف الشارح من خلالها إلى تقريب النص له، وجعل إدراكه ممكنا وميسورا. ويحتاج تحقيق هذا الهدف إلى جهد خاص من الشارح في فهم النص؛ ليكون قادرا بالتالي على الإفهام، وهذا لا يتمّ إلا باستعدادات ذاتية فطرية، وأخرى مكتسبة تتم بواسطة الإلمام بمجموعة من العلوم والمعارف تساعد على إضاءة النص وكشف دلالاته.

فإذا كان ذلك الهدف يحيل في نتيجته إلى ممارسة تهتمّ بالدلالات الأولى للنص دون الاتجاه إلى دلالات أعمق، فإن ذلك لا يتمّ إلا عبر سعي خاص يبذله الشارح في سبيل تحقيق هذه المهمة التي يتجشمها. لذلك رأى الدكتور محمد تحريشي أنّ الشرح الشعري هو "تلك العملية المعقدة التي تقوم على الغوص في معاني الشعر و تراكيبه، ومحاولة إخراجها للجمهور سهلة سائغة بألفاظ قريبة يدرك المتلقي مدلولاتها. إنه عمل شاق و متعب، خاصة عندما أصبح الشرح عملا مقصودا، يراد به صنعة شروح

لدواوين عباقرة شعرنا القديم، و كان على الشارح أن يكون في مستوى الشاعر أو أعلى منه، حتى يستطيع أن يقوم بعمله أحسن قيام، و كان على القائم بهذا العمل أن يقوم مقام المبدع ليحيط بمقاصد الشعر، و عليه أن يقوم مقام الجمهور ليقترب معاني هذا الشعر الغامضة إلى أذهان هذا الجمهور، و عليه أن يقوم بدور الوسيط في مجتمع أصبحت له لغتان: لغة الخطاب اليومي، و لغة الإبداع الفني، الأولى ضعيفة وغير سليمة، و الثانية قوية وسليمة^(٢٠).

ولا شك أنّ عملية الشرح دالة في أحد جوانبها على حفاوة الشارح بالنص، إذ لولا ما يحمله النص من مكانة لدى الشارح، لما تجشّم مهمة شرحه وإيضاح دلالاته. وهذا يعني أنّ الشرح يدلّ في الغالب على موقف جمالي من النص، يحمل في طيّه شعورا بالاستحسان والرضا.

وجاءت دالية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه ضمن ديوانه (سِقْطُ الزُّنْد)، ومن المعلوم أنّ هذا الديوان قد تصدى لشرحه ثلاثة من الشّراح هم: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالتبريزي (٤٢١-٥٠٢هـ)، وأبو محمد بن عبد الله بن محمد بن السيّد البَطْلَيْوْسِيّ (٤٤٤-٥٢١هـ)، وأبو الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمي (٥٥٥-٦١٧هـ). وهذا يعني أنّ هذا الديوان قد حظي بعناية خاصة من الشّراح، حفزتهم إلى شرحه واستظهار دلالاته.

ويعدّ التبريزي أشهر هؤلاء الشّراح الثلاثة فيما يتعلق بشرح الشعر، حيث قام بشرح مجموعة من الدواوين والقصائد وكتب الاختيارات الشعرية^(٢١)، ونال نتيجة ذلك اهتماما خاصا من قبل الدارسين^(٢٢). ووصف بعض الدارسين منهج التبريزي عموما في شرح الشعر بأنه منهج قائم على الانتخاب والتّهذيب^(٢٣)، والاستصفاء^(٢٤)، فهو صاحب اطلاع واسع ومعرفة عريضة مكّنت شرحه من الجمع والانتقاء

والانتخاب، لذلك حصروا عمله في استيعاب شروح السلف واختصارها^(٢٥)، ورأوا فيه صورة لمنهج "حصري نقلي مزجي استقرائي انتخابي تنسيقي توفقي تكميلي تحقيقي. لا يظهر فيه شخصية صاحبه إنما الذي يظهر صنيعه، جمعه، سرده، استحسانه، انتخابه، انتقاؤه^(٢٦).

وإذا كان ذلك ينطبق على شروح التبريزي الشعرية التي سُبقت بجهود شراح قبله، فإن شرحه لسقط الزند يُعدّ أول شرح لهذا الديوان فيما نعلم؛ لذلك فإن الدور الانتخابي الاستصفائي يتضاءل في هذا الشرح إلى حد كبير.

وعند معاينة شروح أولئك الشراح الثلاثة للدالية سنجد أن حجم الشرح بينهم عموماً جاء متقارباً إلى حد كبير، وإن كان التبريزي أحياناً أكثر سعة، والخوارزمي أشدّ اقتضاباً، والبطلوسي في منطقة تتراوح بين الاثنين.

وتوارد الثلاثة على مجموعة من عناصر الشرح تشير إلى الجانب اللغوي الذي صدر عنه عرضهم للدالية، واشتراكهم في طبيعة توجّهه وأهدافه. من هنا جاء عملهم مركزاً على مجموعة من العناصر اللغوية ظهرت في الغالب لديهم جميعاً، من مثل: التركيز على الجوانب المتعلقة بتوضيح دلالات بعض الألفاظ وروايتها، والنواحي النحوية، والصرفية، وما يتصل ببيان الدلالات العامة للأبيات. وقد خفت لديهم الاهتمام بالجوانب الفنية في النص إلا من بعض اللوحات التي سنعرض لها. وجاء هذا الخفوت متوائماً مع طبيعة توجّههم، وتكوينهم المعرفي، إذ كان التصاقهم المعرفي باللغة ومسائلها أكثر من التصاقهم بنقد الشعر وقضاياها. وليس من غاية الدراسة عرض جميع مظاهر حضور تلك العناصر في شرحهم للدالية، بل ستكتفي بضرب بعض الأمثلة لكل عنصر؛ لبيان سمة هذا التوجّه وطريقته.

فإذا ما جئنا إلى المتعلق بتوضيح دلالات الألفاظ، رأينا على سبيل المثال وقوف التبريزي والبطلّوسيّ عند لفظة (مُجدٍ) في البيت الأول من الدالية. فيقول التبريزي: "مُجدٍ: مُفْعِل، من أجدى مجدي، في معنى أغنى يُغني"^(٢٧). ويقول البطلّوسيّ: "المجدي: النافع المغني، يُقال: ما أجدى ولا أغنى بمعنى واحد"^(٢٨).

ومن ذلك لفظة (أديم) في البيت الخامس. يقول التبريزي: "أديم الأرض: ظاهرها"^(٢٩). وشرحها الخوارزمي بمثل ما قال التبريزي^(٣٠).

ومنه وقوف الشراح الثلاثة عند بيان لفظة (الجوى) في البيت السادس والثلاثين. يقول التبريزي: "الجوى: فساد الجوف"^(٣١). ويقول البطلّوسيّ: "والجوى: فساد الجوف من داء يحلّ فيه"^(٣٢). ويقول الخوارزمي: "أصابني جوى، وهو داء في الجوف لا يُستمرّ منه الطعام"^(٣٣).

ويلاحظ في هذا الجانب المتعلق بدلالات الألفاظ تقارب الشراح الثلاثة فيما ذهبوا إليه، وهذا أمر طبيعي، طالما أنهم يصدرّون عن توجه واحد يهتم بالدلالة المعجمية للألفاظ بوصفهم علماء لغة في الدرجة الأولى، تدفعهم مهمة الإفهام إلى سلوك هذا الطريق في الإيضاح والبيان.

ومن أمثلة الجانب النحوي وقوف التبريزي والخوارزمي أمام قول المعري في البيت الثاني عشر: "تعبٌ كلها الحياة". يقول التبريزي: "تقديره: الحياة كلها تعب. فـ(الحياة) مبتدأ أول، و(كلّها) مبتدأ ثان، و(تعب) خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول، وتكون الجملة التي هي خبر قد تقدمت على المبتدأ"^(٣٤). ويقول الخوارزمي: "(الحياة) مرتفع بالابتداء، و(تعب) خبره. قوله: (كلّها)، مرفوع على البدل من الضمير المستكنّ في (تعب). ونظير هذا البدل: الكتاب قرئ كلّ"^(٣٥).

ومهما يكن من اختلاف بينهما في إعراب بعض الألفاظ، فإنّ الملاحظ أنّ قراءتهما توقفت عند بيان المواقع النحوية، ولم تتجاوز ذلك إلى أثر الوظيفة النحوية في التشكيل الدلالي الفني لمعنى البيت.

وأما الجانب الصرفي فمن أمثله ما ذكره التبريزي والخوازمي حول لفظة (اسطعت) في البيت السابع. يقول التبريزي: "اسطاع يسطيع، بمعنى استطاع يسطيع. وقالوا: هو بمعنى أطاع يطيع وأدخلوا السين فيه عوضاً مما دخله من الاعتلال. فإذا كان بمعنى أطاع فألفه ألف قطع، تقول أسطاع يُسطيع بضم الياء. وإذا كان بمعنى استطاع فألف ألف وصل، تقول اسطاع يسطيع"^(٣٦). ويقول الخوارزمي: "تقول: اسطاع يسطيع، ثم يقال: اسطاع يسطيع، فيحذفون التاء لكونها مستثقلة مع الطاء. وقد يقال: أسطاع يسطيع، يراد أطاع يطيع، فيزاد فيه السين. وقول أبي العلاء من الأول"^(٣٧).

وللبطليوسي وقوف صرفي في نفس البيت ولكن في لفظة أخرى وهي (رؤيدا)، يقول البطلّيوّسي: "رؤيداً: كلمة معناها الترفق والترسل، وهي عند البصريين تصغير (إرواد) على جهة الترخيم. والفراء يراها تصغير (رؤد) غير مرخمة، وحجته قول الشاعر:

يَكَاذُ لَا تُئْلِمُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْهُ كَأَنَّهُ تَمَلُّ يَمْشِي عَلَى رُودٍ"^(٣٨)

وواضح أنّ جهد الشراح الثلاثة اقتصر على الجانب الصرفي البحث، ولم يحاول البحث عن أثر البناء الصرفي في الدلالة الفنية للمفردة، فمن المعلوم أنّ أي وضع تأتي عليه المفردة له دلالاته المقصودة في الغرض المراد فالحذف من المفردة مقصود، كما أنّ الذكر مقصود، وأنّ الإبدال مقصود كما أنّ الأصل مقصود، وكلّ تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه"^(٣٩).

وانفرد الخوارزمي من بين الشّراح الثلاثة بالإشارة إلى اختلاف الرواية في بعض ألفاظ القصيدة. من ذلك إشارته إلى أنّ قول المعري: "في ساعة الفوت" في البيت الثالث عشر يُروى رواية أخرى، وهي: "في ساعة الموت"^(٤٠). وإشارته كذلك إلى أنّ قول المعري: "جوى الحزن" في البيت الرابع عشر يُروى رواية أخرى، وهي: "جوى التّكل"^(٤١). وبما أنّ المعري كان في عصر نشطت فيه حركة الكتابة وظهور المصنفات، فقد كان من الطبيعي أن نجد هذا الضمور في جانب الرواية الذي كان موضع اهتمام الشّراح وهم يشرحون شعر العصور التي سبقت مرحلة التدوين.

وأما ما يتعلق باكتفائهم ببيان الدلالات العامة للأبيات دون الغوص في عمقها فسنجد ذلك مثلاً في شرح التبريزي للبيت الثالث عشر، إذ يقول عنه: "أي سرور الميلاد لا يفي بحزن الموت"^(٤٢). وكذلك ما علّق به على البيت الخامس والأربعين بقوله: "أي كانوا قد سهروا حوله للتمريض، فلمّا يئسوا منه هجدوا"^(٤٣). ومن ذلك ما عبّر به الخوارزمي على البيت الرابع بقوله: "أنزل في الرّحب والسعة"^(٤٤). وما شرح به قول المعري في البيت الثامن والخمسين حين قال: "يقول: ليتكلفوا الصبر والسلو عن المتوفى، وهم غير مندملّي الجراحات، فإنّ الصبر عند الصدمة الأولى"^(٤٥).

وواضح أنّ هذا الاكتفاء ببيان الدلالات العامة نابع من مهمة "الإفهام"، وتقريب المعنى التي نصبوا شروحهم لها.

وعلى الرغم من وحدة التوجّه الذي صدر عنه هؤلاء الشّراح الثلاثة، واشتراكهم في الهدف، وتقارب مشاربهم المعرفية، مما يحيل إلى تشابه في تفسير الدلالات، على الرغم من كلّ ذلك فإنّنا نجد بينهم أحياناً اختلافاً في بعض التفسيرات، واجتهاداً خاصاً في تحديد المعنى الذي قصده الشاعر. من ذلك ما شرح به الخوارزمي والبطلّوسيّ قول المعري في البيت الخامس والعشرين:

فالعراقيُّ بَعْدَهُ لِلحِجَازِيِّ قَلِيلُ الخِلافِ سَهْلُ القِيَادِ

فذهب التبريزي إلى أنَّ الشاعر قصد أنَّ المرثيَّ قد هدَّب الفقه، وأوضح ما كان يُختلف فيه، فلما اتضح زال الخلاف، وصارت الأقوال كلها فيما كان يُختلف فيه قولاً واحداً^(٤٦). وأما البطلانيُّ فذهب إلى أنَّ الشاعر أراد أنَّ هذا المرثيَّ كان يحتاج للعراقيين على الحجازيين، فلما مات لم يبق من يحتاج لهم، فصار العراقي قليل المخالفة للحجازي، منقاداً له، ضعفاً عن نصر مذهبه والقيام بحجته^(٤٧).

وهذا الاختلاف في تفسير مراد البيت دالٌّ على دقة الشاعر، وثناء الشعر، ورحابة دلالاته، كما أنه دالٌّ على تميّز الشرح، وعدم التبعية في الفهم والتفسير.

وقد يُشغَل الشرح أحياناً بموضوعات لا تتصل بالشعر، فيستطرد إلى حديث ليس بذی أثر في بيان دلالات الشعر ومقاصده، وليس فيه تعضيد لمهمة الإيضاح والإفهام التي أناط الشرح بها نفسه. من ذلك ما فصلَّ به الخوارزمي شرحه لكلمتي (العراقي) و(الحجازي) في البيت الآنف الذكر، إذ نراه يستفيض في ترجمة أبي حنيفة والشافعي على شهرتهما، فيقول: «العراقي، هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، فقيه أهل العراق، ومن أهل الكوفة، نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد. ولد سنة ثمانين، ومات سنة مائة وخمسين، ودفن في مقبرة الخيزران. وفي كلامهم: فلان عراقي المذهب، أي حنفي. الحجازي، هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبدالله الشافعي. وفي كلام هارون الرشيد: (ما فعل الحجازي؟) يريد الشافعي. ولد بغزة الشام، وقيل باليمن، ومات بمصر في سلخ رجب سنة أربع ومائتين، وهناك قبره^(٤٨). وكان يكفي الشارح أن يشير إلى أن المراد بالعراقي الإمام أبو حنيفة، وإلى أن المراد بالحجازي الإمام الشافعي، فالشرح لم يكن بحاجة إلى كل ذلك الاستطراد.

وإذا كان الجانب الفني عموماً خافئاً في عمل هؤلاء الشراح بسبب انصباب جهدهم على تقريب المعنى وتوضيحه، فإننا لا نعدم لدى بعضهم وجود بعض الإشارات التي لفتت إلى بعض الظواهر الفنية في دالية المعري. وكان البطليوسي والخوازمي أكثر لفتاً إلى تلك الظواهر، بينما تكاد تكون منعدمة في شرح التبريزي.

وجاءت أكثر التفاتات البطليوسي إلى (التشبيه)، وذلك من مثل ما أورده في شرحه للبيت السادس عشر من الدالية، حيث قال: "شبه أبو العلاء الحياة بحال اليقظة، وحال الموت بحال النوم"^(٤٩). وما جاء أيضاً في تعقيبه على البيت الثلاثين، إذ قال: "شبه الدواة بالبئر، والقلم بالدلو، والمداد بالماء، تتميماً للصنعة، وإكمالاً للاستعارة"^(٥٠). وكذلك ما ذكره في بيانه لدلالة البيت التاسع والخمسين، حيث قال: "شبه هذا المتوفى بالبحر في كرمه وفي سعة علمه، وشبه غيره بالثمد، في قلة نيله وفي قلة علمه"^(٥١).

وأما الخوازمي فنراه يشير إلى لطيفة في البيت الثالث والخمسين، فيقول: "وفي هذا البيت لطيفة، وذلك أن المرثية هي الشعر الذي يُبكي به الميت، فمن حيث إن المرثية بكاء يناسبها الدموع، ومن حيث إنها شعر يناسبها أيضاً؛ لأن الشعر يشبه بالماء، والدموع ماء. ومتى أردت أن يظهر لك حسن هذا البيت فأضفه إلى قول الأعشى:

فَلَوْ كُنْتُمْ تَمْرًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً^{(٥٢)(٥٣)}.

ومن اللفات الفنية التي عني بها الخوازمي إشارته إلى تقرير المعنى وتأكيده، فنجد مثلاً يقول في شرحه للبيتين الخامس والسادس: "والبيت الثاني تقرير للبيت المتقدم"^(٥٤)، وقد تكررت هذه اللفظة في أكثر من موطن^(٥٥).

ومن الظواهر الفنية التي أشار إليها إشارته إلى الجناس الواقع بين "قصد" و"اقتصاد" في البيت الثالث والعشرين^(٥٦). وكذلك إشارته إلى أن قول المعري: "زهذا في

العسجد المستفاد" في البيت الثلاثين من إقامة المظهر مقام المضمّر^(٥٧). وكذلك إشارته إلى وجود نوع من المقابلة بين العلوّ والإطفاء في البيت الخامس والخمسين^(٥٨).

وعلى الرغم من هذه الإشارات إلى بعض الظواهر الفنية، فإنها ظلت إشارات يسيرة لم تخرج الشرح من مهمة الإفهام إلى التحليل الفني الذي يبحث في مستويات أكثر عمقا، وظلّ هدف تقريب المعنى هو المسيطر على عملها.

ومن المحاولات المعاصرة التي يمكن إدراجها تحت "مهمة الشرح" قراءة الدكتور طه حسين (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) للدالية. وقد صدع فيها بحكم تعميمي لا يستجيب لما تستلزمه القراءة العلمية من أدلة وبراهين تقنع القارئ بدقة هذا الحكم وصحته. يقول الدكتور طه حسين عن الدالية: "نعتقد أنّ العرب لم ينظموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم وحضارتهم قصيدةً تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء"^(٥٩). ويبدو أنّ الدكتور طه حسين كان يشعر بعدم تسليم القارئ له بهذا الحكم الكبير، وما انطوى عليه من تعميم؛ لذلك يردف قائلا: "نُتِّهَمُ ذوقنا و نُتِّهَمُ أنفسنا بالتعصب لأبي العلاء إشفافاً على الآداب العربية، ألا يكون فيها من الرثاء الجيد ما يعدل هذه القصيدة، ولكننا نضطرّ بعد الدرس وإجادة البحث إلى تبرئة أنفسنا من هذه التهمة"^(٦٠).

وعندما ننظر في طبيعة الدرس والبحث الذي يشير إليه، لا نجد سوى مجموعة من الأسئلة التي تعزّز إعجابه بالقصيدة، لكنها ظلت أسئلة غير مشفوعة بإجابات أو تعقيبات، تخرج الحكم من التعميم إلى التحليل والإقناع والقبول. فيقول معلقاً على الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة: "أيّ معنى أصحّ وأيّ لفظ أمتن! أيّ أسلوب أرقّ وأيّ تركيب أرقن! أيّ معرّض يستثير حزن القلوب ويستنزف ماء الشئون! أترى أنّ البكاء يردّ مفقوداً، وأنّ الغناء يحفظ موجوداً! أليس الاستبشار بالشيء مقدمة حزن

عليه؟ أرايت حزنك يعظم على الهالك، إن لم يكن حرصك عليه شديداً، وحُبُّك له موفوراً، وأنسُك بقربه عظيماً؟ أرايتك لو صدقت نفسك الحديث ووطنتها على احتمال الأشياء كما هي، تجدُّ كبير فرق بين الخير والشرِّ؟^(٦١). فهذه أسئلة تشعر بالمعنى، لكنها لا تخرج القراءة من طور الشعور إلى طور التحليل الموضوعي، الذي يقف بنا على دقائق النص، ويفسر علله وأسرارها.

وكان يقوده هذا بطبيعة الحال إلى قراءة الأبيات قراءة لا تتجاوز التفسير والشرح، ممّا جعلها أقرب إلى عمل الشراح منها إلى العمل التحليلي الناقد الذي يسبر أغوار النص، ويكشف عن عمقه. من ذلك تعقيبه على الأبيات (٤-٧): "انظر إليه: كيف أحسن المزج بين رأيه الفلسفي في انحلال الأجسام إلى عناصرها، وبين ما أراد من البكاء على الهالكين والعزاء للباقيين، والأمر بالتواضع والعظة، والنهي عن الخيلاء والاستكبار. كلُّ ذلك في لفظٍ لا يطمعُ الناقدُ في أن يجد إلى نقده سبيلاً". فهي ليست أكثر من دعوة إلى النظر والتأمل، لم تمارس فيها القراءة دوراً تحليلياً يلج إلى خبايا النص ويجلي مكامن التميّز فيه. ولا أدلّ على ذلك من قوله في ختام هذا التعقيب: "كلُّ ذلك في لفظٍ لا يطمعُ الناقدُ في أن يجد إلى نقده سبيلاً"^(٦٢)، فهو من القول الذي يحتاج إلى بيان وتفصيل سابقين حتى يكون القارئ على قناعة بصحة الحكم وصوابه، ولا يكفيه مثل هذا الإطلاق العام الذي يجافي ما يجب أن يكون عليه العمل النقدي من موضوعية تركز على التحليل والبرهان تجاه ما تطلّقه من أحكام.

ويمضي وقوف الدكتور طه حسين أمام الدالية على هذا النحو إلى أن يختم هذا الوقوف بإعادة حكمه التعميمي حولها وحول رثائية أبي العلاء الأخرى في جعفر بن علي المذهب، وذلك حين يقول: "وعلى الجملة فإنَّ إجادة أبي العلاء لفن الرثاء تنحصر في هاتين القصيدتين، وعندنا أنه قد بز بهما شعراء الرثاء جميعاً في الجاهلية

والإسلام^(٦٣). ولسنا في حاجة إلى إعادة القول فيما تتسم به مثل هذه الأحكام من تعميم لا تركز إليه القراءة الموضوعية.

هذا على الرغم من أنّ الدكتور طه حسين كان قد توقف في موطن سابق من كتابه، وقبل أن يشرع في قراءة الدالية بصفحات، أمام البيت الثالث من الدالية وقوفاً^(٦٤) فيه شيء من التفصيل الذي كان ينبئ بقراءة أعمق ممّا رأينا، خاصة وأنه أشار إلى أنه سيبين رأيه في القصيدة حين يعرض لها، فكان ذلك الوقوف، وهذه الإشارة، بمثابة وعدٍ بقراءة متأنية ستجلي أسرارها، وتكشف دقائقها، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فجاء عمله حاملاً أحكاماً عامة لا تتوافق مع التحليل الموضوعي، وأخرى خاصة تفتقر إلى الدليل والبرهان، مما جعله أقرب إلى العمل الشارح الذي يهتم بالدلالات العامة منه إلى العمل النقدي.

ب - المعنى

وستمضي الدراسة هنا إلى الكشف عن الأعمال التي عرضت للدالية عرضاً تجاوز الشرح والإيضاح إلى مرحلة أعمق، حاولت فيها تفسير المعنى العام الذي حكم النص، وبيان الرؤية التي انطلق منها، والكشف عن الدلالات الشعرية التي جاءت معبرة عن تلك الرؤية وحاملة مضامينها.

وتأتي قراءة حنا الفاخوري (١٩١٦-٢٠١١م) والدكتور يوسف خليف (١٩٢٢-١٩٩٤م) والدكتور هشام جديتاوي لدالية المعري نموذجاً لهذا النوع. والأعمال الثلاثة تنطلق من مدخل واحد تقريباً، فكلها يتخذ من فلسفة المعري مرتكزاً يفسر به مضامين النص ورؤاه. وهذا يعزّز القول بأنّ المنطلقات القرائية التي تضطلع بعبئها أي قراءة هي ما يقودها إلى اتخاذ نمط ما دون آخر، مما يجعل توارد الأنماط مرتبطاً إلى حدٍ كبير بتوارد المنطلقات.

يرى الفاخوري أنّ دالية المعري تقع في ثلاثة أقسام، قسم للتأمل الفكري، وقسم للتأمل الوجداني، وقسم للرثاء. ويتضح عبر هذا التقسيم أنّ الجانب التأملي يحظى بالخط الأوفر في القصيدة، ومن خلال هذا الجانب يحاول الفاخوري الكشف عن الرؤية الفلسفية في النص، فهو يرى أنّ المعري استطاع في هذه القصيدة أن ينقل الرثاء من طور العاطفة الضعيفة التي تنوّج وتتحب إلى طور العاطفة القوية التي تتألم وتفلسف أليها، وتغرقه في جو من التأمل الفلسفي الواسع الآفاق^(٦٥).

وفيما يتعلق بالقسم الأول - التأملي الفكري - فالشاعر فيه يثور ثورة عاطفية تلفها الفلسفة لفاً، وتسيطر عليها نظرة العقل سيطرة واسعة. فقد فجّع بصديق حميم، وأخ في المذهب مقيم، فأنفعل أشدّ انفعال، ولكن الدمع تحوّل إلى عبرة، والتلوّع تحوّل إلى تأمل، فوقف أبو العلاء على مشارف الوجود، وألقى من وراء عماء نظرة عميقة على الأرض، وقد أصبحت مقبرة كبيرة شخصت فيها القبور، وتكدّست فيها الرمم البالية، وغطّى تراب الأجساد صفحتها الكئيبة. وتعاقبت المشاهد على شاشة الزوال، فمرّ الخليقة منذ فجرها، وتعاقبت الأجيال، واتصل طرفا الزمان، وإذا هنالك فناء تغور في أعماقه الحياة، وإذا كلّ شيء باطل، وإذا الغرور جنون، والتكبر حماقة، والتعلق بالدنيا سخف^(٦٦). وواضح أنّ هذا الاستنطاق لمضامين النص يشير إلى أنّ محور الرؤية في هذا القسم هو موقف المعري من قضية الحياة والموت، وهو موقف حافل - كما ترى الدراسة - بنظرة حزينة، تنم عن زهد في الحياة، ونبذ لمظاهرها الزائفة.

وتصف الدراسة هذا الموقف وتلك النظرة بالعمق والاتساع؛ لأنّ الشاعر طوى فيها الحياة والوجود طياً، وامتدّ مع الزمان والمكان مدّاً وجزراً إلى ما لا حدّ له، فكشف عن حقيقة الوجود الإنساني، وعن حقيقة الزوال^(٦٧). وترى أنّ ذلك تم

بطريقة واقعية حافلة بالجرأة، يُلمَسُ فيها "نقمة أبي العلاء على الحياة والأحياء، وقد آلمه نظام الفناء وأن تكون الحياة بدء الموت، والموت زوالاً شاملاً، ولئن اتخذ موقفاً فلسفياً تجاه هذه الحقائق المصيرية، فما ذلك إلا موقف العنفوان المحطّم، والعجز تحت سيطرة القدرة الكونية التي وضعت هذا النظام"^(٦٨).

وإذا كانت تلك النظرة الحزينة قد لفت هذا القسم التأملّي الفكري، فإنّ الشاعر في القسم الثاني - التأملّي الوجداني - ينتقل إلى نظرة أخرى تبعث في النفس بعض العزاء، وهي أنّ الحياة طريق إلى الخلود، وأنّ الموت رقدة يستريح فيها الجسم، وأنّ الدهريين القائلين بفناء الأرواح جماعة وهم وضلال^(٦٩). وبهذا ترى الدراسة أنّ رؤية النص راوحت في قسميها بين تلك النظرة الحزينة وهذه النظرة التي حاولت بثّ العزاء. وإذا كان القسم الأول قد تمّ بطريقة جريئة واضحة، فإنّ القسم الثاني - كما ترى الدراسة - لم يكن أقلّ في جرأته ووضوحه؛ لأنّ المعري فيه كان "غير متردّد ولا حائر، وكثيراً ما تردّد واضطرب في قضايا المصير، فهو هنا مؤمن صادق الإيمان، وهو يتكلم جازماً، وكلامه حافل بالوضوح والسهولة والجرأة"^(٧٠).

وترى الدراسة أنّ المعري في كلا القسمين كان "مفكراً عميق الفكر، وفيلسوفاً بعيد المرامي"^(٧١)، وهذا يعني - كما تمّ بيانه - انشغال القراءة بمضامين ذلك الفكر، وتلك الفلسفة، وأنّ هذا الانشغال بتلك المضامين هو ما سيطر على حركة كشفها عن النص.

وعلى الرغم من انشغال الدراسة بتلك المضامين، فإنها رأت أنّ تلك المضامين جاءت في ثوب شعري واضح، لم تبدّد ملامحه تلك المضامين الفلسفية، فكان المعري بالإضافة إلى كونه مفكراً وفيلسوفاً شاعراً صاحب "عبقريّة خلّاقة، وعاطفة حية، وخيال واسع الآفاق. أمّا العاطفة فإننا نلمسها في كلّ عبارة وكلّ لفظة، وهي متشائمة حزينة ثائرة، ولا عجب في ذلك إذ تجمّعت في نفس الشاعر ذكريات شقائه، وسلسلة

النكبات التي أثقلت حياته، والظلمات الكثيفة التي تعثرت فيها قدماءه، وتمثّلت له وحشة الانفراد في شتّى سجونته، وشخص أمامه زوال البشر، فتساوى عنده البكاء والغناء، والبقاء والفناء، وأصبحت الحياة في نظره كلا شيء. وأمّا الخيال فهو المصوّر والمملون، وهو عند أبي العلاء المعري شطحات واسعة تجعل أديم الأرض من أجساد البشر، وصفحة الأرض قبوراً تملأ الربح، والمدافن ميادين يتزاحم فيها المتسابقون إلى الفناء^(٧٢). ومهما يكن من محاولة الدراسة هنا إبراز الثوب الشعري، فإنّ انشغالها بمضامين النص الفلسفية لم يمكنها من جلاء ذلك الثوب، وظل كشفها عنه أقرب إلى تلك المضامين منه إلى الجانب الشعري والفني.

وأما القسم الثالث الذي تمحّض لرثاء الفقيه الحنفي فلم يكن منفصلاً - حسب ما رأيته الدراسة - عن أجواء تلك المضامين الفلسفية، بل ظل دائراً في فلكها، فقد ودّع فيه الشاعرُ الفقيدهُ بكلام مؤثّر تنبض فيه العاطفة الحزينة الصادقة، وحرص على أن يبرز فيه ميزتي العقل والزهد، وأن يوضح فلسفته في الحياة تلك التي اعتنقها أبو العلاء، وكان فيها عميق التفهّم لحقيقة الوجود البشري على وجه الأرض، شديد الترفع عن أباطيل الدنيا^(٧٣). وهذا يؤكد أنّ الهمّ الذي اضطلعت به دراسة الفاخوري هو الكشف عن الرؤية التي حملها النص، وبيان ما تضمّنته من مواقف وأفكار، وأنّ ذلك كان هاجسها في كل قسم من أقسام النص، بل إنّ طبيعة التقسيم نفسه الذي اتخذته الدراسة لم يكن منفصلاً عن ذلك الهمّ، فجاء متسقاً معه، وحاملاً أبعاده.

وأما دراسة الدكتور يوسف خليف فتبدأ ببيان فلسفة أبي العلاء لقضية الحياة والموت من خلال ما حملته الأبيات الثلاثة الأولى من مضامين تلك الفلسفة، فالمعري فيها كأنه يستشرف الحياة من أعلى قمة إنسانية، وينظر إليها نظرة شاملة يحاول من

ورائها أن يستشف أسرار الكون، وأن ينفذ إلى أعماقه؛ ليستخلص منها القوانين الثابتة التي تتحكم في حركة الحياة، وأن ينظر من خلال رؤية فلسفية إلى قضية الموت والحياة، أو قضية الوجود والعدم. فالحياة في طرفيها: البداية والنهاية متشابهة، لا فرق بين مشهد الموت ومشهد الميلاد، فصيحة البشير بمولود يستقبل الحياة لا تختلف عن صيحة النعي براحل يودّع الحياة، تماماً كما يختلط في السمع صوت الحمامة فوق غصنها فلا ندري أهو غناء أم بكاء^(٧٤). وهي محاولة للقبض على الفكرة التي ارتكز عليها النص، وكانت محور نظرة المعري فيه لقضية الحياة والموت، وكيف تشابهت لديه البداية مع النهاية، فاستوى الميلاد مع الموت، ولم يعد لأحدهما مزية على الآخر.

وظل هذا البيان لفلسفة المعري شاغل الدراسة، والمسيطر على حركتها وهي تحاول الكشف عن دلالات النص، فتلفتت الدراسة إلى صيحة أبي العلاء في أن يخفف الإنسان من وطئه على الأرض؛ لأنّ "تراب هذه الأرض التي ظلت تستقبل أفواج الموتى منذ بدأ الله الخلق، وستظل تستقبلها حتى يوم القيامة، لا بد أن يكون من أجساد هؤلاء الموتى، وكأننا حين نسير فوقها نسير فوق هذه الأجساد"^(٧٥)، ثم تشير إلى سخريته الحزينة من مصير الإنسان في الحياة الذي قد يجمع في النهاية بين الأعداء والخصوم في قبر واحد^(٧٦).

وتتابع الدراسة كشفها نظرة المعري الفلسفية لقضية الحياة والموت، وتتصور المعري حيران أمامها، فتستشف من الأبيات (١٣-١٦) عدداً من أسئلة تلك الحيرة: "هل الموت عند التأمل فناء؟ هل فناء الجسد عند الموت يعني فناء الحياة؟ فأين الروح؟ وإلى أين المصير"^(٧٧). ولكن نظرة متأملة إلى تلك الأبيات لا تنبئ بتلك الأسئلة، ولا بما تصورته الدراسة من حيرة؛ لأن نظرة المعري إلى المصير واضحة في هذه الأبيات، فالبيت الثاني عشر ممتلئ بتصور إيماني لما بعد الممات، فليس الموت فناء، بل هو انتقال

من دار العمل إلى دار الجزاء. ولعل هذا ما دفع الدكتور يوسف خليف إلى التعقيب بأن نظرة المعري ارتفعت في قضية الحياة والموت إلى أفق فسيح يمتزج فيه الإيمان الديني بالفكر الفلسفي، وتتحوّل معه هذه النظرة التي بدأت متشائمة حزينة إلى رؤية جديدة تتجاوز ظاهر الحياة الذي تدركه الحواس إلى سرها الكامن في أعماقها الذي يختفي وراءها ظواهرها الفانية، فليست الحياة فناء كما تبدو في ظاهرها، ولكنها - في حقيقتها - انتقال من عالم عمل إلى عالم جزاء، وليس الموت نهاية حزينة، ولكنه صورة من النوم يستريح الجسم فيها من تعب الحياة وأعبائها بعد ما طال سهره وسهاده فيها^(٧٨).

وتتخذ الدراسة من الأبيات الثلاثة الأخيرة تأكيداً لهذه النظرة التي نظر بها المعري إلى قضية الحياة والموت، وتجعل منها تسجيلاً لموقفه النهائي من هذه القضية، "فالحياة فانية، وأمر الله لا مردّ له ولا رجعة فيه، ولن ينتهي خلاف المفكرين حول هذه القضية إلى شيء إلا إلى الإيمان بقضاء الله الذي لا شك فيه. والعاقِل من يعرف الحياة على حقيقتها، وأنّ مصيرها إلى الفناء"^(٧٩).

وأما دراسة الدكتور هيثم جديتاوي للدالية فقد أتت ضمن دراسته التي جاءت بعنوان: "المفارقة في شعر أبي العلاء المعري دراسة تحليلية في البنية والمغزى"، واتخذ الباحث من الدالية وقصيدة أخرى نموذجين تطبقين لدراسته، فقد طبّق عليهما مفهوم المفارقة في آخر الدراسة.

ويعلّل الدكتور جديتاوي في بداية دراسته التطبيقية للدالية للمكانة الرفيعة التي احتلتها الدالية لدى الدارسين بقوله: "فإنني لا أراها احتلت هذه المكانة الرفيعة لديهم لما تميّزت به من مشاعر الحزن والألم والإحساس بالفجيعة على المراثي، ولا لما تميّزت به من موسيقى عذبة، وقافية مطلقة، وصور متألّقة، مع اعتقادي باشتغالها على ذلك كله، ولكن لما ضمّنها المعري من نزعة فلسفية ناضجة، وموقف من الحياة والموت عزّ

أن نجد له نظيراً عند غير أبي العلاء^(٨٠). وواضح من هذا أن الدراسة ترى في النزعة الفلسفية سبباً رئيساً لما تبوّأته الدالية من مكانة، وهذا مؤشّر على أن تطبيقها لمفهوم المفارقة سيكون من خلال رصد هذه النزعة الفلسفية، وهذا يعني أنه رصد ينبع في الدرجة الأولى من تتبّع مضامين القصيدة وما حفلت به من رؤى.

ويعزّز ذلك ما انتهى إليه في صدر دراسته من تعريف لمفهوم "المفارقة"، إذ يعرفها بقوله: "المفارقة هي أسلوب تعبري يهدف إلى إيصال المعنى بطريقة إيحائية وشفافة تجعل القارئ يرفض النص بمعناه المباشر ويستبطنه لاستخراج معانٍ متعددة دون أن يمتلك القدرة على ترجيح أحدها على غيره مع ما يمكن أن تتّصف به من تنافر أو تباين أو غموض، ومع ما تثيره من مشاعر السخرية عند منشئها ومتلقيها على حدّ سواء^(٨١)". وهذا دالٌّ على أن استكناه هذا المفهوم للمفارقة لا يتمّ إلا من خلال رفض المعنى المباشر واستخراج معانٍ متعددة أكثر عمقا، أي أنّ البحث عن دلالات هذا المفهوم في الشعر لا يكون إلا من خلال المعنى، وفي هذا دلالة على أنّه عمل يبحث في المضامين، وما انطوى عليه النص من رؤى.

ويبدأ الدكتور جديتاوي دراسته التطبيقية للدالية بتوزيع القصيدة في ثلاثة محاور هي: موقف أبي العلاء من الحياة والموت، وفي رثاء الإنسانية، وفي رثاء أبي حمزة. وتقوم الدراسة بتوزيع أبيات القصيدة على هذه المحاور الثلاثة، ولكنه توزيع لا يلتزم بتسلسل أبيات القصيدة، فنجد في المحور الواحد أحياناً أبياتاً من أجزاء متفرقة من القصيدة. ونحن لا نعترض على تقسيم القصيدة إلى محاور، فمن حقّ أيّ دراسة أن تقوم بذلك، ولكننا نسجل اعتراضاً على إعادة توزيع الأبيات على المحاور توزيعاً لا يلتزم بتسلسل الأبيات؛ لأنّ في ذلك تدخلاً من الدارس في طريقة بناء القصيدة ونظامها الذي جاءت عليه، ممّا يحيل القصيدة إلى نظام آخر مفارق لما هي عليه،

ومعلوم أنّ بناء القصيدة ليس نظاماً في الشكل والهيكل العام فحسب، بل هو أيضاً نظام في طريقة ترتيب المعاني في القصيدة كما أراد لها صاحبها.

وترتكز الدراسة في كشفها عن المفارقة في المحور الأول "موقف أبي العلاء من الحياة والموت" على فكرة مؤداها إلى أنّ موقف أبي العلاء من الحياة والموت قائم على فلسفة قد ترتد إلى أصول يونانية في كثير من جوانبها^(٨٢)، وتمضي الدراسة في تجليتها لمفهوم المفارقة في هذا المحور انطلاقاً من هذه الفكرة.

وبناء على ذلك تفسّر الدراسة فاتحة الدالية "غير مجد" بأنها دعوة من أبي العلاء إلى مواجهة مصيبة الموت ببرود وعدم حزن وجزع^(٨٣). وترى الدراسة أنّ المعري متأثر في ذلك بمبدأ الرواقية والأبيقورية الذي ينص على السيطرة على الانفعالات لتحقيق حياة طيبة، ومواجهتها بجمود حسّ وتبلّد تام في ضرب من اللامبالاة^(٨٤).

ومن هنا رأت الدراسة أنّ هذه البداية التي بدأ بها الشاعر قصيدته "تشكّل مفارقة كبرى إزاء هذا المصاب الجلل، لاسيما وهو يبدأ بها قصيدة رثائية كان منتظراً منه أن يُبدي حزنه وألمه على فقدته لشخص يكنّ له مشاعر الحب والتقدير، شأنه في ذلك شأن كثير من شعراء الرثاء تعبيراً منهم عن تعاطفهم وشعورهم بمشاعر أهل الفقد، لكنه أراد أن يعبر من خلالها عن موقف خاص به، فعدم الجدوى في (ملته واعتقاده) هو، وهذه هي المفارقة الأولى في النص^(٨٥). وواضح من هذا أنّ الكشف عن المفارقة الأولى في النص جاء من خلال ما رآته الدراسة تفسيراً لما انطوى عليه مطلع الدالية من مضامين.

وتستمرّ الدراسة في الانشغال ببيان ما أسمته "بالمفارقة" من خلال تفسير مضامين النص وردها إلى الفكر اليوناني، فتري على سبيل المثال أنّ المعري في البيت السادس

عشر من الدالية متفق فيه "مع الفكر اليوناني الذي يقول بأنّ النفس سجينة في الجسم، تتحرر عندما يموت الجسم، وكأنه يقول: إنّ النفس تشقى بانحباسها في الجسم، كما الجسم يشقى بالنفس، لذلك يستريح الجسم بخروج هذه النفس منه"^(٨٦). وتخلص من ذلك إلى أنّ موقف المعري من الحياة والموت يشكل "موقفاً مفارقاً ومبايناً لمواقف غالبية الناس وعامتهم غير مبال بذلك؛ لأنّ لديه ملة وعقيدة يعتقدهما ويؤمن بهما أظنهما تخالفان عقائد الناس من حوله ومللهم"^(٨٧).

ومن الوقفات التي وقفها الدراسة - وهي ماضية في تجلية المفارقة في القصيدة - وقوفها أمام البيتين الثالث والستين، والرابع والستين، وهما بيتان يمسان كما ترى قضية "حيرة الناس في المصير الذي سيؤول إليه الميت، فبعضهم يقول بأنّ الموت يكون للجسم دون النفس، وبعضهم يقول بتناسخ الأرواح، والديانات السماوية لاسيما الإسلام تؤكد بعث الجسم والنفس، وبعضهم يقول بفناء الجسم والنفس كما هو الحال عند أبيقور"^(٨٨). وتميل الدراسة إلى أنّ المعري كان "يعتقد الاعتقاد الأخير، (فالذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد) فهو مستحدث من جماد وإلى جماد يعود، لذلك وصف الإنسان الذي لا يغير بكون (مصيره لفساد) بالليب"^(٨٩)، وترى الدراسة أنّ المعري "لا يريد التصريح بعقيدته تلك لما لا يخفى من الأسباب، وهو يعيش في مجتمع إسلامي، فلجأ إلى أسلوب المفارقة بأبرز معانيها وأدقها، فجاء بتعبير يحتمل معنيين أحدهما ظاهر قريب: وهو أنّ مصير هذه الحياة إلى فساد، وأنّ الدار الباقية هي الآخرة، وهذا ما يريده كثير من الناس ويقبلونه منه...وثانيهما: أنّ مصير الحياة إلى فناء أبدي، فناء يطال النفس كما الجسم، لذلك فالليب هو من لا يغير بهذه الحياة"^(٩٠). هذا على الرغم من أنّ القصيدة كان تصرح في بعض المواطن بوجود حياة آخرة بعد الممات"^(٩١).

وعلى العموم تمضي الدراسة على هذا النحو من الانشغال بالكشف عن المفارقة من خلال تفسير المضامين في المحورين الآخرين كذلك. ففي المحور الثاني في رثاء الإنسانية الذي يشغل الأبيات (٤-١١) تتبدّى المفارقة في تباين نظرة أبي العلاء إلى الناس ونظرتهم إلى أنفسهم من جهة، وتباين نظرة أبي العلاء إلى الدنيا ونظرتهم إليها من جهة ثانية^(٩٢). فأبو العلاء يتخذ دور الموجّه الخير الذي خبر الحياة فنظر إلى الناس وسلوكهم وتصرفاتهم فوجدوها لا تتناسب وطبيعة هذه الحياة الغادرة، التي تغر البشرية بمظاهرها الفاتنة الزائفة حتى يشعر أحدهم أنه امتلكها إذا ما منحته بعض الثقة بها، من خلال خير حصله فيها، أو مكانة شغلها، فيسير فيها سير الواثق المطمئن متبخترا مختالاً... متناسياً أنه يسير على رفات آبائه وأجداده، ودون أن يشعر بأنها تكيد له، وتحيك له المصائب والمحن، حتى إذا ما ضمته بين جوانحها جعلته بمنزلة الغذاء الذي يغذوها ويمدها بالخصب والحياة (ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد^(٩٣)). وبناء على ذلك يدعو المعري إلى المصالحة بين بني البشر لأنهم مهما تباينت الفروقات فيما بينهم وتضادت، فسوف يستوون في مصيرهم ونهايتهم (الموت)، حيث تتلاشى تلك الفروقات والمباينات، وكأنه ينظر إلى الموت على أنه الشيء الوحيد الذي يحقق العدالة لبني الإنسانية^(٩٤).

وبالطريقة ذاتها تعالج الدراسة المحور الثالث في رثاء أبي حمزة، فترى على سبيل المثال أن الشاعر في الأبيات (٣١، ٣٢، ٣٤) وقع في المفارقة إلى حدّ أوقعه في التناقض والتضارب، إذ كيف يطلب الشاعر من مودعي أبي حمزة أن يغسلوه بالدمع) دلالة على غزارة الدموع المسكوبة حزناً عليه تارة، ويطلب منهما أن يتلوا النعش بالتسبيح لا (بالنحيب والتعداد) تارة أخرى، وكأنني بأبي العلاء قد أحس بالتضارب والتباين بين ما يؤمن به نظرياً في (غير مجد)^(٩٥)، وبين الواقع العملي، وهو

ما ينبغي على الشاعر الرائي أن يقوم به من تعبير عن حزنه وألمه بفقد المراثي، وهنا يقع الشاعر فريسة مفارقة عدم اتساق واقعه النظري والفكري مع واقعه العملي التجريبي^(٩٦).

ونستطيع من خلال كل ما مضى أن نصف دراسة الدكتور جديتاوي بأنها مشغولة بتطبيق مفهوم "المفارقة" على الدالية، ولم تر سبيلاً إلى تطبيقه سوى أن تبحث في مضامين النص ورؤاه، وما يتعلق بالنزعة الفلسفية للمعري، وظل ذلك ديدنها، ولم تلتفت الدراسة إلى أدوات تشكيل تلك المفارقة اللغوية والتركيبية، علماً بأن "المفارقة" من الأدوات المتصلة بالمنهج الأسلوبي، ولكن بقاء دراسة الدكتور جديتاوي في دائرة المضامين، وسيطرة ذلك على حركتها، هو ما جعلنا نضعها في هذا الموضع، وإن كان ظاهر عنوان دراسته يوحي بانضوائها تحت المكوّن "الأسلوبي".

وأخيراً، فإنه على الرغم من التفاتات الفاخوري إلى شيء من الملامح الفنية في القصيدة، فإننا نستطيع القول بأن الدراسات الثلاث قد شغلها الكشف عن مضامين القصيدة وما حملته من رؤى، عن إبراز الوسائل الفنية التي حملت تلك المضامين وعبرت عنها. وهذا يعني أن عبء تفسير المضامين، والبحث عن المعنى العام الذي حكم القصيدة قد طغى عليها، وصرفها عن الالتفات إلى جوانب أخرى في القصيدة.

ج - النغم والإيقاع

وتأتي دراسة الدكتور عبدالله الطيب (١٣٣٩هـ / ١٩٢١م - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)^(٩٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ممثلاً لهذا الاتجاه الذي يتركز اهتمامه على هذا الجانب المهم من جوانب الشعر، وهو النغم والإيقاع.

وبما أنّ دالية المعري جاءت على بحر "الخفيف"، فقد جاء حديث الدكتور الطيب عنها في معرض حديثه عن هذا البحر.

ويرى الدكتور الطيب أنّ الخفيف بحر "يُجَنح صوب الفخامة، وهذا النعت ينطبق عليه إذا قسناه إلى جنب السريع والأحدّ والمنسرح، أما إذا وازناه بالطويل والبسيط فهو دونهما في ذلك"^(٩٧). والسر في فخامة الخفيف بالنسبة إلى البحور التي ذكر كامنٌ في أنه "واضح النغم والتفعيلات، فلا يقرب من الأسجاع قرب السريع، وأنه ذو دندنة لا تمكّن من الحوار الطبعي كما يمكن الأحدّ، فإذا جاء الحوار فيه جاء كأنه مسرحي، وأنه مشابه للمديد، والمديد مشابه له، وفي كليهما صلابة تمنعهما أن يلينا لين المنسرح فيصلحا لما يصلح له من تأنث"^(٩٨).

وأما فيما يتعلق باستعمال هذا البحر فقد كان كثير الاستعمال بين شعراء ربيعة والحيرة، تجده في شعر المهلهل والحارث بن عباد وعدي بن زيد والأعشى، قليلاً بين شعراء مضر المغاربة حتى لا نكاد نجده في دواوين زهير والنابعة وعنتر. ولعل صلة هذا البحر القوية بالحيرة هي التي هيأت له لأن يصلح للغناء والترقيق"^(٩٩).

وأما بالنسبة للأغراض التي تُظمت على هذا البحر فقد جاءت "بين طرفي الغزل والحماسة، والمديح والهجاء، والرثاء والفخر... ومع ذلك فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا، من وضوح النغم واعتداله، بحيث لا يبلغ حد اللين ولا حد العنف ولكن يأخذ من كلّ بنصيب"^(١٠٠).

وأما قوافي الخفيف فيرى الدكتور الطيب أنها كانت "عظيمة الأثر في طبع أنغامه بطابع خاص. ولهذا فقد جرت قصائد منه منذ عهد بعيد على مذهب المجازاة، بحيث تشتم في المتأخر منها نفساً من المتقدم"^(١٠١).

وانطلاقاً من هذا الذي يذكره الدكتور الطيب من المجارة التي نشتم فيها أنفاس المتقدم في المتأخر، راح يبحث في تاريخ النغم لداليات الخفيف الذي تقع دالية المعري في فلكه. فمن أقدم ما جاء على الدال مجمهرة أبي زبيد الطائي^(١٠٢) التي جاء مطلعها:

إِنَّ طُولَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سُعُودٍ وَضَلَالٌ تَأْمِيلُ نِيلِ الْخُلُودِ

وقد حركت هذه الدالية بما انطوت عليه من رقة ورنه شجية مجموعة من الشعراء إلى مجاراتها "لا في الرثاء فحسب، ولكن في النسيب وما بمجرأه من ضروب الرقة"^(١٠٣). من ذلك دالية بشار التي قال فيها:

أَيُّهَا السَّاقِيَانِ صُبًّا شَرَايِي وَلَا سَقِيَانِي مِنْ رِيْقٍ بَيْضَاءِ رُودِ

وعلى نهج بشار سار البحري في دالياته المخفوضة^(١٠٤)، كداليتة التي يقول في مطلعها:

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ دَمُ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(١٠٥)

وعلى مذهب هذه القصيدة سار المتنبّي^(١٠٦) في قوله:

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قَتِلْتُ شَهِيدِ بَيَاضِ الطَّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ^(١٠٧)

ويذكر الدكتور الطيب وهو يواصل تتبعه لهذا النغم على داليات الخفيف أن محمد بن مناذر - من طبقة بشار - سلك سبيل أبي زبيد نفسها "من الاعتماد في الترقيق على المعنى دون اللفظ، ومن النظم على هذا الروي في الرثاء"^(١٠٨) وذلك في قصيدته التي يقول في مطلعها:

كُلُّ حَيٍّ لَأَقِي الْحِمَامِ فَمُودِي مَا لِحَيٍّ مُؤَمِّلٍ مِنْ خُلُودِ^(١٠٩)

ثم يقول بأن أبا تمام قد تنسم "عطر هذه المرثية الفريدة في داليتة الخفيفة التي استعطف بها ابن أبي دؤاد"^(١١٠)، ومطلعها:

سَعِدَتْ غَرْبَةُ النَّوَى يَسْعَادٍ فَهِيَ طَوُّعُ الْإِثْهَامِ وَالْإِنْجَادِ^(١١١)

وعلى منوال هذه القصيدة نسج المتنبي داليته^(١١٢):

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَادِ^(١١٣)

ويرى الدكتور الطيب أنها أجود من دالية أبي تمام، وأنسب وأوقع في بحر الخفيف منها، وقد أحسن المتنبي جداً إذ خلط كلامه ومدحه فيها بالتأمل التاريخي^(١١٤).

وبعد هذا التتبع الدقيق لتاريخ النغم على داليات الخفيف والمخفوض منها بوجه خاص، يصل الدكتور الطيب إلى دالية المعري والإعجاب يحفه بما جاءت عليه من نغم جارت فيه هذا التاريخ النغمي مجارة المباري لا الحاكي المتبع. ورأى أن هذه المجارة كانت قسمة بين ابن منذر من جهة، وأبي تمام والمتنبي من جهة أخرى، فالنظر إلى ابن منذر كان يتجه إلى اللفظ والمعنى وطريقته في ضرب الأمثال، والنظر إلى أبي تمام والمتنبي كان يتجه إلى الروي والوزن وأسلوب التوليد. يقول الدكتور عبدالله الطيب: "وقد جاء بعد المتنبي شاعر عظيم هو أبو العلاء المعري، نظر إلى ابن منذر مباشرة في لفظه ومعانيه وطريقته في ضرب الأمثال، كما نظر إلى أبي تمام والمتنبي في الروي والوزن وأسلوب التوليد بغرض المباراة لا المحاكاة، والمجارة لا التبعية"^(١١٥).

وقد مثّلت دالية المعري لدى الدكتور الطيب قمة ما وصل إليه النضج النغمي على داليات الخفيف، حيث بلغت - كما يرى - مستوى من الإجازة لم تتجاوزه قصيدة بعدها في هذا الوزن والروي، ولذا نراه يختم حديثه عن داليات الخفيف بقوله: "هذا، وليس على الدال من هذا الوزن والروي شيء يذكر بعد كلمة أبي العلاء هذه، وكأنه استنفد بها جميع ما يمكن قوله في هذا القرى فلا يستطيع أحد أن يسلكه بعده"^(١١٦).

د - الدراسة الأسلوبية

وتأتي دراسة الدكتور رائد جميل عكاشة المعنونة بـ"رؤية العالم عند المعري - قراءة أسلوبية لداليته" نموذجاً للدراسة الأسلوبية.

وأول ما يُلاحظ على هذه الدراسة أنها مزجت بين اتجاهين نقديين، الاتجاه الأول هو البنيوية التكوينية؛ إذ إنَّ مصطلح "رؤية العالم" هو من نتاج البنيوية التكوينية عند أحد أهم أعلامها وهو لوسيان غولدمان. ومن الواضح أنَّ البنيوية التكوينية نشأت استجابة لسعي بعض المفكرين والنقاد الماركسيين للتوفيق بين طروحات البنيوية، في صيغتها الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي، كما يسمى أحياناً، في تركيزه على التفسير المادي الواقعي للفكر والثقافة عموماً^(١١٧). وأما الاتجاه الآخر فهو الأسلوبية، والأسلوبية من الاتجاهات النقدية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدراسات اللغوية التي قامت على يد العالم اللغوي دي سوسير، وإنَّ كان ثمة فوارق بين طريقة الدراسات اللغوية وعلم الأسلوب، فإذا كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة فإنَّ علم الأسلوب يركز على طريقة استخدامها وأدائها، إذ إنَّ المتكلم أو الكاتب يستخدم اللغة استخداماً يقوم على الانتقاء والاختيار، ويركب جملة ويؤلف نصه بالطريقة التي يراها مناسبة. وقد ركزت كثير من الدراسات التي قامت حول الأسلوب على الفروق الواضحة والجلية بين علم اللغة وعلم الأسلوب^(١١٨). وهذا يعني أنَّ دراسة الدكتور رائد عكاشة مزجت بين حقلين نقديين مختلفين في تكوينهما المعرفي، وفي طريقة دراستهما للنص.

وتناولت دراسة الدكتور رائد عكاشة دالية المعري عبر مستويات ثلاثة هي: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. وارتكزت الدراسة على رؤية كلية للمعري "مبنية على ثنائية الموت والحياة"^(١١٩). وهذا يعني أنَّ هذه الدراسة

تتقاطع في نقطة ارتكازها مع دراسات أخرى انطلقت من الرؤية ذاتها، وإن اختلفت عنها في الاهتمام بالمكون النصي، وذلك كما رأينا في الدراسات التي استحوذ "المعنى" على اهتمامها.

وقد مثّل فصلُ المستوى الدلالي عن المستويين السابقين (الصوتي والتركيب) ارتباطاً في الدراسة، وذلك بحكم التلازم العالق بين الصوت والتركيب وما ينتج عنهما من دلالة. لذلك نجدُها في بداية حديثها عن المستوى الدلالي تقول: "ولعل البحث في دراسته للمستويين: الصوتي والتركيب قد تطرق إلى جزء كبير من محتويات المستوى الدلالي؛ فثمة اتصال متجدّر بين المستويات الثلاثة وتعاقد، لم يستطع البحث أن يبلور تقسيماً منطقياً يستطيع من خلاله أن يدرس كل مستوى بمفرده، ممّا يعني أن يكون هذا المستوى إكمالاً وتتميماً لما لم يحط به المستويان الصوتي والتركيب" (١٢٠).

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ دراسة الدكتور رائد عكاشة تعد من أكثر الدراسات النصية التي تناولت الدالية شموليةً، فقد حاولت أن تكشف عن سمات النص الفنية بصورة موضوعية تتناول مكونات النص، بدءاً من وحداته الصغرى على مستوى الحرف والكلمة وحتى وحداته الكبرى على مستوى التركيب والتكوين النصي العام. وكانت الدراسة في كل مستوى تحقق نتائج تحليلية جيدة.

ففي **المستوى الصوتي** التفتت الدراسة إلى الدلالات الناتجة عن استخدام بعض الحروف، والكلمات، وما يترتب على ذلك من تشكيل إيقاعي يُحدث أثراً صوتياً يسهم في تكثيف العلاقة بين الدال والمدلول، وفي توطيد ثنائية الموت والحياة التي ترى القراءة أنّ القصيدة ترتكز عليها.

ففي الحروف نجدُها مثلاً تقف عند تكرار حرف السين في البيت الثالث عشر، وهو حرف شديد الوقع يلفت الانتباه، فهو احتكاكي مهموس، يستبين من خلاله

الاتساق الواضح "بين البنية الصوتية التي تتكرر في صوت الحرف، وما تنبثق عنه من دلالة من جهة، والحالة المهيمنة في القصيدة من جهة أخرى؛ إذ عبّر الاحتكاك والهمس عن لفت النظر تجاه التقابل بين حالي الموت والحياة"^(١٢١).

وعلى مستوى الكلمات تحاول الدراسة استجلاء القيمة الصوتية للجناس، فتري فيه "صيغة صوتية إيقاعية ودلالية، تتخذ من حاستي السمع والبصر مستويين يؤديان إلى التقارب الدلالي؛ إذ تبرز حاسة السمع من خلال تتبع إيقاع الأحرف عند التصاقها، وتبرز حاسة البصر من خلال تتبع رسم الحروف وما يتفق منها وما يختلف، وبذلك فإنّ بنية التجانس ليست ذات قيمة إيقاعية فحسب، وإنما بنية تعمل على المستوى الدلالي، وتدفعه إلى النضج والاكتمال"^(١٢٢). وتتخذ من كلمة "المعاد" وتكرارها المنفي في البيت الرابع والأربعين مثالا لذلك، حيث إنّ "الجناس المائل في معاد/ المعاد حقق تماثلا على المستوى الصوتي، إلا أنّ ارتباط معاد بلا النافية للجنس أدّى إلى التضاد الدلالي، ولعل الشاعر يقصد هذه المماثلة الصوتية والتضاد الدلالي، كي يعبر عن تلك الثنائية الجدلية المتمثلة في التقابل والتضاد بين الحياة والموت"^(١٢٣).

وتلقت الدراسة إلى التوازن الصوتي بين الكلمات وما يؤديه من دور في ترسيخ ثنائية الموت والحياة "وتصوير ضعف الإنسان أمام الطبيعة، واندثار ثوابت الطبيعة أمام فكرة الموت"^(١٢٤). وتتخذ من التوازن الصوتي القائم بين كلمتي (أحسا) و(آنسا) في البيت العاشر مثالا لذلك؛ إذ يبرز التوازن الصوتي بينهما "فهما كلمتان مشحونتان بدلالات عميقة، إذ تدلان على الحسي والمعنوي في تفاعل مظاهر الطبيعة مع نظرة الشاعر إلى الموت والحياة"^(١٢٥).

وفي المستوى التركيبي والدلالي نجد الدراسة تكشف عن إمكانات النص في التعبير عن موقف الشاعر ورؤيته من خلال استثمار أساليب اللغة وتنوع طرائقها، وكذلك من خلال استثمار التراث والتاريخ وما تضمّنه من رموز ودلالات.

من ذلك بيانها مثلاً لدلالة التقديم والتأخير في البيت الثاني عشر، فلكي يصوّر الشاعر الدنيا تصويراً سلبياً، وأنها لا تستحقّ العناء قدّم (التعب) على المؤكّد (كلّها) والمؤكّد (الحياة) على خلاف الأصل... والأصل: الحياة كلها تعب. ولعلّ التقديم والتأخير في هذا البيت تعدّي أن يكون في موقع واحد، فهو يقدّم (تعب) على كلها الحياة، ويقدّم (كل) على الحياة، وكأنّ الانزياح خروج على أصل الحياة، وحتى لا يخرج الشاعر عن مبدئه ورؤيته المبنية على التشاؤم، كان لا بدّ له من الابتعاد عن البداية التفاضلية الممثلة في كلمة (الحياة)، وأنّ يتجه نحو التشاؤم باستخدامه للفظ (تعب)؛ لأنّ المقدم هو مركز الحديث والفكرة^(١٢٦).

وتحاول الدراسة أن تستكشف بعض دلالات الأساليب الإنشائية في القصيدة، فتقف أمام أسلوب "الأمر" في البيت الخامس وما يتضمّنه من دلالات متعددة، فالشاعر يدعو الإنسان إلى الرفق بهذه الأرض "مستخدماً الفعل (خفّف) الذي يفيد معاني عدة في الوقت ذاته، لاختلاف أوجه التأويل، فهو قد يفيد النصيح، إذ إنّ الشاعر على درجة من الوعي تؤهله لكي ينصح ويرشد ذلك الإنسان الغافل. وهي قد تفيد الالتماس؛ لأنّ المتكلم والمخاطب على قدر من المسؤولية الإنسانية تجاه الحياة والأرض والكون. وقد تعطينا معنى التحقير، وهذا له مسوّغ كبير؛ إذ يتسق مع البيت الذي يليه ضمن إشارة دلالية وفّرتها جملة (وقبّح بنا)... إذ تدل على دنو المكانة الإنسانية أمام هذه القبور. كما أنّ معنى التحقير يتسق والدلالة العامة للنص، والرؤية الكلية للشاعر، التي ترى تماهياً بين الحياة والموت، و(عبيّة) من الإنسان^(١٢٧).

وأما فيما يتعلق بتوظيف الشاعر للتراث والتاريخ ورموزهما في التعبير عن رؤيته تجاه الذات والكون، وفي الإسفار عن نظراته تجاه الموت والحياة، فنجد الدراسة على سبيل المثال تقف أمام استثمار القصيدة للتاريخ من خلال اختيارها لقبيلة عاد في البيت الرابع؛ للدلالة على قدم العهد، وفيها "دعوة إلى التدبر والتأمل في مصير من سبقوها، وأين هي آثارهم وقد كانوا أشدّ منا قوة وآثارا"^(١٢٨). وكذلك تقف الدراسة أمام استثمار القصيدة للصورة الشعبية (للحَمَام) التي بقيت وفية لفرخها الذي هلك أيام نوح عليه السلام فما زالت تبكي عليه إلى يوم القيامة^(١٢٩). كما تقف أمام توظيف القصيدة بعض أحداث قصة سيدنا سليمان عليه السلام^(١٣٠)، وكذلك أمام استعانتها بالمصادر النصية (القرآن الكريم)؛ للتنبؤ بزوال مظاهر الكون الأرضية والسماوية بما يحقق فكرة الفناء^(١٣١).

تلك بعض الأمثلة التي سعيينا من خلالها إلى التدليل على ما أنجزته الدراسة من نتائج تحليلية، حاولت أن تتكئ في الوصول إليها على منهجية علمية، وطريقة موضوعية تستند إلى التحليل والتعليل والتدليل، وهذا ما لم نقف عليه بهذه الشمولية النصية في الدراسات السابقة.

٣ - منهج الانتخاب والاختيار/ ما بعد النص

وبعد أن فرغنا من الوقوف أمام الدراسات التي دارت حول نص الدالية، والأخرى التي تناولت التكوين الداخلي لها، نأتي هنا لننظر نظرة أخرى تحاول أن تستبين الأثر الذي أحدثته الدالية، ومدى ما نالته من تفاعل، أي هي وقفة فيما بعد النص، وما تركه من أثر. وسنحاول قياس هذا الأثر واستجلاءه من خلال أحد أهم مظاهره، وهو حضور الدالية في كتب الانتخاب والاختيار، والكيفية التي جاء عليها.

منذ أن بدأ التفكير في تدوين الشعر العربي ضمن حركة التدوين في الثقافة العربية والإسلامية في القرن الثاني الهجري، رافق هذه الحركة نزوع إلى كتب الاختيار والمنتخبات الشعرية. وربما جاز القول بأن فكرة الانتخاب والاختيار قديمة يمتد زمنها إلى الجاهليين، بحيث يمكن أن نعد المعلقات هي البنية الأولى لهذه الفكرة.

والانتخاب قائم لدى المُنتخب على أسس ومعايير علمية وذوقية. فليس الانتخاب فعلاً عشوائياً، بل هو فعل محكوم بتلك الأسس والمعايير، وما رافقها من حاجات معرفية تفرضها ظروف الزمان الذي تتولّد فيه وتنشأ.

وليس المُنتخب مفصلاً عن تلك الحاجات والظروف، بل هو منفعل بها وفاعل فيها في الآن ذاته، فبقدر ما تدفعه تلك الظروف والحاجات إلى الكيفية التي يمارس بها الاختيار والانتخاب، بقدر ما تظل استعداداته الذوقية والذاتية حاضرة لا تغيب، وإن تفاوت حجم ظهورها، من مُنتخب إلى آخر، حسب طبيعة تلك الاستعدادات، وحسب قوة الحاجة المعرفية، والمعيار العلمي الذي يشارك في توجيه عملية الانتخاب والاختيار.

من هنا كان الانتخاب والاختيار ممارسة تحكمها مجموعة من الحاجات والمعايير المعرفية والذاتية، فهي تنبئ عن قدرة المنتخب، وعن مدى تفاعله مع حاجات زمانه المعرفية، وما يكتنزه من خبرات علمية وجمالية وذوقية تُسهم في طبيعة الاختيار وتسيير وجهته.

وهذا ما جعل بعض الباحثين يرى أن كتب الانتخاب والاختيار تصوّر البعد الفكري والذوقي لدى أصحابها؛ لاختيار النصوص المتماسكة في أنساقها وترابط أجزائها^(١٣٢).

وإذا كانت عملية الانتخاب التي تمت في بدايات عهد التدوين قد حكمتها في كثير من توجهاتها حاجات معرفية، كالحفاظ على اللغة، وسلامتها، والحفاظ على الشعر نفسه من الضياع والاندثار، مما قلّل من حضور العامل الجمالي والذوقي في هذه المرحلة، فإنّ هذا العامل سيأخذ في التنامي كلما ابتعدنا عن هذه المرحلة، وكلما قلّت تلك الحاجات المعرفية، خاصة بعد استقرار مدونات اللغة وعلومها.

وإذا كان أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) هو أحد شعراء القرن الخامس الهجري الذي انفصل عن مرحلة التدوين وحاجاتها، واستقرار مدونات اللغة الأصيلة، فإنّ هذا يعني أنّ عملية الانتخاب التي مورست تجاه شعره، كان العامل الجمالي فاعلا فيها إلى حد ما، لا سيما وأنها تبتعد خطوة أخرى عن تلك المرحلة؛ لأنها في الغالب لم تتم إلا بعد رحيل المعري. واختيار نص ما ضمن مجموعة مختارات أدبية هو اعتراف بقيمته الأدبية، وبجدارته بأنّ يُتقبّل ويُحفظ ويُتدارس ويروج في الآفاق، ثم لا شك في أنّ تلك القيمة تتضاعف كلما كان أمام المؤلف المُنتخب مدوّن ضخمة من النصوص الأدبية؛ لأنه سيكون عليه أن يختار من تلك المدوّن الضخمة أجود النصوص، وأكثرها تمثيلاً لمعايير الجودة الأدبية عنده^(١٣٣).

وهذا يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ كتب الاختيار الشعري تعبر عن دهشة فنية منبثقة عن فعل كامن في الأثر الفني تقود إلى اختياره، وإلى جعل هذه الدهشة أمراً مشتركاً بين قراء كثيرين^(١٣٤).

وتجدر الإشارة إلى أنّ عملية الاختيار الشعري لم تكن مقصورة على المصنّفات التي خُصّصت لهذا الغرض وحده، بل نجد ممارسة لهذه العملية في كثير من كتب الأدب والأخبار والأسمار والرجال والحكم وغيرها من فنون المصنّفات، فكثيراً ما كان يدوّن أصحابها أبياتاً ومقطعات وقصائد، حتى لربما جاز لنا القول: بأنه يندر أن

نجد كتابا من كتب الأدب - على اختلاف أغراض تصنيفها - خلا من ممارسة عمل اختيار الأشعار.

وسنجد أنّ من أولى ممارسات الانتخاب والاختيار التي وقعت على دالية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه، ما قام به القاضي التنوخي (٣٢٧ - ٣٨٤هـ) في كتابه "نشوار المحاضرة"، إذ أورد جزءا من الدالية في هذا الكتاب^(١٣٥). ولهذا الاختيار أهميته ودلالته التاريخية والفنية، وتنبع هذه الأهمية من كون القاضي التنوخي كان معاصرا لأبي العلاء المعري، بل إنّ وفاته سبقت وفاة المعري بزمان ممتد. وهذا يعني أنّ عملية الاختيار لهذه الدالية نشأت نشأة قريبة من ميلادها، فالمعاصرة لم تمنع الانتخاب، ولم تحجبه، وفي ذلك إشارة إلى التفاعل الذي صاحبَ ظهورها ضمن المحيط الزماني الذي وُلدت فيه وذاعت.

وإذا ما نظرنا إلى الجزء الذي اختاره القاضي التنوخي من الدالية، وجدناه الأبيات (١-١٥)، ولعل سبب ذلك؛ هو كون هذا الجزء يمثل مقدمة القصيدة، وكذلك لما زخر به من أبيات التأمل والحكمة، ولذا سنجد تكرارا لاختياره أكثر من غيره في الاختيارات الأخرى.

وسيمتد الاختيار لهذه الدالية زماناً ومكاناً، إذ سنجدها إحدى اختيارات أبي العباس الجراوي (ت ٦٠٩هـ) في باب "المراثي" في كتابه "الحماسة المغربية"^(١٣٦). ومن المعروف أنّ الجراوي في تسمية كتابه هذا إنما كان يجاري أشهر كتب الاختيار الشعري المتقدمة عليه، لاسيما حماسة أبي تمام وما تبعها وجرى مجراها، كحماسة البحتري والخالدين والحماسة البصرية. وهذا مؤداه إلى أنّ الاستحسان الأدبي كان هو الذي يحكم عمل الكتاب في الانتخاب والاختيار، كما أنّه دالّ على ما حازته الدالية من ذبوع وانتشار سار بها من موطنها المشرقي إلى بلاد الأندلس، فكانت إحدى المختارات التي يقدمها كاتبٌ أندلسي إلى جمهوره القراء.

وإذا ما نظرنا إلى الموقع الذي جاء فيه اختيار الدالية في كتاب أبي العباس الجراوي، والجزء الذي تم اختياره منها، وجدنا أنَّ الجراوي كان يرتب اختياراته حسب الأغراض الشعرية وفقاً لكتب الحماسة التي سبقته، فنلفي لديه باباً للمدح، والفخر، والمراثي، والنسب، والأوصاف، والأمثال والحكم، والمُلح، وذمّ النقائص، والزهد والمواعظ، ثم توخى أنَّ يصنف اختياراته في كل باب ترتيباً زمنياً غالباً، وبدأ في كل باب بشعراء المشرق، ثم بشعراء المغرب والأندلس حين يختار من أشعارهم^(١٣٧)، وكان اختياره يقع - في الأغلب الأعم - على المتميز من قصائد الشعراء، وفي المشهورين كانت النصوص من المشهور من شعرهم، المختار منه^(١٣٨).

وبناء على ذلك نجد دالية المعري تقع في باب المراثي لديه ضمن سلسلة من الشعراء يقع فيها المعري حسب ترتيبه الزمني بعد عدد من شعراء العصر العباسي، واختار أبو العباس الجراوي للمعري مرثيتين، كانت الدالية أولاهما.

وأما فيما يتعلق بالجزء الذي اختاره الجراوي من الدالية فقد كان الأبيات (٤) - (١٥) تتلوها مباشرة الأبيات (٥٤-٥٦). وهذا يدل على أنَّ معظم الاختيار توجه إلى الجزء الأول من القصيدة، ولعل ذلك يعود كما أسلفنا إلى ما زخر به هذا الجزء من أبيات التأمل والحكمة. يعزز ذلك أولاً أنَّ الجراوي لم يورد الأبيات الثلاثة الأولى من الدالية لضمور نفس التأمل والحكمة فيها، ويعززه ثانياً أنَّ الأبيات المختارة من آخر القصيدة (٥٤-٥٦) حفلت بأنفاس من معاني التأمل.

وإذا كانت المهمة العلمية تحفّ كتاب عبدالرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ) "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص"، فتجيء الشواهد الشعرية بالكتاب لأغراض وظيفية علمية تهدف إلى تقرير أو شرح حقيقة أو مسألة علمية، إلا أنَّ الذي يستدعي الانتباه هو أنَّ العباسي عندما أورد قول أبي العلاء المعري من الدالية:

وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

شاهداً على تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه، راح بعد الشاهد يورد جزءاً من القصيدة^(١٣٩)، وهو الأبيات (١-١٥). ولهذا دلالة على استحسان العباسي للقصيدة استحساناً دفعه إلى تقديم هذا الجزء منها لقارّته. واختيار هذا الجزء من القصيدة يعود كما قدمنا عند من سبقه إلى كونه مقدمة القصيدة، ولما تضمنه من أبيات التأمل والحكمة.

وقريباً من الجروي مكاناً، ومن عبدالرحيم العباسي زماناً، تظهر لنا دالية المعري في أحد أشهر كتب الأمثال المغربية، وهو كتاب "زهر الأكم في الأمثال والحكم" للحسن اليوسي (١٠٤٠-١١٠٢هـ) أحد علماء المغرب الأقصى، الذي استقر به المقام بفاس تدريساً وشهرة. وقد اختار في كتابه عدداً من قصائد أبي العلاء المعري، بدأها بالدالية^(١٤٠)، ولهذا البدء دلالة في استحسان اليوسي لها، وهو يؤكد في الآن ذاته ما تمتعت به الدالية من ذيوع خارج موطنها المشرقي، فتظهر تارة في كتابات الأندلسيين، وتظهر أخرى في كتابات المغاربة، كما هو الحال هنا في هذا الكتاب لليوسي.

وأما الأجزاء التي اختارها اليوسي من الدالية فكانت: البيتين (١-٢)، والأبيات (١٢-١٦)، والبيتين (٥٤-٥٥)، والأبيات (٥٩-٦٤). واختيار الجزء الأول (١-٢) نابع من كونه مقدمة القصيدة، وأما بقية الأجزاء فلما حوته من أبيات الحكمة والمثل التي تتسق مع الغرض الذي أُلّف لأجله الكتاب.

ولم تتوقف عملية اختيار الدالية على تلك الأزمان، بل نجدها تعاود الظهور في كتاب المنتخبات العربية^(١٤١) لمحمد حسن محمود، وأمين عمر الباجوري، الذي ظهرت طبعته الثانية في العام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م). وهذا يدلّ على امتداد حضور الدالية

الزماني في كتب الانتخاب والاختيار، وأنّ فعل استجادتها ظلّ حاضراً فيها، خاصة إذا علمنا أهمية ورودها في هذا الكتاب الذي حصل على مجموعة من التقارير التي تُشيد به من قبل مجموعة من العلماء المعاصرين له الذين تنوّعت اهتماماتهم العلمية^(١٤٢). ويعزّز ذلك الغاية التي صدر بها المُنتخبان كتابهما، وهي تعزيز ملكة فن الإنشاء لدى الناشئة عبر الاطلاع على مجموعة من الأقوال المنتخبة لكبار الشعراء والكتّاب^(١٤٣)، وإدراج الدالية ضمن ذلك يؤكد ما نالته من استحسان جعلها في هذا الموضع من الاختيار الرفيع، وهو اختيار لم يتمّ من مُنتخب واحد، بل اثنين، وهذا أكد في الدلالة على قوة استجادتها.

وأما منهج الاختيار في هذا الكتاب فلم يكن يسير وفقاً للأغراض الشعرية كما رأينا في كتب الاختيار السابقة، ولكن كان يسير وفقاً للترتيب الزمني للشعراء، فيذكر كل شاعر على حدة، مقدماً له بترجمة مختصرة، ثم يورد المختار من شعره جميعاً مرتباً حسب الغرض الشعري. وقد اقتصر اختيارُ المنتخِبين من شعر أبي العلاء في الرثاء على الدالية، واختار منها الأبيات (١-١٦) منقوصاً منها الأبيات الثلاثة (٣، ١٠، ١١). واختيار هذا الجزء كما كررنا فيما سبق يأتي كونه مقدمة القصيدة، ولما جاء فيه من أبيات التأمل والحكمة.

ثم سنجد ظهوراً للدالية في أهم كتب الاختيار الشعري في العصر الحاضر، وهو كتاب "مختارات البارودي"^(١٤٤) لصاحبها الشاعر محمود سامي البارودي (١٨٣٨- ١٩٠٤م). ومن المعلوم أنّ هذه المختارات تأتي جزءاً من مشروع البارودي الثقافي في إحياء التراث وبعثه، فبعد أن لاحظ خفوت الذائقة الأدبية في عصره، جاهد في أن يعيد لها أصالتها وعمقها عبر هذا المشروع الذي حاول فيه الارتقاء بها من خلال بحث ومحاكاة نماذج الأدب الراقية في العصور العربية القديمة.

والمنهج الذي اختطه البارودي في مختاراته "يكاد يكون محتدياً لمنهج أبي تمام في حماسته"^(١٤٥)، وقد تبدّت هذه المحاذاة في أنه "حذا حذوه في ستة أبواب هي: الأدب، والمديح، والرثاء (المراثي)، والصفات، والنسيب، والمهجاء، وأضاف البارودي باباً سابعا هو الزهد. ووضح أنّ البارودي أفاد ممّا أخذه النقاد على أبي تمام في أبوابه فألحق الأبواب التي عُدت فرعية بأصولها"^(١٤٦).

ويختلف البارودي عن أبي تمام، في أنّ البارودي قصر اختياره على شعراء العصر العباسي، فبدأ ببشار بن برد (ت ١٦٧هـ) وانتهى بأبي العباس شرف الدين ابن عُنَيْن (ت ٦٣٠هـ)، ولم يذكر شيئاً لشعراء العصر الجاهلي والإسلامي "وكأنه رأى أنّ حماسة أبي تمام قد أغنت عن الاختيار من الشعر الجاهلي والإسلامي"^(١٤٧). هذا وقد بلغ عدد الشعراء الذين اختارهم البارودي ثلاثين شاعراً، جاء ترتيبهم حسب التسلسل الزمني لهم، فبدأ بالأقدم منهم.

ووجود المعري ضمن الشعراء الثلاثين دالٌّ على مكانته الشعرية المتميزة لدى البارودي. ويزيد ذلك تأكيداً ما نجده في أول أبواب المختارات، وهو باب (الأدب)؛ إذ نجد أبا العلاء المعري أوفر الشعراء أبياتاً في هذا الباب، فاختار له البارودي أربعمئة وستة أبيات^(١٤٨).

ولا شك أنّ قيمة هذا الاختيار تكمن في كونه جاء من شاعر كالبارودي، والشعراء كما يقال أعرف الناس بمسالك الشعر ومضايقه ودروبه؛ لذلك كان لهذه الممارسة الانتخابية للدالية قيمتها الخاصة، إذ جاء صدورها من شاعر له منزلة واضحة في تاريخ الشعر العربي.

وإذا ما جئنا إلى موقع الدالية من هذا الاختيار وجدنا البارودي يختار في باب الرثاء خمس قصائد لأبي العلاء المعري بدأها بالدالية، وهذا البدء يشير إلى ما نالته الدالية من تقدير فني لدى البارودي.

وأما الجزء الذي اختاره منها فقد كان جزءاً مطولاً بخلاف من سبقه، إذ اختار منها ستة وأربعين بيتاً، فلم ينقص من الدالية سوى الأبيات: (٣٧-٤١) و(٤٥-٤٨) و(٥٥-٦٣). ولعل حسّ البارودي الشعري هو ما قاده إلى هذا الاختيار المطول، إذ أراد أن يقدم القصيدة بصورة مستجلاة للقارئ يرى فيها طريقة الشاعر في البدء والانتقال، وطريقة ترتيب المعاني وكل ما يتعلق بتصوير بنائها العام، وهذا دال على وعي شعري ونقدي يحفل ببناء الشعر ولحمته.

وإذا كنا قد تتبعنا فيما سبق حضور الدالية في كتب الاختيار الأدبي أو ماله مساس بالأدب، فإننا نؤكد هنا ما سبق أن ذكرناه في بداية هذا المحور من أن اختيار الدالية لم يكن مقصوراً على الكتب التي نذبت نفسها للاختيار الشعري، فنراه يمتد إلى كتب الأخبار والأسمار والرجال، بل نجد ذلك يطال مصنفات الفنون الأخرى كالتاريخ مثلاً. فنجد الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ-٤٦٣هـ) في كتابه "تاريخ مدينة السلام" يذكر من الدالية الأبيات (١-١٥)^(١٤٩)، واختيار هذا الجزء كما أسلفنا يأتي من كونه مقدمة القصيدة، ولما جاء فيه من أبيات التأمل والحكمة.

ومن كتب التاريخ أيضاً التي وقع فيها اختيار للدالية كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن العديم (٥٨٨-٦٦٠هـ)، واختار ابن العديم من الدالية مطلعها والأجزاء: (الأبيات ٦-٩) و(الأبيات ١٧-٣٥) و(الأبيات ٤٢-٤٦)^(١٥٠). وإذا كان اختيار الجزء الأول نابعاً مما حواه من تأمل وحكمة، فإن بقية الأجزاء جاءت لما تضمنته من تأبين لأبي حمزة الفقيه، وذكر لمآثره ومناقبه، وهذا أمر طبيعي، إذ جاء اختيار الدالية في سياق ترجمة ابن العديم لأبي حمزة الفقيه.

وبهذا يتضح أنّ الجزء الأول من الدالية (الأبيات ١-١٥) هو أكثر الأجزاء استشاراً لعمل المتخّين، وبيّنا أن سبب ذلك قد يعود إلى كونه مقدمة القصيدة، ولما زخر به من أبيات التأمل والحكمة. وأما القسم التأبيني من الدالية فظلّ ضامراً الحضور في عمل أولئك المتخّين، وامتد ذلك وطال كتب المختارات المدرسية في عصرنا الحاضر، كما يذكر ذلك عنها الدكتور عبدالله الطيب، مع أنّ القسم التأبيني حسب وجهة نظره لا يقل في جودته عن أبيات التأمل، يقول الدكتور الطيب عن الدالية: "وقد صارت في العصر الحاضر من المختارات المدرسية إلا أنّ أكثر الاختيار يقع في أبيات الحكمة والتأمل منها. فلا بأس أن نذكر هنا طرفاً من القسم التأبيني فيها، وهو عندي لا يقل جودة عن أبيات التأمل إن لم يفقها"^(١٥).

وأخيراً نقول: بأنّ الدراسة لو حاولت أن تتبع كل مواطن اختيار الدالية في الكتب والمصنفات لطال بها المقام وامتد، ولكنها اكتفت بما سبق ذكره للدلالة على الكيفية التي جاء عليها هذا الاختيار، فالمقام مقام تدليل وتمثيل، لا إحصاء وحصر.

أهم نتائج الدراسة

وبعد هذه الدراسة للجهود التي تناولت دالّية المعري في رثاء أبي حمزة الفقيه، فقد تبين أنّ هذه الجهود قد توزعت ثلاثاً محاور، نعرضها فيما يلي مع بيان لأهم النتائج.

١ - المنهج الجزئي / ما حول النصّ "الدراسة التاريخية"

وتناول هذا المحور الجهود التي دارت حول نص الدالية، وانتهت الدراسة إلى أنّ هذه الجهود ركزت إسهامها على ظروف القول التاريخية، كالتوقيت الزمني لإنشاء القصيدة، ومناسبتها، وعلاقتها بصاحبها، واقتصر اهتمامها في الغالب على هذا الجانب دون تناول واضح للتكوين الداخلي والبنائي والجمالي للدالية.

٢ - المنهج التجزيئي / دراسة النص

وقد عرض هذا المحور للجهود التي تناولت التكوين النصي الداخلي للدالية، وتم تقسيم الرصد في هذا المحور حسب المكوّن النصي الذي استأثر بجهد كل محاولة، فتوزعت هذا المحور عدة فقرات، فكانت هناك الجهود المنضوية تحت الجانب اللغوي، والجهود التي استحوذ عليها الاهتمام بالمعنى، والجهود التي اهتمت بالجانب النغمي والإيقاعي للدالية، وأخيرا الجهود التي فاتشت الدالية من المنطلق الأسلوبي.

فبالنسبة لجهود الجانب اللغوي فقد سيطرت عليها المهمة الشارحة التي تبتغي تقريب المعنى وإفهامه وإيضاحه، ممّا أسهم في خفوت العناية بالجانب الفني، إلا من بعض الإشارات اليسيرة التي لم تخرج هذه الجهود من تلك المهمة.

وفيما يتعلق بالدراسات التي استحوذ عليها المعنى فقد طغى عليها عبء تفسير مضامين النص ورؤاه، والبحث عن المعنى العام الذي حكم القصيدة، وأشغّلها ذلك عن الالتفات إلى الوسائل الفنية التي جاءت حاملة تلك المضامين ومعبرة عنها. وقد يعود سبب ذلك إلى كون هذه الدراسات صدرت عن أساتذة معيّنين بالدراسة الأدبية في الدرجة الأولى لا النقدية، وغالبا ما يتّجه هذا النوع من الدراسة إلى أهداف تتعلق باستكناه مضامين النص، والكشف عنها، ولا تلتفت في بعض توجّهاتها إلى الجانب النقدي المتعلق بالتحليل الفني للنص الأدبي

وأما الدراسات التي ركزت على الجانب النغمي والإيقاعي للدالية، فتمثّلها وقفات الدكتور عبدالله الطيب أمام الدالية في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)، وتتبع الدكتور الطيب التاريخ النغمي لداليات الخفيف الذي تدرج في سلسلته دالية المعري، ليبين كيف جارت الدالية هذا التاريخ النغمي مجارة المباري لا الحاكي المتبع، بل رأى أنها استنفدت جميع ما يمكن قوله في هذا النغم، فليس - كما يرى - على الدال من هذا الوزن والروي شيء يذكر بعد قصيدة أبي العلاء هذه.

وأما فيما يتعلق بالدراسة الأسلوبية التي مثلتها دراسة د.رائد عكاشة فإنها على الرغم ممّا وقعت فيه من مزج منهجي، وارتباك في بعض المواطن، فإنّها تعدّ أقرب المحاولات إلى الشمولية المنهجية والعلمية التي حاولت أن تقارب النص بصورة موضوعية تتناول مكوناته الداخلية عبر عدة مستويات.

٣ - منهج الانتخاب والاختيار / ما بعد النص

وقد حاولت الدراسة أن تقف في هذا المحور وقفة فيما بعد النص، وما تركه من أثر. وحاولت قياس هذا الأثر واستجلائه من خلال أحد أهم مظاهره، وهو حضور الدالية في كتب الانتخاب والاختيار، والكيفية التي جاء عليها. وانتهت الدراسة إلى أنّ الدالية حظيت بحضور واضح في تلك الكتب، وامتدت ممارسة اختيارها وانتخابها إلى مصنفات لم تفرغ جهداً لعمل الاختيار الشعري، بل طال ذلك مصنفات الفنون الأخرى كالتاريخ مثلاً، وهذا ينبىء في جانب منه عن استحسانها والرضا بجودتها. كما انتهت الدراسة إلى أنّ أكثر جزء في الدالية وقع عليه الاختيار كان الجزء الأول منها وهو (الأبيات ١ - ١٥)، وقد يكون سبب ذلك كونه مقدمة القصيدة، ولما حواه من أبيات التأمل والحكمة.

دالية المعري^(١٥٢)

نُوحُ بِالكِ وَلَا تَرْتُمُ شَادِ
سَ بَصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
نَتَّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ
بَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
هُوَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
لَا اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
مِنْ قَبِيلٍ وَأَنَسَا مِنْ بِلَادِ
وَأَنَارَا لِمُدْلَجٍ فِي سَوَادِ
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَرْذَادِ
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلتَّفَادِ
لِ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
جِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ
نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
لَوَاتِي تُحْسِنُ حِفْظَ الْوِدَادِ
حَالٍ أَوْ دَى مِنْ قَبْلِ هُلْكِ إِيَادِ

١- غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي
٢- وَشَيْبَةُ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِيَا
٣- أَبَكْتُ تِلْكَمُ الْحَمَامَةَ أَمْ غَنَى
٤- صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرُّحَى
٥- خَفَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ
٦- وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمُ الْعَهْمُ
٧- سِرٌّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويْدَا
٨- رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا
٩- وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ
١٠- فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَمَّنْ أَحْسَا
١١- كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارِ
١٢- نَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْدِ
١٣- إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
١٤- خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
١٥- إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
١٦- ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَفْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْـ
١٧- أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ
١٨- إِلَيْهِ لِلَّهِ دَرَكُنَّ فَاتُّنَّ الْـ
١٩- مَا نَسِيْتُنَّ هَالِكًا فِي الْأَوَانِ الْـ

- ٢٠- بَيْدَ آتِي لَا أُرْتَضِي مَا فَعَلْتُنَّ
 ٢١- فَتَسْلُبْنَ وَاسْتَعِرْنَ جَمِيعًا
 ٢٢- ثُمَّ غَرَّدْنَ فِي الْمَاتِمِ وَانْدُبْنَ
 ٢٣- قَصَدَ الدَّهْرَ مِنْ أَبِي حَمَزَةَ الْأَوْ
 ٢٤- وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنَّعْمِ
 ٢٥- فَالْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلحِجَازِيِّ
 ٢٦- وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وَخُوشِ
 ٢٧- رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخَوِّجِ الْمَعْمُ
 ٢٨- أَنْفَقَ الْعُمَرُ نَاسِكًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ
 ٢٩- مُسْتَقِي الْكَفِّ مِنْ قَلِيبِ رُجَاجِ
 ٣٠- ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمُسُ الذَّهَبَ الْأَخْ
 ٣١- وَدَعَا إِلَيْهَا الْحَفِيَّانِ ذَاكَ الشَّ
 ٣٢- وَاعْسَلَاهُ بِالْدَّمْعِ إِنْ كَانَ طُهْرًا
 ٣٣- وَاحْبُوهُ الْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ الْمُضْ
 ٣٤- وَاتْلُوا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَالتَّنْ
 ٣٥- أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ
 ٣٦- طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحُزْ
 ٣٧- مِثْلَ مَا فَاتَتِ الصَّلَاةُ سُلَيْمًا
 ٣٨- وَهُوَ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
 ٣٩- خَافَ غَدَرَ الْأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرَّبَّ
 ٤٠- وَتَوَخَّى لَهُ النِّجَاةَ وَقَدْ آيَ
- وَأَطْلُ—وَاقُكُنَّ فِي الْأَجْيَادِ
 مِنْ قَمِيصِ الدَّجَى ثِيَابَ حِدَادِ
 —نَ بِشَجْوٍ مَعَ الْعَوَانِي الْخِرَادِ
 ابِ مَوَلَى حِجْجَى وَخَدْنِ اقْتِصَادِ
 —مَانِ مَا لَمْ يَشِدُّهُ شَعْرُ زِيَادِ
 قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ
 عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرِّ التَّقَادِ
 —رُوفَ مَنْ صَدَّقَهُ إِلَى الْأَسْنَادِ
 —مَ بِكُشْفٍ عَنِ أَصْلِهِ وَاتِّقَادِ
 يُغْرُوبُ الْيَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ
 —مَرُ زُهْدًا فِي الْعَسَجِدِ الْمُسْتَفَادِ
 —شَخْصَ إِنْ الْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
 وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْفُؤَادِ
 —حَفِ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ
 —بِيحٍ لَا بِالنَّحِيبِ وَالتَّعْدَادِ
 لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءٍ اجْتِهَادِ
 —نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِالسَّدَادِ
 نَ فَاتَّخَى عَلَى رِقَابِ الْحِيَادِ
 —بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ
 —حَ سَلِيلًا تُغْدُوهُ دَرُّ الْعَهَادِ
 —قَنَ أَنَّ الْحِمَامَ بِالْمِرْصَادِ

- ٤١- فَرَمْتُهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الْكُرِّ
٤٢- كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي
٤٣- قَدْ أَقَرَّ الطَّيِّبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ
٤٤- وَانْتَهَى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الْوَا
٤٥- هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمَنَى
٤٦- أَنْتَ مِنْ أَسْرَةٍ مَضَوْا غَيْرَ مَعْرُورٍ
٤٧- لَا يُغَيِّرُكُمْ الصَّعِيدُ وَكُونُوا
٤٨- فَغَزِيرُ عَلِيٍّ خَلَطُ اللَّيَالِي
٤٩- كُنْتَ خِلَ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الْـ
٥٠- وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوَّ
٥١- وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْـ
٥٢- فَادْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبِينَ حَقِيقَيـ
٥٣- وَمَرَاتٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ
٥٤- زُحَلٌ أَشْرَفُ الْكَوَاكِبِ دَارًا
٥٥- وَلِنَارِ الْمَرِيخِ مِنْ حَدَثَانِ الدَّ
٥٦- وَالثَّرْيَا رَهِينَةٌ بِافْتِرَاقِ الشَّـ
٥٧- فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسَّنِ الْأَجَلُ الْمَمـ
٥٨- وَلْيَطْبُ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا
٥٩- وَإِذَا الْبَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرْ
٦٠- كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبَتَّنِي الْوَرُ
٦١- وَالْفَتَى ظَاغِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السَّـ
- سَيِّ أُمُّ اللَّهَيْمِ أَخْتُ النَّادِ
يَا جَدِيرًا مَنِّي مُحْسِنِ افْتِقَادِ
وَتَقَضَّيْ تَرَدُّدُ الْعَوَادِ
جَدُّ بَأْنُ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ
رِيضٍ وَيَحُ لَأَعْيُنِ الْهَجَادِ
رَبْنٍ مِنْ عَيْشَةٍ بِذَاتِ ضِمَادِ
فِيهِ مِثْلَ السَّيُوفِ فِي الْأَغْمَادِ
رِمٌّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ الْهَوَادِي
سَيِّ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ
لِ مِنْ شِيَمَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
سَتَكَ أَبْلَيْتُهُ مَعَ الْأُنْدَادِ
سِنْ سُقِيَا رَوَائِحِ وَغَوَادِ
لِمَحَوْنِ السَّطُورِ فِي الْإِنْشَادِ
مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ
هَرٍ مُطْفِئٍ وَإِنْ عَلَتْ فِي اتِّقَادِ
مَلِّ حَتَّى تُعَدَّ فِي الْأَفْرَادِ
سُدُودُ رَغْمًا لَأَنفِ الْحُسَادِ
ءِ أَخِيهِ جَرَائِحِ الْأَكْبَادِ
وَفَلَا رِيَّ بَادَخَارِ الثَّمَادِ
قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
سَدْرٍ ضَرْبَ الْأَطْنَابِ وَالْأَوْتَادِ

- | | |
|---|-------------------------------------|
| ٦٢- بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ | سُ فَدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ |
| ٦٣- وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ | حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ |
| ٦٤- وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ | بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ |

الهوامش والتعليقات:

- (١) عبدالعزيز الميمني، أبو العلاء وما إليه، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٤٤هـ، ص ٨٤.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٨٥، ٨٦.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (٤) المصدر نفسه، ص ١٠٠، ١٠١.
- والنص موجود مع تغيير طفيف في:
- أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، ١٠٤/٢.
- (٥) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلْكَان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، ٢٤٨/٧.
- (٦) يُنظر البيت: ٢٣ من الدالية.
- (٧) يُنظر البيتان: ٥٧، ٥٨ من الدالية.
- (٨) عبدالعزيز الميمني، أبو العلاء وما إليه، ص ١٠١.
- (٩) المصدر نفسه، ص ١٠١.
- (١٠) د. عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ"، أبو العلاء المعري، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص ٤٦، ٤٧.
- (١١) شروح سِقْطُ الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف: د. طه حسين، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٤٠٨/١٩٨٧م، ٦٠٢/٢.
- وفي رواية (شروح سِقْطُ الزند): دِمَام.
- (١٢) د. عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ"، أبو العلاء المعري، ص ٦٤، ٦٥.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ٦٥.

- (١٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.
- (١٦) عبدالرحمن بن الحسن، مستويات القراءة، الفسطاط "المجلة التاريخية"، الموقع الإلكتروني: http://www.fustat.com/adab/binlahsan_١١_٢.shtml.
- (١٧) للتوسّع في أسباب قيام حركة الشروح الشعرية، ينظر:
- د. أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨١م، ٢/ ٢٧٥ وما بعدها.
- محمد تحريشي، أدوات النص، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص ٤٤ وما بعدها.
- (١٨) د. شعبان عبدالحكيم محمد، نظرية التلقي في تراثنا النقدي والبلاغي، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٣٦.
- (١٩) د. أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/ ٢٠م (دراسة سانكرونية)، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٢٦.
- (٢٠) د. محمد تحريشي، النقد الأدبي في شروح الشعر، ص ٦٦، ٦٧ نقلا عن: عبدالرحمن بن الحسن، مستويات القراءة، الفسطاط "المجلة التاريخية"، الموقع الإلكتروني، http://www.fustat.com/adab/binlahsan_١١_٢.shtml.
- (٢١) ينظر: مقدمة د. فخر الدين قباوة على تحقيقه لشرح التبريزي لاختيارات المفضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٢٤، ٢٥.
- (٢٢) ينظر على سبيل المثال:
- د. فخر الدين قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- د. أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي.

- د.أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب.
- (٢٣) د.أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ٢/ ٢٧١.
- (٢٤) د.أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب، ص ١٩٢.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
- (٢٦) د.أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ٢/ ٢٧٣.
- (٢٧) شروح سيقط الزند، ٣/ ٩٧١.
- (٢٨) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٢.
- (٢٩) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٤.
- (٣٠) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٥.
- (٣١) المصدر نفسه، ٣/ ٩٩١.
- (٣٢) المصدر نفسه، ٣/ ٩٩٢.
- (٣٣) المصدر نفسه، ٣/ ٩٩١.
- (٣٤) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٧.
- (٣٥) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٨.
- (٣٦) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٥.
- (٣٧) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٦.
- (٣٨) المصدر نفسه، ٣/ ٩٧٥.
- (٣٩) د.فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، عمان، دار عمار للنشر، ط ٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٦.
- (٤٠) شروح سيقط الزند، ٣/ ٩٧٨.

(٤١) المصدر نفسه، ٩٩١/٣.

(٤٢) المصدر نفسه، ٩٧٨/٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ٩٩٥/٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ٩٧٤/٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ١٠٠٢/٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ٩٨٧/٣.

(٤٧) المصدر نفسه، ٩٨٧/٣.

(٤٨) المصدر نفسه، ٩٨٧/٣.

(٤٩) المصدر نفسه، ٩٧٩/٣.

(٥٠) المصدر نفسه، ٩٨٩/٣.

(٥١) المصدر نفسه، ١٠٠٢/٣.

(٥٢) يروى في الديوان: "فَلَوْ كُتُّمُ نَحْلًا. وعجز البيت: وَلَوْ كُتُّمُ نَبْلًا لَكُتُّمُ مَعَايِصًا

الجرامة: حثالة التمر. المعاقص: جمع معقص (بكسر الميم) وهو السهم المعوج أو الذي انكسر نصله. الأعشى، الديوان، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجاميز، ص ١٥١.

(٥٣) شروح سِقَطُ الزند، ١٠٠٠/٣.

(٥٤) المصدر نفسه، ٩٧٥/٣.

(٥٥) ينظر: المصدر نفسه، ٩٧٦/٣، ٩٩٨.

(٥٦) المصدر نفسه، ٩٨٦/٣.

(٥٧) المصدر نفسه، ٩٨٩/٣.

(٥٨) المصدر نفسه، ١٠٠٠/٣.

(٥٩) طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مصر، دار المعارف، ط٧، ص١٩٩.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(٦١) المصدر نفسه، ص١٩٩، ٢٠٠.

(٦٢) المصدر نفسه، ص٢٠٠.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٦٤) جاء هذا الوقوف في قوله: ألم تر إلى هذا الاستفهام: كيف يعلن الشك ويخفي اليقين؟ وكيف ينم على استهزاء الشاعر بالحياة، ويأسه من الصفو؟ وكيف يمثّل قدرته على اختراع الصور، وحسن التعريض؟ ما باله في هذا البيت قد شكّ في تغريد الحمامة، فلم يدر أبكاء هو أم غناء؟ وقد كان يجزم في البيت الأول بأنّ غناء القينة بكاء، وترنمها إعوال، أليس ذلك لأنّ المعنى قد نضج في نفسه حتى ثبتّ عليه اعتقاده، وحتى بسط سلطانه على الحيوان، بعد أن مدّ ظله على الإنسان؟ ثم انظر كيف وقف الحمامة على الغصن المياد، في الروضة النظرة ذات الزهر المبتسم، والنور المؤتلق، ثمّ ظنّ بألحانها الظنون، في حال ما يشك الناس في أنها حال جذل وطرب، وآية بشر وابتهاج... وسنبيّن رأينا في هذه القصيدة حين نعرض لها. المصدر نفسه، ص١٨٣، ١٨٤.

(٦٥) حتّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، بيروت، دار الجليل، ص٨٥٣.

(٦٦) المصدر نفسه، ص٨٥١، ٨٥٢.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٨٥٢.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٨٥٢.

(٦٩) المصدر نفسه، ص٨٥٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص٨٥٢.

(٧١) المصدر نفسه، ص٨٥٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٨٥٢، ٨٥٣.

- (٧٣) المصدر نفسه، ص ٨٥٣.
- (٧٤) د. يوسف خليف، في الشعر العباسي نحو منهج جديد، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٦٦، ١٦٧.
- (٧٥) المصدر نفسه، ص ١٦٧.
- (٧٦) المصدر نفسه، ص ١٦٧.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ١٦٨.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ١٦٨.
- (٧٩) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
- (٨٠) د. هيثم محمد جديتاوي، المفارقة في شعر أبي العلاء دراسة تحليلية في البنية والمغزى، إربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص ٢٠٣.
- (٨١) المصدر نفسه، ص ٢٧.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
- (٨٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
- (٨٦) المصدر نفسه، ص ٢١٦.
- (٨٧) المصدر نفسه، ص ٢١٨.
- (٨٨) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (٩١) كما جاء في البيت الخامس عشر من الدالية.

- (٩٢) د. هيثم جديتاوي، المفارقة في شعر أبي العلاء، ص ٢٢٨.
- (٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
- (٩٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.
- (٩٥) وهو مواجهة مصيبة الموت ببرود وعدم حزن وجزع.
- (٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
- (٩٧) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت، ط ٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ٢٣٨/١.
- (٩٨) المصدر نفسه، ٢٣٨/١.
- (٩٩) المصدر نفسه، ٢٣٨/١.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ٢٤٢/١.
- (١٠١) المصدر نفسه، ٢٤٢/١.
- (١٠٢) المصدر نفسه، ٢٥٦/١.
- (١٠٣) المصدر نفسه، ٢٥٧/١.
- (١٠٤) المصدر نفسه، ٢٥٧/١.
- (١٠٥) البحري، الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ٦٣٢/٢.
- (١٠٦) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ٢٥٨/١.
- (١٠٧) المتنبي، الديوان، شرح: عبدالرحمن البرقوقي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ٣٢٤/١.
- (١٠٨) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ٢٦٠/١.
- (١٠٩) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، حققه وعلق عليه ووضع فهرسه: د. محمد أحمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ١٤٢٨/٣.

- (١١٠) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، ١/ ٢٦٤.
- (١١١) أبو تمام، الديوان، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ط ٥، ١/ ٣٥٦.
- (١١٢) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، ١/ ٢٦٥.
- (١١٣) المتنبي، الديوان، ١/ ٣٨٧.
- (١١٤) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، ١/ ٢٦٥.
- (١١٥) المصدر نفسه، ١/ ٢٦٥.
- (١١٦) المصدر نفسه، ١/ ٢٦٧.
- (١١٧) د.ميجان الرويلي ود.سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠٠٢م، ص ٧٦.
- (١١٨) د.موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، إربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٩.
- (١١٩) د.رائد جميل عكاشة، رؤية العالم عند المعري قراءة أسلوبية لداليته، مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس، محرم ١٤٣٣هـ/ يوليو ٢٠٠٣م، ص ٤١.
- (١٢٠) المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ٤٤.
- (١٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (١٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (١٢٤) المصدر نفسه، ص ٤٧.
- (١٢٥) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (١٢٦) المصدر نفسه، ص ٥١، ٥٢.
- (١٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٣.

- (١٢٨) المصدر نفسه، ص ٨٠.
- (١٢٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٠.
- (١٣٠) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨١، ٨٢.
- (١٣١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٢.
- (١٣٢) علي كرباع، المختارات الشعرية وقيمتها النقدية "جمهرة أشعار العرب" أتمودجا، الجزائر، باتنة، جامعة الحاج الأخضر، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي تخصص "النقد الأدبي"، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ / ٢٠١١-٢٠١٢م، ص ٧.
- (١٣٣) نادر كاظم، المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٨٢.
- (١٣٤) ينظر: إدريس بلمليح، المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحامسة أبي تمام، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٥٥٢، ٥٥٣.
- (١٣٥) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، موقع الوراق الإلكتروني، أبوظبي، القرية الإلكترونية، ص ٢٨٤.
- (١٣٦) أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي التادلي، الحماسة المغربية، حققه: د. محمد رضوان الداية، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢ / ٨٩٢-٨٩٤.
- (١٣٧) مقدمة المحقق، ص ٢٢.
- (١٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (١٣٩) عبدالرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، عالم الكتب، ١ / ١٣٥، ١٣٦.
- (١٤٠) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الامثال والحكم، حققه: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ٢ / ٢٥٩.

- (١٤١) محمد حسن محمود، أمين عمر الباجوري، كتاب المنتخبات العربية، القاهرة، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، ط٢، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ص١٣٧، ١٣٨.
- (١٤٢) تضمّنت بداية الكتاب مجموعة من التقاريط التي حصل عليها من قِبَل كلٍّ من:
- صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم السيد علي البيللاوي شيخ الجامع الأزهر سابقاً.
 - صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية.
 - حضرة الفاضل الشيخ عبدالكريم سلمان عضو المحكمة العليا الشرعية بمصر.
 - حضرة الفاضل محمد بك دياب المفتش بالمعارف سابقاً.
 - حضرة الفاضل الشيخ عبدالعزيز شاويش مفتش الكتاتيب بالمعارف.
 - حضرة الفاضل الشيخ طنطاوي جوهري المدرس بالمدرسة الخديوية.
- (١٤٣) المصدر نفسه، ص١.
- (١٤٤) محمود سامي البارودي، مختارات البارودي، حققها وشرحها: مجموعة من الباحثين، أشرف عليها وراجعها: د. محمد مصطفى هدارة، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ٣/٧٤٤-٧٤٧.
- (١٤٥) د. محمد مصطفى هدارة، مقدمته لمختارات البارودي، ٨/١.
- (١٤٦) المصدر نفسه، ٩/١.
- (١٤٧) المصدر نفسه، ١٢/١.
- (١٤٨) المصدر نفسه، ٩/١.
- (١٤٩) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د.بشار عوّاد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٣٩٨، ٣٩٧/٥.

- (١٥٠) ابن العديم صاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٤٤٢/٥، ٢٤٤٣.
- (١٥١) عبدالله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ١/٢٦٥، ٢٦٦.
- (١٥٢) شروح سقط الزند، ٣/٩٧١-١٠٠٥.

المصادر والمراجع

- الأعرشي، الديوان، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجاميز.
- البارودي، محمود سامي، مختارات البارودي، حققها وشرحها: مجموعة من الباحثين، أشرف عليها وراجعها: د. محمد مصطفى هدارة، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- بلمليح، إدريس، المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، ط١، ١٩٩٥م.
- التبريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- تحريشي، محمد، أدوات النص، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
- أبو تمام، الديوان، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ط٥.
- التنوخي، القاضي، نشوار المحاضرة، موقع الوراق الإلكتروني، أبوظبي، القرية الإلكترونية.
- جديتاوي، د. هيثم محمد، المفارقة في شعر أبي العلاء دراسة تحليلية في البنية والمغزى، إربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام، الحماسة المغربية، حققه: د. محمد رضوان الداية، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- الحسن، عبد الرحمن، مستويات القراءة، الفسطاط "المجلة التاريخية"، الموقع الإلكتروني، http://www.fustat.com/adab/binlahsan_5-11_2.shtml
- حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، مصر، دار المعارف، ط٧.

- الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر.
- الخطيب البغدادي، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عوَّاد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن خَلَّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة.
- خليف، د. يوسف، في الشعر العباسي نحو منهج جديد، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- رابعة، د. موسى سامح، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، إربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣م.
- الرويلي، د. ميجان. البازعي، د. سعد. دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠٠٢م.
- السامرائي، د. فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، عمَّان، دار عمار للنشر، ط ٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- سمير، حميد، النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م.
- الطيّب، عبدالله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت، ط ٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- العباسي، عبدالرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب.
- عبدالرحمن، د. عائشة بنت الشاطئ، أبو العلاء المعري، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

- ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عكاشة، د. رائد جميل، رؤية العالم عند المعري قراءة أسلوبية لداليته، مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس، محرم ١٤٣٣هـ/ يوليو ٢٠١٣م.
- العمري، د. أحمد جمال، شروح الشعر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨١م.
- الفاخوري، حتّا، الجامع في تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، بيروت، دار الجليل.
- قباوة، د. فخر الدين، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفصليات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- كاظم، نادر، المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٣م.
- كرباع، علي، المختارات الشعرية وقيمتها النقدية "جمهرة أشعار العرب" أنموذجا، الجزائر، باتنة، جامعة الحاج الأخضر، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي تخصص: "النقد الأدبي"، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١١-٢٠١٢م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: د. محمد أحمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- المتنبي، الديوان، شرح: عبدالرحمن البرقوقي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- محمد، د. شعبان عبدالحكيم، نظرية التلقي في تراثنا النقدي والبلاغي، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩م.
- محمود، محمد حسن. الباجوري، أمين عمر، كتاب المنتخب العربية، القاهرة، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، ط ٢، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

- الميمني، عبدالعزيز، أبو العلاء وما إليه، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٤٤هـ.
- هولب، روبرت، نظرية التلقي، ترجمة: د. عزالدين إسماعيل، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الواد، حسين، في مناهج الدراسات الأدبية، تونس، سراس للنشر، ١٩٨٥م.
- الوديني، د.أحمد، شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ١٤هـ/٢٠م (دراسة سائرونية)، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٩.
- اليوسي، الحسن، زهر الأكف في الامثال والحكم، حققه: د.محمد حجي، د.محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

مُفَارِقَاتُ نَحْوِيَّةٍ فِي أَطْرَادِ الْقَاعِدَةِ وَشَذَوُذِهَا

د. إِيْهَابُ هَمَّامُ هَمَّامُ الشَّيْوِي

أَسْتَاذُ النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ الْمُسَاعِدُ

كَلِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى

مُفَارِقَات نحوية في اطراد القاعدة وشذوذها د. إيهاب همام همام الشبيوي

ملخص البحث

ينطلق بحث (المفارقات النحوية في اطراد القاعدة وشذوذها) من كون القاعدة النحوية غير التقعيد لها. فالأولى، تعد حكما عاما على عدة استعمالات لغوية، شكلت ظاهرة لغوية يقاس عليها؛ لذا تأخذ القاعدة صورة مجردة. أما التقعيد فهو الإجراء والمنهج الذي اتبعه النحويون في استنتاج القاعدة وتفسيرها وتأويل ما جاء غير مطرد معها.

وقد كان لتحكيم النحويين للقاعدة المطردة في الاستعمالات اللغوية بصرامة شديدة أثران: أحدهما، النظرة المعيارية في التقعيد للغة في مرحلتي وضع القاعدة وتفسيرها. والآخر، وجود تحديات منهجية، مثل: أنه ليس بالضرورة أن تأتي الاستعمالات اللغوية في الموقف الكلامي مطردة مع القواعد، فهي لا تنفي الاستعمالات الأخرى التي لا تقل عنها في فصاحتها؛ اللهم إلا في مستوى اللغة الفصحى المشتركة. ومن التحديات أيضا، أن التطور اللغوي للمفردات والتراكيب داخل النظام النحوي يتسم بالبطء؛ إذا ما قورن بالتطور الناتج من تداوليات الكلام في السياقات المتنوعة لأغراض مختلفة.

ولا يعدم البحث في العلاقة بين القاعدة المطردة والاستعمال اللغوي أن يجد مفارقات في الاطراد اللغوي وشذوذه داخل مناهج التقعيد عند النحويين.

(Gramatical paradoxes in Steady rule and its constancy)

Dr. Ihab Hammam Hammam Elshewy

ABSTRACT

The search (Gramatical paradoxes in Steady rule and its constancy) stems from the fact that grammatical rule is different from its extraction. The first is a general rule on the multiple uses of language, which formed a standard linguistic phenomenon. So, the rule takes abstract formula. However, the extraction of rule is the procedure and approach which taken by grammarians in its the extraction, and interpretation of irregular forms.

Arbitration Grammarians for steady rule in linguistic uses are strictly has two effects. The first, the idea standard in language of extraction rule in the two phases of the establishment of the rule and its interpretation. The second, there are methodological challenges, such as: It does not have to be linguistic uses in verbal steady position with rules. They do not deny other uses which are no less eloquence; except in the common level of classical language. It also challenges, the linguistic development of vocabulary and structures inside the grammar system is slow; when compared to the evolution resulting from the use of speech in diverse contexts and for different purposes.

The search in relationship between the steady rule and linguistic usage finds paradoxes in the linguistic regularities and its irregularities within grammarians' methodologs.

مقدمة

هذا بحثٌ يدخل في إطار أصول النظرية النحوية، يعرض عدة مفارقات تتعلق باطراد القاعدة النحوية وشذوذها. ومن المعلوم أن القاعدة حكم عام تنضوي تحته مجموعة من الاستعمالات اللغوية، التي تشكل ظاهرة لغوية يُقاس عليها ويُتَّحى نحوها؛ أي أنها حكم من أحكام القياس النحوي. وهي بذلك تأخذ صورة تجريدية، تكونت من استقراء مفردات اللغة وتراكيبها، إلا أنها لا تعد - بصورتها هذه - جزءا منها، بل تستحيل اللغة بمستوياتها المختلفة تطبيقا لها عند الاستعمال اللغوي للتراكيب.

وإذا كان وجود القواعد النحوية في اللغة وجودًا بالفعل، فإن وجودها في منهج النحويين عند دراسة اللغة وجودًا بالقوة، وضرورة يجب أن تُراعى عند عملية التقعيد، فهي جزء رصين من المنهج، حيث كان من أهم شروطها أن تكون "وصفًا لسلوك عملي معين في تركيب اللغة. ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطردا، حتى يُعبّر عنه بالقاعدة"؛ لأن اللغة نظام يعتمد في قوانينه على اطراد الفكر وإدراك العلاقات المشتركة بين الظواهر اللغوية؛ ومن ثمّ كان النحويون على وعي تام بخطورة ذلك وأهميته، حين اصْطَفَوْا من اللهجات العربية ما يقوم بمهمة نقل التراث والثقافة العربية، دونما إقصاء للأساليب الفصيحة الأخرى التي لم تُرَقَّ إلى درجة الاطراد، إلا في حال التعامل مع مستوى الفصحى المشتركة. والتعويل على المطرد من قواعد اللغة ونحوها - في حد ذاته - حفاظٌ على نظامية اللغة وعدم اضطرابها، ومع ذلك فإن وصف ما خالفها بعدم الاطراد لا ينفي عنه الفصاحة والصحة اللغوية، إذ إنه منسوب إلى لهجات عربية فصيحة.

و(المفارقات) النحوية ليست اصطلاحاً؛ بل رُميت بها إلى توصيف حال التباين والبعد عن الغاية المطلوبة في العلاقة بين النظرية النحوية والتطبيق لها، حيث تتبّع البحثُ منهج النحويين في التعقيد للغة، ومدى التزامهم به في استخلاص قواعدهم المعيارية، فوجد بعض الثغرات والتحديات المنهجية التي كشفت جوانب (المفارقة) في بعض القضايا الكلية للنحو العربي، عند اصطدام القاعدة النحوية ببعض الاستعمالات اللغوية الفصيحة.

وكان من أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث، تشتت المسائل التي هي مناط المفارقات، فحاولت بقدر الإمكان أن ألمّ شعنها، وأوجد خيطاً فكرياً منهجياً ينظم عقدها؛ لأن البحث لم يتغيّ نقض البناء النحوي، الذي هو محل احترام وتقدير؛ فيأخذ العصب الأعمى إلى تتبع كل صغيرة وكبيرة في عمل النحاة، غاضاً الطرف عن جهدهم الرائع في وضع نظرية شاملة متكاملة للنحو العربي، بل وضع في يقينه ما نصّ عليه أبو حيان التوحيدي من صعوبة البحث فيما وراء اللغة، قائلاً: "أما الكلام عن الكلام، فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعض، وهذا شق النحو وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر"^٣.

ولقد اتبعت في دراسة مفارقات القاعدة اطراداً وشذوذاً (المنهج الوصفي التحليلي)، حيث وصفتُ كل مفارقة في قضيتها الكلية، ثم شرعت أحلل جوانبها، مرتكزاً على المقولات النظرية للنحويين فيها، وكيفية تطبيق هذه المقولات عملياً في استخلاص القواعد؛ لأصل إلى مدى توفيقهم أو قصور منهجهم في التعامل مع بعض الاستعمالات الفصيحة التي لا تخضع لما افترضوه.

وتتكون الدراسة من العناصر التالية:

- مقدمة شارحة لطبيعة الموضوع، وأبرز صعوباته، ومنهج البحث فيه، وأهدافه، وتقسيماته.
 - **المفارقات النحوية:** وقد تناولت المفارقة في اصطلاحات الاطراد والشذوذ. وتجاهل الكثرة في وضع القاعدة. ووضع القاعدة على المثال الواحد. وبناء القاعدة على القياس المحض. وبناء القاعدة على التدرج في السماع والقياس. ونقض القاعدة النحوية بقاعدة أخرى. وتفرع القاعدة على مستويات لغوية مختلفة. وتضارب القواعد باختلاف الروايات الصحيحة للشاهد النحوي. وبناء القاعدة على شواهد مصنوعة. وبناء القاعدة وتوجيهها على التوهم.
 - **الخاتمة:** وتضمنت أهم نتائج البحث، والتوصيات.
- ويهدف البحث من خلال هذه المفارقات الإجابة عن التساؤلات التالية: لماذا تعددت مصطلحات الاطراد والشذوذ في الأحكام الكمية على النصوص اللغوية؟ وهل تنفي القاعدة المطردة الاستثناءات الفصيحة، التي لا ترقى لدرجة الاطراد؟ وما مدى احترام النحويين للشاذ في اللغة؟ وما طرائق معالجتهم له؟ وهل تعد هذه المفارقات من جوانب قصور الفكر النحوي، أو أنها نتاج لعوامل منهجية؟

(المفارقة الأولى: في اصطلاحات الاطراد والشذوذ)

(الاطراد والشذوذ) من موجّهات التفكير العلمي ونتائجه، التي تتحول بهما المعرفة إلى الصناعة والعلم المنضبط، المبني على الاستقراء الناقص، كما أنهما يعكسان النظام القائم في قوانينه على اطراد الفكر وإدراك العلاقات المشتركة بين ظواهر العلم؛ ولذلك شاعت عبارة: "لكل قاعدة شواذ"، و"الشذوذ يبرّر القاعدة" في سائر العلوم، ناهيك عن علم النحو العربي. وما يصبو إليه البحث - هنا - هو تجلية

المفاهيم؛ كي نتبين المفارقة في الاصطلاحات ودلالاتها؛ انطلاقاً من أن "الحدود لا يحسن فيها التأول، وإقامة المعاذير، وغرابة ألفاظ لا تدل على المقصود؛ لأنها مبنية على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض"^٣.

١- المعنى اللغوي.

من استقراء المداخل اللغوية لمادتي الأطراد والشذوذ تحصيل للبحث أن المعنى العام لمفهوم "الأطراد" يشمل عدة معانٍ عامة، هي: (الضم، والتتابع، والاستقامة). وفي مقابل هذه المعاني، يأتي مفهوم "الشذوذ" بمعنى: (الانفراد، والمفارقة).

يقول ابن منظور المصري في مادة [ط ر د]: "طَرَدْتُ الْإِبِلَ طَرْدًا وَطَرَدًا: أَي ضَمَمْتُهَا مِنْ نَوَاحِيهَا... وَاطَّرَدَ الْأَمْرُ: اسْتَقَامَ. وَاطَّرَدَتِ الْأَشْيَاءُ: إِذَا تَبَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا... وَاطَّرَدَ الْكَلَامُ: إِذَا تَتَابَعَ. وَاطَّرَدَ الْمَاءُ: إِذَا تَتَابَعَ سَيْلَانُهُ... وَأَمْرٌ مُطَرَّدٌ: مُسْتَقِيمٌ عَلَى جِهَتِهِ..."^٤.

ويقول أحمد بن فارس في مادة [ش ذ ذ]: "شَدَّ (الشين والذال): يَدُلُّ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَالْمَفَارِقَةِ. وَشَدَّ الشَّيْءُ، يَشِدُّ شَذُودًا. وَشُدَّادُ النَّاسِ: الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الْقَوْمِ، وَلَيْسُوا مِنْ قِبَائِلِهِمْ وَلَا مَنَازِلِهِمْ. وَشُدَّانِ الْحَصَى: الْمُتَفَرِّقُ مِنْهُ..."^٥.

٢- المعنى الاصطلاحي.

يُعرِّف أبو الحسن الرماني المطرد، في سياق نظائر أخرى له، بقوله: "المطرد: الجاري على النظائر. والنادر: الخارج عن النظائر إلى قلة في بابه"^٦.

والمطرد عند ابن جني، هو "ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة". والشاذ: "ما فارق ما عليه بقيّة بابه وأنفرد عن ذلك إلى غيره...؛ حملاً لهذين الموضعين على أحكام غيرها"^٧.

والشاذ عند الجاربردي: "ما يكون بخلاف القياس، من غير النظر إلى قلة وجوده وكثرته، كـ "القَوْد". والنادر: ما قلّ وجوده، وإن لم يكن بخلاف القياس، كـ "خزعال". والضعيف: ما يكون في ثبوته كلام، كـ "قُرطاس" (بالضم)^٨.

ويعرّف كلُّ من الشريف الجرجاني والمناوي الشاذّ بأنه "ما يكون مخالفاً للقياس، من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته"^٩.

والشاذ في اللغة لا يكون على درجة واحدة، فليس كلُّ شاذ مردوداً، كما أنه لا يكون كل مطرد مقبولا. فقد ذكر الجرجاني أن الشاذ نوعان: "شاذ مقبول، وشاذ مردود. أما الشاذ المقبول، فهو الذي يجيء على خلاف القياس، ويُقبل عند الفصحاء والبلغاء. وأما الشاذ المردود، فهو الذي يجيء على خلاف القياس، ولا يُقبل عند الفصحاء والبلغاء.

والفرق بين الشاذ والنادر والضعيف، هو أن الشاذ يكون في كلام العرب كثيراً، لكن بخلاف القياس. والنادر هو الذي يكون وجوده قليلاً، لكن يكون على القياس. والضعيف هو الذي لم يصل حكمه إلى الثبوت"^{١٠}.
ويقسم أبو بكر ابن السراج ما شدّ في اللغة ثلاثة أقسام، هي:

أ- ما شدّ عن بابه وقياسه، ولم يشذ في استعمال العرب له، نحو: "استَحَوَذ". فإن بابه وقياسه أن يُعَلَّ؛ فيقال: استَحَاذ، مثل: "استقام" و"استَعَاذ"، وجميع ما كان على هذا المثال. ولكنه جاء على الأصل، واستعملته العرب كذلك^{١١}.

ب - ما شدّ عن الاستعمال، ولم يشذ عن القياس، نحو: ماضي "يَدَع". فإن قياسه وبابه أن يقال: "وَدَعَ يَدَع"؛ إذ لا يكون فعل مستقبل إلا له ماضي. ولكنهم لم يستعملوا "وَدَعَ"، استغني عنه "بَتَرَكَ"؛ فصار قول القائل الذي قال: (وَدَعَه) شاذّاً، وهذه أشياء تحفظ^{١٢}.

ج - ما شذ عن القياس والاستعمال معا، فهذا الذي يُطرح ولا يعرَّج عليه، نحو: ما حُكي من إدخال الألف واللام على "اليجدع"^{١٣}.

وأحكام هذه الأقسام بينها ابن جني على النحو التالي:

أما الشاذ في القياس والاستعمال؛ "فلا يسوغ القياس عليه ولا ردُّ غيره إليه. ولا يحسن أيضا استعماله فيما استعملته فيه إلا على وجه الحكاية".

وما شذ عن بابه وقياسه، ولم يشذ في استعمال العرب له؛ "فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه؛ لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره".

وما شذ عن الاستعمال، ولم يشذ عن القياس "تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله"^{١٤}.

٣- إشكالية الاصطلاح.

تتضح إشكالية اصطلاحية الاطراد والشذوذ- بوصفهما دالين على موافقة القواعد المعيارية ومخالفتها- في تعدد المصطلح، الذي يعبر به النحويون عن منهجهم في بناء قواعد اللغة على مبدأ الشيوخ والكثرة. وتفاوت نظرتهم للنصوص المعتمدة في التقعيد، من حيث الكم والكيف.

وقد نقل السيوطي عن ابن هشام قوله: "اعلم أنهم (يريد النحويين) يستعملون غالبا، وكثيرا، ونادرا، وقليلًا ومطردا. فالطرْد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف. والكثير دونه، والقليل دونه، والنادر أقل من القليل. فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر. فاعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك"^{١٥}.

ورغم أن ابن هشام الأنصاري قد حاول التفرقة بين المصطلحات التي تعبر عن الاطراد والشذوذ على أساس كميّ عددي، فإن ذلك لا ينفي تعددها وتداخلها فيما بينها، لدرجة أنه قد يقع الترادف بينها أحياناً. فالمطرّد في كتب النحويين، يأتي بمعنى (الكثير، والباب، والقياس).

- كما في قول سيبويه: "وتقول: هذا زيدٌ بنيّ عمرو، في قول أبي عمرو ويونس؛ لأنّه لا يلتقي ساكنان، وليس بالكثير في الكلام ككثرة (ابن) في هذا الموضع. وليس كلّ شيء يكثر في كلامهم يُحمل على الشاذ؛ ولكنه يُجرى على بابه، حتّى تعلم أنّ العرب قد قالت غير ذلك...^{١٦}.

- ويقول ابن السراج: "واعلم: أنه ربما شذ الشيء عن بابه، فينبغي أن تعلم أن القياس إذا اطرّد في جميع الباب لم يُعَنَّ بالحرف الذي يشذ منه فلا يطرّد في نظائره. وهذا يُستعمل في كثير من العلوم، ولو اعتُرض بالشاذ على القياس المطرّد؛ لبطل أكثر الصناعات والعلوم^{١٧}.

ويأتي الشاذ - أيضاً في كتبهم - بمعنى (القليل، والنادر، والضرورة، واللغة، واللهجة)، على النحو التالي:

- قال أبو زكريا الفراء: "إذا قلت: عنيد خمسة أثواباً؛ فهو أشبه شيء بقولك: مررتُ برجلٍ حسنٍ وجهاً. قال أبو بكر: وليس هو عند أصحابنا كذلك؛ لأن (وجهاً) عندهم منصوب بأنه مشبه بالمفعول؛ لأن (حسن) يشبه اسم الفاعل. وقد مضى ذكر هذا. والنصب في قولهم: خمسة أثواباً شاذ، إنما يجوز مثله في ضرورة شاعر^{١٨}.

- قال ابن الأنباري: "وأما الجواب عن كلمات الكوفيين، أما قوله: (ولكنني من حُبّها لَكَمِيد...) فهو شاذ لا يؤخذ به؛ لقلته وشذوذه...^{١٩}.

- قال ابن هشام الأنصاري: "وأما (إن) فإعمالها نادرٌ، وهو لغة أهل العَالِيَةِ...^{٢٢}."
- قال ابن أم قاسم المرادي: "وإذا أبدلت بعد الضاد؛ فثلاثة أوجه: البيان والإدغام بوجهيه، فيقال: اضْطَجَعَ، واضْجَعَ، واطْجَعَ. وهذا الثالث، قال ابن هشام الخضراوي: هو نادر شاذ، وقد استثقل بعضهم اجتماع الضاد والطاء، لما بينهما من التقارب، فقلب الضاد لامًا فقال: الطْجَعَ...^{٢٣}."

ويمكن تبين تداخل مصطلحات (الشاذ) من عرض السيوطي لحكم جر (رَبِّ) للضمير، والقاعدة أن مدخولها يكون نكرة، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "يا رَبُّ كاسِيَةٍ عارية في الآخرة". ومن المعلوم أن الضمير من المعارف. يقول: "والأصح (أنه) أي جر (رَبِّ) الضمير ليس بقليل ولا شاذ، بل جائز بكثرة فصيح. وقال ابن مالك: هو قليل، وفي بعض كتبه شاذ. قال أبو حيان: وليس بصحيح إلا إن عني بالشذوذ شذوذ القياس، وبالقلة بالنسبة إلى جرّها الظاهر؛ فإنه أكثر من جرّها الضمير^{٢٣}."

فابن مالك يحكم على المسألة مرة بالقلة، ومرة أخرى بالشذوذ، وهذا يثبت أن اصطلاحات الشذوذ - وكذلك الاطراد - تناوبت فيما بينها عند إطلاق الأحكام النحوية، وهو ما يشي بأن فكرة الكم والكثرة لم تكن محددة في فكر النحويين عند بناء القواعد المعيارية، وتوجيه التراكيب اللغوية غير الشائعة.

ويسترعي نظر البحث في بيان تلك المفارقة أن النحويين أطبقوا - من الناحية النظرية - على مبدأ الشيوخ والكثرة في بناء القواعد المعيارية، وعدّوا ما خالف هذا المبدأ شذوذًا في اللغة، لا يُعتدّ به أو يكون محفوظًا في بابه ولا يقاس عليه. فحين سئل أبو عمرو ابن العلاء عما وضعه مما سماه عربية: أيدخل فيها كلام العرب كله؟، فقال: لا. وقيل له: كيف تصنع فيما خالفتك العرب، وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات^{٢٣}.

ولا ينقض فكر النحويين في بناء صرح القواعد على هذا المبدأ ما ادعاه بعض الدارسين بأن الكوفيين كانوا يبنون قواعدهم على القليل النادر والشاذ أحيانا؛ فهذا السلوك منهم لم يكن اعتراضا على المبدأ العام وهو الكثرة، بل لاختلاف أسلوبهم في التعيد على ما يُقاس عليه وما لا يُقاس.

ويمكن إرجاع المفارقة في تطبيق مقولة "الكثرة والقلة" إلى أمرين:

الأول، منهجي: لم يصرح النحويون في منهجهم الذي قعدوا في ضوئه القواعد ما المراد بالكثرة، أهى كثرة عددية أم كثرة نسبية؟ وهى فى الواقع كثرة عددية، كما فهم من نص ابن هشام السابق. وبناء على ذلك، فإن "غموض هذه المسألة الرئيسة: مسألة القلة والكثرة، بنوعيهما الذاتى والنسبى، أوقع الباحثين قديما وحديثا فى حيرة واضطراب مؤلمين، يصوب هذا ما يخطئه ذاك، ويبيح ذاك ما يمنع سواه..."^{٢٤}. ومن ثم غلبت "الذاتية" - وهى مرفوضة فى البحث العلمى - على استعمالهم المصطلحات، فما يكون مطردا عند بعضهم، يكون شاذا أو نادرا أو ضرورة... عند آخرين، لا لشيء إلا لذاتية التناول لبعض النصوص والحكم عليها بالقاعدة العامة.

والثانى، ذاتى: يفسره التفاوت بين النحويين فى الثقافة اللغوية، ونسبية إلمامهم بالنصوص التى يقعدون لها؛ فلم يكونوا على درجة واحدة فى الإلمام بكل النصوص التى اعتمدوا عليها فى استخلاص قواعدهم، ولم يقتصر ذلك على الخلاف بين المدارس، بل امتد بين أفراد المدرسة الواحدة. ودليل ذلك أن المبرد - وهو بصري المذهب - كان يرد كثيرا من سماعات سيبويه، ومن ثم القواعد التى تُبنى عليها، الأمر الذى دفع ابن ولاد للانتصار لسيبويه منه، وهو الأمر ذاته الذى جعل ابن مالك يُعرض به، بأن كان له "إقدام فى ردّ ما لم يُرو"^{٢٥}.

وإذا ما اعتبرنا أن الدراسة اللغوية قد مرت بمرحلي الوصفية والمعيارية؛ تأكد أن الاصطلاحات المعبرة عن الاطراد والشذوذ تمثل - في المقام الأول - وصفا للظواهر اللغوية القائمة على علاقات مشتركة أو متباينة فيما بينها، حيث إنها ارتبطت بالسماع اللغوي، والسماع وصف لا معيارية فيه. فمبدأ القلة والكثرة، سواء الكمية منهما أو النسبية هو أقرب لقياس الظواهر والأنماط، وليس لقياس الأحكام في عملية التعيد اللغوي، حيث يركز الأول على الاستقراء الناقص في بيان "مدى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية مروية أو مسموعة، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها، وتقويم ما يشذ من نصوص اللغة عنها، ومن ثم فإنه يرفض الأخذ بالظواهر الشاذة، ويرد هذه الظواهر. كما يرفض الأخذ بالنصوص التي تحملها، مهما كان مصدر هذه النصوص"^{٢٦}. وبناء على ذلك يتحدد معنى الاطراد بكثرة ما ورد عن العرب من مسموعات ذات علاقات مشتركة، والتي تجعل منها ظاهرة لغوية تُنتجى عند الكلام، في حين يتحدد معنى الشذوذ بقلة هذه المسموعات وندرتها، فلا يُلتفت إليها في عملية الانتحاء اللغوي.

أما علاقة اصطلاحات الاطراد والشذوذ بقياس الأحكام، فهي مرتبطة بمحوري الدراسة النحوية السماع والقياس معا، أو إن شئت فقل علاقة الوصف بالمعيار اللغويين. فالعلاقة بينهما قائمة على اعتبار القياس (قياس الأحكام) معيارا نقديا في الدراسة النحوية، كاشفا لما يجب أن يُقال من تراكيب لغوية تتفق مع القواعد المعيارية الملزمة للغة، وتحكم على ما خالفها بالشذوذ؛ ولذلك يُنظر إلى القياس على أنه عملية شكلية، يتم فيها "حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه"^{٢٧}. أي تستلزم مقيسا (غير المنقول)، ومقيسا عليه (المنقول)، وجامعا (معنى)، وحكما مترتبا على ذلك. ومن ثم يكون للاطراد والشذوذ معنى آخر - غير معنيهما في قياس الظواهر والأنماط - هو موافقة المقيس للمقيس عليه، في حكمه أو مخالفته له.

ومحصّلة الأمر، أن الاضطراب في تحديد مدلول القلة والكثرة، وتعدد المصطلحات التي عبر بها النحويون عن اطراد الظواهر اللغوية وشذوذها- أصاب الدراسة النحوية بالخلاف والتشعب في مسائل، تعدّ من قبيل الرفاهية العلمية في كثير من الأحيان؛ إذ لا طائل من ورائها، بل أدت إلى عزوف الكثيرين - قديما وحديثا- عن تعلم النحو. وخروجا من هذا الاضطراب والتداخل في دلالات الاطراد والشذوذ، يتفق البحث مع الدكتور على أبو المكارم في توحيد الاصطلاحات، واعتبار مصطلح الاطراد عنوانا على ظاهرة الكفاية الكمية للنصوص، تلك الظاهرة التي عبّر عنها بالفعل بعدد آخر من المصطلحات، في مقابل الشذوذ باعتباره بدوره العنوان الرئيس الدال على عدم كفاية النصوص، وإن شاركتة في هذه الدلالة مصطلحات أخرى^{٢٨}.

ويطمئن البحث - رغم ما سجله من مفارقة تتعلق باصطلاحات الاطراد والشذوذ - إلى أمرين:

١- إن الاطراد والشذوذ يمثلان منهجا في عملية التقعيد للعلوم بأسرها، لا سيما اللغة؛ لأنهما سبيل المقعد إلى الوصول للقاعدة التي تمثل حكما عاما ضابطا لممارسة اللغة، والحفاظ على خصائصها التركيبية والدلالية؛ حيث إن القاعدة جزء من اللغة، أما التقعيد فهو وسيلة إنتاج القاعدة وتفسيرها. وكلُّ بحث يتجاوز هذه القاعدة بالتعليل أو التفسير يعد من التقعيد لا من القاعدة، ومن هذا التقعيد بحثُ شروط السماع وأبعاده وتأويله؛ أي أن التقعيد هو الجانب النظري في الموروث النحوي من السماع والقياس، وهو الذي ينتمي إلى نظرية النحو ومنهجها؛ فيكون مناط الاجتهاد ومدخل التيسير^{٢٩}.

٢- حين توصف القاعدة بالاطراد أو الشذوذ، فليس معنى ذلك إخراج ما شدّ عنها من دائرة الفصاحة اللغوية تماماً، بل هو وصفٌ لدرجات الاستعمال اللغوي على جميع مستوياته التحليلية؛ لذلك كان النحويون القدامى - رحمهم الله - أدق في نظرتهم تجاه ما يتخوف منه بعض الدارسين، الذين ينظرون إلى الشاذ على أنه خروج من دائرة الصواب اللغوي. ومن هذه الزاوية يمكن أن نفهم الاصطلاحات المعبرة عن الاطراد والشذوذ، نحو: "غالب، وكثير، ونادر، وقليل، ومطرّد، وشاذ، وضرورة، ولهجة، وقياس، وسماع..." - بوصفها من إجراءات التقعيد والوصف اللغويين عند بناء النحويين للقاعدة وتفسيرهم إياها، وبيان درجات التراكيب اللغوية في الفصاحة والاستعمال.

(المفارقة الثانية: تجاهل الكثرة المسموعة في وضع القاعدة)

السماع والقياس أصلان مكينان في النظرية النحوية، وهما يعكسان مراحل فكر النحويين في دراسة اللغة، فالدرس الوصفي يُغلب السماع على القياس، في حين يعطي الدرس المعياري لها القياسَ أولوية تفوق السماع. وهذه قضية لا يريد البحث الخوض فيها؛ لأنه مسبوق إليها^{٣٠}.

ويعرف ابن الأنباري (السماع): بأنه "الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة"^{٣١}. فهو يحدده بصحة الرواية عن العرب الفصحاء، وأن يكون خارجاً عن حد القلة إلى حد الكثرة.

و(القياس): هو "تقدير الفرع بحكم الأصل. وقيل: هو حمل فرع على أصل بعلّة، وإجراء حكم الأصل على الفرع. وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع. وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع"^{٣٢}. فعملية القياس النحوي عملية صورية (شكلية)، تقتضي أصلاً، وفرعاً، وعلة جامعة، وحكما يترتب عليها.

ومن أسس بناء القاعدة عند النحويين أنها تُبنى على مبدأ الشيوع والكثرة في المسموع من كلام العرب، وهو ما أفادته عبارة ابن الأنباري السابقة: " أن يكون (المسموع) خارجا عن حد القلة إلى حد الكثرة "؛ إلا أنهم في بعض الأحيان قد تجاهلوا ذلك المبدأ، معللين ذلك بطرد الباب النحوي، والتواتر في خصائصه، أو بمراعاة أصل الوضع، وهو ما حدث في قاعدة (نقل المصدر) للوصف والحال، وأرى أن عرض أقوال النحويين فيها ينضوى على بعض المفارقات التي يكشف عنها الخلاف النحوي بينهم في هذه المسألة.

ينصّ جمهور النحويين على أن نقل المصدر للوصف يكون على وجهين:

الأول، على المبالغة والمجاز، حيث يكون المنعوت هو عين النعت، فلا يُؤوّل نحو: هو قاضٍ عدلٌ؛ "لأنه (أي: المصدر) جنس يدل بلفظه على القليل والكثير؛ فاستغني عن تثنيته وجمعه...^{٣٣}.

والوجه الثاني، أن يكون على الحقيقة، فيقع فيه التأويل؛ بحثا عن "رابط" يربط النعت بمنعوته، وقد أولّه الكوفيون بمشتق، نحو: صحبتُ عالما كرمًا؛ أي كرمًا. وقد جعل الدماميني تأويله باسم الفاعل كثيرًا، وباسم المفعول قليلًا^{٣٤}.

وأولّه البصريون على حذف مضاف يكون هو النعت، وفيه مراعاة لأصل وضع المصدر على الأفراد والتذكير. وردّه ابن الحاجب من وجهين: "أحدهما: أنه يلزمه أن يوصف بجميع المصادر على هذا النحو، والآخر: أنه يلزمه حذف مضاف"^{٣٥}.

ويؤخذ من ذلك أن النحويين - حين فرقوا بين نقل المصدر للوصف على المبالغة والمجاز، وكونه على الحقيقة - يُقرّون بأن ثوابت الأسلوب لا تتعارض وثوابت النحو الممثلة في القواعد التي لا يجوز الخروج عليها، كما أن التفرقة منوطة بملاحظات

السياق وقرائنه، فالتقل المراعى فيه المبالغة والمجاز أدخلُ في باب (التنغيم) بوصفه تطريزا صوتيا للغة المنطوقة؛ إذ إن اللغة المكتوبة لا تفرق بين المبالغة والحقيقة في الاستعمال، اللهم إلا بعلامات كتابية، كالترقيم.

وتبدو المفارقة هنا في اطراد القاعدة من جهة القياس بمراعاة أصل الوضع، وشذوذها في السماع؛ رغم كثرة ورود المصدر نعتا في كلام العرب. يقول ابن مالك في بيت الألفية:

وَنَعْتُوْا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا فَالتَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَا

فالنعت بالمصدر كثير في كلام العرب، ورغم ذلك يكون غير مطرد؛ لكونه خلاف الأصل في باب النعت، بأن يكون مشتقا، نحو: هذا رجلٌ عدلٌ، وصبرٌ، وصومٌ، ورضى.

ويلعل أبو القاسم السهيلي خروجه من دائرة الاطراد، بقوله: "إنما لم يكن نعتا؛ لأنه (لا رابط) بينه وبين الاسم الأول؛ ولأنه اسم جنس على حاله...^{٣٦}. فدلالة المصدر على الحدث - عنده - لا تفي بالربط بينه وبين المنعوت، وافتقار المنعوت إلى هذا الرابط كان وراء رفض الوصف به.

وقد راع بعض النحويين هذا التناقض في قاعدة نقل المصدر للوصف به، - وهو في نظر البحث نتاجُ غموض فكرة الكمّ أثناء التقعيد - فقد نقل الشاطبيُّ عن ابن درستويه قوله: "ليس من المصادر شيء إلا ووضعه موضع الصفات جائز مطرد، منقاس غير منكسر"^{٣٧}.

وحيال هذا التردد بين الاعتراف بمبدأ الكثرة في بناء القاعدة وتجاهله في بعض المواضع، لجأ المتأخرون من النحويين في تعاملهم مع الوصف بالمصدر إلى توسيع

قاعدة النعت؛ ليكون مطرداً، وذلك بإضافة شروط نحوية تحكم توارده، وهي: أحدها: أن لا يؤنث ولا يثنى، ولا يجمع. الثاني: أن يكون مصدر ثلاثي، أو بزنة مصدر ثلاثي. الثالث: أن لا يكون ميميا^{٣٨}.

ويلاحظ أن هذه الشروط لم تكن ذاتية؛ أي تخضع لذوق المقعد أو النحوي، وإنما هي نابعة من طبيعة التقعيد اللغوي ذاته، الذي يصف السلوك اللغوي في استعمال التراكيب، ويحدد الظاهرة اللغوية ويفسرهما، وذلك بوصفه إجراء مهماً، قبل الوصول إلى حكم عام هو القاعدة النحوية. فالشرط الأول يراعي خصائص بنية المصدر في اللغة، بمراعاة أصل الوضع فيه على الأفراد والتذكير، والذي كان سبباً في عدم الاعتراف باطراده؛ رغم كثرته. أما الشرطان الثاني والثالث، فلأنه لم يرد المصدر في كلام العرب والقرآن الكريم إلا ثلاثياً غير ميمي، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف: ١٨، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الملك: ٣٠.

أما نقل المصدر للحال، فيثبت الاستقراء صورتين له، هما: صورة التنكير، وصورة التعريف.

ومن شواهد الحال المصدر المنكرة، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ البقرة: ٢٦٠ والتأويل: ساعيات. وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة: ٢٧٣، والتأويل: مُلْحِفِينَ. ومن شواهد المعرّفة قول الشاعر:

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَدْذُهَا وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَعْصِ الدُّخَالِ^{٣٩}

والتأويل: فأرسلها معتركة.

والأصل في الحال أن تكون وصفاً، لدالتها على ذات صاحبها، ومعنى هو هيئته، نحو: أقبل الصبي مبتسماً. ولذلك كان نقل المصدر للحالية، خلاف الأصل؛

لدلالة المصدر على المعنى دون الذات، نحو: صحبتُ الشيخَ علماً؛ أي علماً. فالمصدر دل على الحدث والمعنى، وهو "العلم" ولم يدل على الذات "الشيخ".

والكثرة في الصورتين (التنكير والتعريف) متفاوتة، كما يقول ابن مالك: "وكثير المنكر؛ لأنه يُحْجُج إلى تأويل واحد. وقلّ المعرّف اللفظ؛ لأنه يُحْجُج إلى تأويلين: تأويل الوصفية، وتأويل التنكير"^{٤١}. وهذا مراعاة لقاعدة التوجيه النحوي "ما يحتاج لتأويل واحد أولى مما يحتاج لتأويلين أو أكثر".

ويشير السيوطي - أيضاً - إلى المفارقة في نقل المصدر بين الوصفية والحالية، فـ "هو (يريد وروده حالا) أكثر من وروده نعتاً"^{٤٢}.

والمصدر الواقع حالا غير مقيس عند سيويوه والجمهور، مراعاة لأصالة الوصف في الحال^{٤٣}. بدلالته على صاحبها في المعنى والذات، وهذا لا يحققه المصدر.

وعن المبرد قولان: الأول، يميز القياس عليه مطلقاً. والثاني، يميزه فيما كان من نوع عامله، وهو أشهرهما^{٤٤}. مثل: قتلته صبراً، وأتانا سرعةً.

ولم يستبعد ابن مالك قياسه على قول المبرد^{٤٥}. فقد نصّ كل من ابن مالك وابن النازم على قياسه بتوسيع قاعدة وقوع الحال مصدراً في الأنواع التالية:

- ما وقع بعد خبر معرف بـ (أل) الدالة على الكمال مثل: أنت الرجلُ علماً، وهو الفتى أدباً.

- بعد خبر يُشَبَّه به مبتدؤه: مثل: أنت زهيرٌ شعراً، وحاتمٌ جوداً، والأحنف حليماً.

- بعد (أما)، مثل: أما علماً فعالمٌ، وأما حفظاً فحافظٌ^{٤٥}. وقد وجّه أبو حيان الأندلسي النوعين الأول والثاني على التمييز^{٤٦}.

وينبه البحث على ثلاثة أمور، هي:

الأول، إن تأويل البصريين للمصدر الواقع حالاً بمشتق، هو ذاته تأويل الكوفيين له عند وقوعه نعتاً، وقد اعترض عليهم البصريون، قائلين بأنه على حذف مضاف، يكون هو النعت. ويؤخذ من ذلك اضطراب الفريقين في حقيقة المصدر في البابين، ومن ثمّ حاول أحد أصحاب الحواشي دفع هذا التنافي قائلاً: "إنّ كلاً ذكر في كلّ من الموضوعين ما هو بعض الجائز عنده"^{٤٧}. وأمام هذه المقالة يمكن القول: إن هذه التأويلات أمر شكلي، وجوهر المعنى واحد في وقوع المصدر حالاً أو نعتاً.

والثاني، يكاد يقع إجماع النحويين على عدم اطراد نقل المصدر للوصف. أما نقله للحال، فقد جعله بعضهم غير مطرد، وجعله بعضهم مقيساً فيما كان نوعاً لعامله، وبعضهم قاسه في ثلاثة أنواع، وبعضهم قاسه مطلقاً. وبالنظر إلى كثرة الشواهد الواردة في وقوع المصدر حالاً، وكثرته إذا ما قورن بوقوعه نعتاً، فإن البحث يميل إلى جواز القياس عليه.

والثالث، الغاية من إضافة شروط نحوية للقاعدة هو استيعاب التراكيب اللغوية التي ثبتت فصاحتها في الاستعمال عند العرب الأقحاح؛ ولم ترقَ لدرجة الاطراد في القياس. ويُحمد للنحويين صنيعهم هذا؛ لما فيه من حفاظ على الثروة اللغوية ومراعاة المرونة التي تتسم بها العربية في بنيتها ودلالاتها معاً. ويرى البحث أن هذا الإجراء لو فعّله النحويون في تعاملهم مع كل شاذ في اللغة؛ لقلل دائرة الشذوذ اللغوي، ويسر تعليم القواعد، وواكب تطور اللغة في ألفاظها وتراكيبها في مراحلها التاريخية المختلفة.

(المفارقة الثالثة: وضع القاعدة على المثال الواحد)

هناك قواعد بناها النحويون على مثال واحد لم يُسمع غيره عن العرب، مخالفين بذلك ما اشترطوه من كثرة النصوص المطردة، ومن هذه القواعد المبنية على مثال واحد: (إجراء "فعولة" مجرى "فَعِيلَة") في النسب.

وتعد "شُؤْءَةٌ" أمَّ الباب في هذه المسألة، حيث قيل في النسب إليها "شَنْئِي". وهي من المفاريد المسموعة، التي بنى عليها النحويون اطراد قاعدة في النسب لما كان على بناء "فَعُولَةٌ"، بشرطين: عدم تضعيف العين، وأن تكون هي واللام صحيحتين، نحو: (قُتُوبَةٌ، قَتَبِيٌّ) و(رَكُوبَةٌ، رَكَبِيٌّ) و(حَلُوبَةٌ، حَلَبِيٌّ)... حيث تحذف "واو" المد، وتبدل الفتحة من الضمة، وذلك حملاً على "فَعِيلَةٌ"، نحو: (حَنِيفَةٌ، حَنْفِيٌّ)، و(صَحِيفَةٌ، صَحْفِيٌّ) بجذف الياء، وإبدال الفتحة من الكسرة.

وإنما كان إجراء "فَعُولَةٌ" مجرى "فَعِيلَةٌ" في النسب للمشابهة اللفظية بينهما من وجوه، نصَّ عليها ابن جني: وهي "أن كل واحدة من فَعُولَةٍ وفَعِيلَةٍ ثلاثي. ثم إن ثالث كل واحد منهما حرف لين يجرى مجرى صاحبه، ألا ترى إلى اجتماع الواو والياء ردفين (يريد في القافية) وامتناع ذلك في الألف، وإلى جواز حركة كل واحدة من الياء والواو مع امتناع ذلك في الألف إلى غير ذلك. ومنها أن في كل واحدة من فَعُولَةٍ وفَعِيلَةٍ تاء التأنيث. ومنها اصطحاب فَعُولٍ وفَعِيلٍ على الموضع الواحد، نحو: أثيم وأثوم، ورحيم ورحوم، ومشى ومشو، ونهى عن الشيء ونهوه...^{٤٨}".

وفي حكم إجراء "فَعُولَةٌ" مجرى "فَعِيلَةٌ" في النسب من حيث الاطراد والشذوذ قولان: الأول، أنه قياس مطرد، وهو رأي سيبويه والجمهور. والثاني، أنه شاذ لا يقاس عليه، وهو رأي المبرد. يقول ابن يعيش: "وأما أبو العباس المبرد فإنه يخالفه (سيبويه) في هذا الأصل، ويجعل "شَنْئِيًّا" من الشاذ، فلا يُجيز القياس عليه... وقول أبي العباس متينٌ من جهة القياس، وقول سيبويه أشد من جهة السماع. وهو قولهم: "شَنْئِيٌّ"، وهذا نصٌّ في محل النزاع"^{٤٩}.

وبموازنة القولين - وهما لنحويين بصريين - يتبين للبحث أن المبرد يتمسك بالقياس في الحكم بالشذوذ على المسألة؛ وذلك استناداً إلى قاعدة أصولية بصرية، هي

أن مبدأ الكثرة في المقيس عليه غير متوفر؛ ومن ثمّ لا يقاس على الشاذ. أما موقف سيبويه في الاعتداد بالسماع والحكم بالاطراد، ولو بمثال واحد، رغم مخالفته للأصل البصري، فيبرره **الأخفش** بقوله: "إنما جاء هذا في حرف واحد يعني شُوءة". ثم يعلق عليه ابن جني قائلا: "وما ألطف هذا القول من أبي الحسن، وتفسيره أن الذي جاء في "فَعُولَة" هو هذا الحرف، والقياس قابله ولم يأت فيه شيء ينقضه. فإذا قاس الإنسان على جميع ما جاء، وكان أيضا صحيحا في القياس مقبولا فلا غرو ولا ملام".^٥

ومحصلة ذلك، أن النحويين البصريين لم يشترطوا في المقيس عليه الكثرة، فقد يُقاس على القليل إذا وافق القياس، ولم يرد ما ينقضه، فالمثال في "شُوءة، شَنِي" لم يكن فيه عدول عن أصل القاعدة؛ حتى يُبحث فيه عن الكثرة المنوط بها في القياس، لذا كانت المسألة أصلا قائما بذاته. إلا أن البحث قد اختار هذا المثال - وهو كلّ ما ورد في بابه - للتنبيه على أن النحويين يبنون القاعدة أحيانا على المثال الفرد، إن لم يرد في ذلك غيره. ولم أمثل لذلك بما أُؤخذ عليه الكوفيون من بناء القاعدة على مثال واحد أو مثالين؛ لأن هذا السلوك اللغوي منهم - في نظر البحث - لم يكن إلا في حال عدم وجود غير ما نبوا عليه القاعدة من أمثلة، ولا ياباه القياس في أغلب الأحيان. ومن ثمّ يجب إعادة النظر فيما أُتهم به الكوفيون من بناء قواعدهم على النادر والشاذ؛ لأن البصريين أيضا بنوا بعض القواعد على المثال الواحد والمثالين، كما أنهم لم يحددوا عدد الأمثلة الكافية التي يبنون عليها، فهي متفاوتة من قاعدة نحوية إلى قاعدة أخرى، ومن باب نحوي إلى باب آخر.

ويشير البحث إلى أننا أمام تطور في الفكر النحوي، وذلك بالتخفيف من قسرية مبدأ الكثرة في بناء القاعدة، ليستبدلوا به أصل "عدم اشتراط الكثرة في المقيس عليه". وأحسب هذا التطور نتاجا لغموض مفهوم "القلة والكثرة" لديهم، حيث رأوا أن

هناك نصوصا قليلة توافق أقيستهم النحوية، ووجدوا نصوصا أخرى تفوقها في الكثرة إلا أنها لا توافق القياس، فقالوا بأنه إذا تعارض القياس مع السماع الكثير؛ فالقياس مقدّم عليه. ويؤخذ من ذلك أن بعض النحويين ينظرون لبعض المسائل اللغوية على أنها قياسية، وإن قلّت سماعتها. وينظر آخرون إليها على أنها سماعية؛ رغم مخالفتها القياس، وهو ما يفضي إلى القول بوقوع خلاف حول الظاهرة اللغوية التي يقيسون عليها.

ولسد هذه الثغرة قالوا - كما نقل عنهم السيوطي -: "ليس من شرط المقيس عليه الكثرة، فقد يُقاس على القليل لموافقه القياس، ويمتنع على الكثير لمخالفته له"^٥. ومثال الأول، ما تناوله البحث في النسب إلى "أزد شُوءة"، وهي كلّ ما ورد في باب "إجراء فعولة مجرى فعيلة في النسب"، كما نقل ابن جني عن الأخفش. ومثال الثاني، نقل المصدر إلى الوصف والحال، وهو كثير في كلام العرب، كما نص عليه ابن مالك.

(المفارقة الرابعة: بناء القاعدة على القياس المحض)

من الأمور التي يجب أن تراعى عند التقعيد اللغوي، أن تكون "القاعدة وصفا لسلوك عملي معين في تركيب اللغة، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطردا، حتى يُعبّر عنه بالقاعدة"^٦. لذا بُنيت القاعدة على السماع أولا، باعتباره وصفا للسلوك اللغوي، ثم تُنبت بالقياس، بوصفه معيارا نقديا للظاهرة اللغوية. غير أن النحويين في كثير من الأحيان كان يستغرقهم القياس ومعياريته؛ فيضعون قاعدة نحوية، لا يعضدها السماع الوارد عن العرب؛ فيُفتح بذلك باب الخلف الواسع بينهم في الحجاج العقلي. ومن هذه القواعد التي تفتقر للمسموع عن العرب، "ترخيم العلم المركب". ومن المعلوم أن المركب، إما أن يكون مركبا إضافيا، نحو: "عبد الله، وآل عكرمة"، وإما

مركبا مزجيا، نحو: "سيبويه، وحضرموت"، وإما مركبا إسناديا، نحو: "تأبط شرأ، وشاب قرناها". ويلحق بالعلمية المركب العددي إذا سُمّي به، نحو: "اثنا عشر... وتسعة عشر".

وقد ترتب على افتقار قاعدة ترخيم "العلم المركب" إلى السماع خلاف نحوي قائم على الذهنية الخالصة، ينتصر فيه كلُّ لرأيه دون أن يفيد اللغة بطائل، حتى قال أبو حيان الأندلسي: "فالمنقول عن العرب أنها لم ترخه البتة، وإنما رخه النحويون قياسا"^{٥٣}.

ويوجز البحث آراءهم فيما يلي^{٥٤}:

١- أجاز الكوفيون ترخيم المركب الإضافي، بحذف آخر المضاف إليه، مستدلين بقول

زهير:
خُذُوا حَظَّكُمْ، يَا آلَ عِكرَمَ، وَاذْكُرُوا
أَوَاصِرَنَا، وَالرَّحْمُ بِالْغَيْبِ تُذَكَّرُ

والشاهد في "آل عكرم"، حيث حذف التاء في آخر المضاف إليه، على لغة من لا ينتظر. لكن سيبويه منعه، وحمل البيت على الضرورة الشعرية^{٥٥}.

٢- أما المركب الإسنادي، نحو: "تأبط شرأ، وشاب قرناها"، فسيبويه وأكثر النحويين لا يميزونه؛ لأن السماع لم يرد به. ويعلل رضي الدين الاسترباذي منع ترخيم المركبين الإضافي والإسنادي بعدم أمن اللبس؛ "لأنهما إذا سُمّي بهما يُراعى حال جزأيهما قبل العلمية من استقلال كل واحد من الجزأين بإعرابه على ما يجيء في باب التركيب. فلما كان كل واحد من جزأيهما مستقلا من حيث اللفظ؛ أي الإعراب لمراعاة حالهما قبل العلمية؛ انمحق بعد العلمية عن كل واحد من جزأيهما معنى الاستقلال"^{٥٦}.

٣- وأما المركب المزجي، نحو: "سيبويه، وحضرموت"، ففيه تفصيل وخلاف: فقد ذهب سيبويه وجمهور البصريين إلى جواز ترخيمه مطلقاً، وذلك بحذف "ويه"، فيقال: "سيبَ، وحَضَرَ". وقد منع جمهور الكوفيين ترخيمه مطلقاً، ووافقهم أبو حيان الأندلسي؛ لأن فيه ثلاث لغات: البناء لغير النداء، والإضافة، ومنع الصرف.

وأجاز كلٌّ من الفراء وابن كيسان، من الكوفيين ترخيمه. فعند الأول يكون على حذف "الهاء" وقلب الياء ألفاً، فيقال: "يا سيبوياً". وعند الأخير على حذف الحرف أو الحرفين، فيقال: "يا حضرمَ، ويا بعلبَ".

٤- والمركب العددي، إذا سمي به، وكان غير "اثني عشر، واثنيتي عشرة"، نحو: "خمسة عشر"، فيجوز ترخيمه على مذهب البصريين، بحذف عجزه، فيقال: "يا خمسة". وإذا كان "اثني عشر، واثنيتي عشرة"، فيحذف عجزه مع آخر حرف في الصدر؛ فيقال: "يا اثْنِ، ويا اثْنَتَ". وأما الفراء فقال بمنع ترخيمه.

ومن المسائل التي بنى فيها النحويون القاعدة بالتعويل على القياس المحض، دون أن يرد ما يؤيدها من السماع، "تقدم جملة خبر كان الناسخة عليها، وتوسطها بينها وبين اسمها". نحو: "أبوه منطلقٌ كان زيدٌ"، و"كان أبوه منطلقٌ زيدٌ". وقد ترتب على ذلك خلاف نحوي، مفاده ما يلي:

١- ذهب جمهور النحويين إلى جواز التقدم والتوسط، بشرط عدم المفارقة بين أجزاء جملة الخبر، حملاً على تقديم الأخبار المفردة. وقد تبنى أبو بكر ابن السراج هذا الرأي؛ على الرغم من تصريحه أن مثل ذلك لم يرد عن العرب، يقول: "وما جاز أن يكون خبراً، فالقياس لا يمنع من تقديمه، إذ كانت الأخبار تقدم، إلا أنني لا أعلمه مسموعاً من العرب"^{٥٨}.

٢- فريق لا يجيز تقدم الخبر ولا توسطه، وسندهم في ذلك عدم سماعه عن العرب^{٥٩}.
ولئلا يترتب عليه مخالفة عود الضمير على متأخر، إذا كان في جملة الخبر ضمير،
يربطها بالاسم.

وهكذا لا يترجح الخلاف بين النحويين في هاتين المسألتين؛ لأن المحكّ فيهما هو
القياس المحض، وكل فريق يستظهر على الفريق الآخر بأدلة العقلية، التي لا ينهض
بها دليل نقلي عن العرب. ومن هنا يميل البحث إلى رفض ترخيم العلم المركب،
لعدم وجود قرينة أمن اللبس، واستنادا إلى أن العرب لم تتحدث به، كما أنه من الأولى
تأخير الخبر الجملة عن الناسخ واسمه؛ لأنه من البدهي أن يتقدم المخبر عنه كي
يتضح للمتلقى قبل ذكر الخبر.

إذن يعدّ خلاف النحويين حول "ترخيم العلم المركب"، و"تقديم خبر كان
الناسخة عليها أو توسطها بينها وبين اسمها"... وغيرها خلافا حول وجود الظاهرة
النحوية من أصلها، وهو في حقيقة الأمر "تعبير صادق عن إحساس النحاة بقصور
استقراءهم للظواهر اللغوية، ذلك الاستقراء الذي اعتمدوا فيه على مجهودهم
الفردى، فراحوا يتخذون من قواعد المنطق والقياس وسيلة لجبر هذا القصور"^{٦٠}. ولا
يخفى أن الجهد الفردى يتأثر بالفروق الفردية لديهم، من حيث قوة الحفظ
والاستيعاب للمادة اللغوية المعتمدة في التقعيد والتوجيه.

ووجهة نظر البحث في هذه القضية أنها أثار هيمنة القياس بمفهومه الشكلي
على النحو العربى، والذي صاحبه من جهة أخرى توقفٌ لعملية السماع اللغوي؛ إذ
كانت محكومة بحدود مكانية وأخرى زمانية لعملية الاستقراء، وهو ما عُرف في البحث
اللغوي بعصر الاستشهاد، ذلك أن السماع والرواية عن العرب قد حُسم أمرهما
- مكانياً - بالأخذ عن قبائل بعينها دون أخرى، إلا أنهما زمانياً قد حُسمت بدايتهما

بقرن ونصف قبل الإسلام، ثم استمر دون معرفة نهايتهما - التي حددت فيما بعد في البداية، حتى منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً، وفي الحضر بنهاية القرن الثاني الهجري - وإن كانت مؤطرة بفكرة السليقة اللغوية لمن يُؤخذ عنهم.

ولا يخفى أن تضيق مكان التعيد اللغوي وزمانه - رغم مُبل الهدف لدى النحويين، بتحقيق الفصاحة اللغوية للمادة التي يقعدون لها - قد حدا إلى العكوف على المادة اللغوية التي اعتمدوا عليها في استخلاص قواعدهم بعد توقف عملية السماع بالدراسة والتمحيص وإعمال الفكر والقياس الشكلي، بعد أن كان قياساً استقراءياً يحمل النصوص على نصوص أخرى، فكثرت استثناءات القاعدة وتعددت مسائلها وتضاربت أحكامها، التي تُعدّ من قبيل الاستظهار العقلي المفتقر لدليل سماعي، "ومن ثمّ اضطروا إلى البحث في المرويات علّهم يستخلصون منها مادة لغوية جديدة. وهكذا لم يجدوا بُدّاً من تجاوز ما تقرر من قبل من أساليب المرويات... وكان أبرز ما توصلوا إليه - في هذا المجال - الاحتجاج بالقراءات الشاذة، وبالحديث"^٦.

ومن ذلك - على سبيل المثال - قاعدة "العطف على الضمير المخفوض، دون إعادة الخافض". فقد منعه البصريون؛ لأنهم رأوا أن الجار مع الضمير المجرور بمنزلة الشيء الواحد، فلا بد من إعادة الجار؛ لأن العطف يفوّت الاتصال بين الضمير المخفوض والخافض.

أما الكوفيون فقد أجازوا العطف دون تكرار الخافض، مستدلين بقراءة حمزة الزيات، وإبراهيم النخعي، وقتادة، ويحيى ابن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأعمش: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء: ١. ووجهوا الجر في قراءات أخرى متواترة بالعطف على الضمير المخفوض، كقوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾

وَأَلْمَسِجِدَ الْحَرَامِ ﴿البقرة: ٢١٧﴾. بعطف "المسجد الحرام" على الهاء في "به". وقوله تعالى: ﴿لَنَكِينِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ النساء: ١٦٢. بعطف "المقيمين" على الكاف في "إليك"^{٦٣}. وهكذا استند الكوفيون إلى مصادر سماعية من القراءات القرآنية الشاذة والمتواترة؛ لتسويغ قاعدة "العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض".

ومنه أيضا، قاعدة "رفع المستثنى بعد (إلا) في كلام موجب تام يُوجب نصبه". وقد تناول ابن مالك هذه المسألة في كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح"، ودعمها بشواهد من القراءات القرآنية والأحاديث الشريفة، كقراءة ابن كثير وأبي عمرو: ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ هود: ٨١، برفع "أمرائك". وقراءة: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ البقرة: ٢٤٩، برفع "قليل". ومن الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم: "كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون"^{٦٣}. وقوله أيضا: "ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله"^{٦٤}. وقوله: "ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون. أولئك المطهرون المبرؤون من الخنا"^{٦٥}.

ونبه ابن مالك على أن أكثر المتأخرين من البصريين لا يعرفون في هذا النوع إلا النصب، وهم يؤولونه بتكلف على حد قوله، بأن المرفوع بعد (إلا) ركن من جملة اسمية مقدرة بعدها. والتأويل مرتبا على حسب الشواهد المذكورة: "إلا أمرائك لم يُسرَ بها"، و"إلا قليلٌ منهم لم يشربوا"، و"إلا المجاهرون بالمعاصي لا يُعافون"، و"إلا الله يعلم بأي أرض تموت كل نفس"، و"إلا المتزوجون من الصالحين".

أما الكوفيون فلهم في هذا الذي يفتقر إلى تقدير مذهب آخر، وهو أن يجعلوا (إلا) حرف عطف، وما بعدها معطوف على ما قبلها^{٦٦}.

إذن نحن أمام تطور في الفكر النحوي في عملية دعم القواعد غير المطردة بتوسيع رقعة المسموعات. ورغم وجود هذه المسموعات في المراحل الأولى للتقعيد؛ فإن المراحل التالية لها قد شهدت الإكثار من القراءات الشاذة والأحاديث الشريفة في الاستشهاد على صحة بعض الاستعمالات اللغوية، وإدخالها تحت لواء القواعد المطردة. ويرى البحث أن هذا التطور في إجراءات التقعيد يعد رد فعل طبيعي لتحكيم النحويين القياس المحض في استخلاص القواعد التي لا يعضدها السماع.

(المفارقة الخامسة: بناء القاعدة على التدرج في السماع والقياس)

يقصد بالتدرج في المسموعات، أنها تتفاوت في كثرة الاستعمال. والتدرج في القياس، أن الأقيسة المنوط بها بناء القاعدة تتفاوت في قوتها وضعفها، كأن يكون قياس العلة أقوى من قياس الشبه، في (ما) الحجازية و(ما) التميمية، من حيث إعمالها عمل "ليس" أو إهمال عملها.

وترتبط هذه المسألة عند النحويين باختلاف اللهجات العربية في الخصائص التركيبية، فإعمال (ما) عمل (ليس) لهجة أهل الحجاز، وإهمال عملها لهجة أهل تميم، وكلتاها من اللهجات المعول عليها في التقعيد النحوي. وقد استخلصوا من هذه المسألة عدة قواعد أصولية، هي "تعارض العلل"، و"تعارض السماع والقياس"، أو "تعارض قوة القياس مع كثرة السماع"^{٦٣}.

فالإعمال، ورد به القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ يوسف: ٣١. وقوله: ﴿مَا هَؤُلَاءِ أَتَمَّهِمْ﴾ المجادلة: ٢. وقد وضعوا له ستة شروط، هي:

١ - ألاَّ يُزَادَ بعدها (إن)، فإن زيدت بطل عملها، نحو: "ما إنَّ زيدًا قائمٌ".

- ٢- ألا يُنتقض النفي بالّا، نحو: "ما زيدٌ إلا قائمٌ"، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يس: ١٥.
- ٣- ألاّ يتقدم خبرها على اسمها، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور، نحو: "ما قائمٌ زيدٌ".
- ٤- ألاّ يتقدم معمول الخبر على الاسم، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور، نحو: "ما طعامك زيدٌ آكلٌ".
- ٥- ألا تتكرر "ما"، فإن تكررت بطل عملها، نحو: "ما ما زيدٌ قائمٌ".
- ٦- ألاّ يبدل من خبرها مُوجبٌ، نحو: "ما زيدٌ بشيءٍ إلا شيءٌ لا يعبأ به" ٦٨.
- وكلٌّ من الإعمال والإهمال يعضده القياس، لكنه في الإعمال يكون قياسٌ شبه، بين (ما) و(ليس) من وجوه، هي: دخولهما على المبتدأ والخبر، ونفيهما الخبر في الحال، ودخول باء الجر الزائدة على خبرهما.
- وأما في الإهمال فهو قياس علة، فقد علل النحويون منع العمل بأن (ما) غير مختصة، فهي مشتركة بين الاسم والفعل، نحو: "ما زيدٌ قائمٌ"، و"ما يقومُ زيدٌ" ٦٩.
- غير أن قياس العلة أقوى من قياس الشبه؛ ومن ثمّ حكم النحويون بأن لهجة تميم أقوى قياساً من لهجة الحجاز، ولذلك رأى ابن مالك أن عمل (ما) استحساني، وليس قياسياً ٧٠.
- وتكمن المفارقة هنا في أن النحويين قد وضعوا لـ (ما) قاعدتين مطردتين ومتعارضتين في آنٍ معاً؛ لوجود علتين مختلفتين استدعتاهما، دون الحكم على إحداهما بالشذوذ. وبناءً على ذلك قال ابن جني: "إنّ شدّ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس، كان استعمال ما كثر استعماله أولى؛ وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى

إليه استعماله^{٧١}. أي أن التعارض بين الحكمين، يقتضي ترجيحاً، يُقدّم فيه كثرة الاستعمال على قوة القياس. وبالتالي كان إعمال (ما) أولى لأن لهجة أهل الحجاز نزل القرآن بها، وعليها أكثر التراكيب اللغوية الواردة عن العرب.

ولا يُلفت إلى قول من قال بأنه قد وردت القراءة على الإهمال؛ بالنظر إلى لهجة أهل تميم. كقراءة: (ما هُنَّ أمهاتُهم)، و(ما هَذَا بشرٌ)، برفع الخبر. فقد استنكر ابن الحاجب هذه القراءة، قائلاً: " غير مستقيم؛ لأنه لا يَجِلُّ أن يُقرأ القرآن على حسب اختلاف اللغات ما لم تُنقل تواتراً. وقوله: ويقرأون (ما هذا بشرٌ) يُؤذّن بأن لأهل كل لغة أن يقرأوا بلغتهم، ويؤذّن بأن أهل هذه القبيلة كانت تفعل ذلك، وليس ذلك بمستقيم^{٧٢}."

ويرى البحث أن التعارض في هذه المسألة مردّه خلط النحويين عند التقعيد اللغوي بين مستويات اللغة المتعددة، فلم يتضح لديهم الفروق بين الخصائص المشتركة للهجات، وبين ما يميز كل لهجة منها على حدة؛ ولذلك لم يصموا إحدى اللغتين - أعني التميمية - بالشذوذ، ولم يترجح لديهم الاطراد في الأخرى - أعني الحجازية - إلا بكثرة السماع. أو بمعنى آخر أن النحويين قد وقر في قينهم أن " اللغات على اختلافها كلها حجة."

إن فهمَ النحويين للقواعد اللغوية، وما يرتبط بها من اطراد وشذوذ مساوق لفهمهم للغة ذاتها، على أنها مُحصّلة اجتماع اللهجات المندرجة تحتها، رغم اختلافها في كثير من الخصائص الصوتية والتركيبية، ويعلل الأَخفش اختلاف لغات العرب بأن " أول ما وُضع منها وُضع على خلاف، وإن كان كله مسوقاً على صحة وقياس. ثم أحدثوا من بعدُ أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنها على قياس ما كان وُضع في

الأصل مختلفا... ويجوز أن يكون الموضوع الأول ضربا واحدا، ثم رأى من جاء بعد أن خالف قياس الأول إلى قياس ثانٍ جارٍ في الصحة مجرى الأول^{٧٣}.

ويفهم من كلام الأَخفش أن الشذوذ عن القواعد لم يكن خطأ أو لحنًا، وإنما هو اختلاف في درجة الفصاحة اللغوية، فالمستعمل للغة على إحدى لهجات العرب مصيب من جهة أنها قد وُضعت على اختلاف وصحة وقياس. وقد بيّن ابن جني ذلك الأمر في باب "اختلاف اللغات وكلها حجة"، حيث قال: "وليس لك أن ترد إحدى اللغتين (التميمية أو الحجازية) بصاحبتهما؛ لأنها ليست أحقّ بذلك من رسيّلتها. لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشدُّ أنسًا بها، أما ردُّ إحداهما بالأخرى فلا"^{٧٤}. وفي ضوء فهم النحويين لاختلاف درجات الفصاحة اللغوية يمكن تفسير: لماذا وُجدت قواعد نحوية بنيت على التدرج في السماع وكثرة الاستعمال، والتدرج في الأقيسة الشكلية بترجيح أقيسة نحوية على أقيسة أخرى، مثلما حدث في قاعدة (ما) التميمية والحجازية، من حيث الإهمال والإعمال؟.

وبناء على هذا التصور شرع النحويون يتعاملون مع اللهجات، بوصفها درجات متفاوتة في الصحة اللغوية للاستعمال، فيفسر سيبويه - مثلا - ظاهرة الشذوذ، بقوله: "وليس شيء يضطرون إليه، إلا وهم يحاولون به وجهًا"^{٧٥}. ويقول أبو بكر ابن السراج: "متى وجدت أن يكون قد حاول به مذهبا، ونحنا نحوا من الوجوه أو استهواه أمر غلطه"^{٧٦}. ويقول ابن جني: "الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه"^{٧٧}. أي أن الاستعمال اللغوي على مستوى لهجة ما لا ينفي الاستعمالات الأخرى في اللهجات المختلفة، تلك المنبثقة عن اللغة الفصحى الأم.

إن حجية لغات العرب تمثل مسوغا للتراكيب اللغوية الشاذة من جهة الصواب والخطأ، وهو ما قرره ابن جني، فلم يُحطَّيْ مَنْ يستعمل إحدى لغات العرب. وقد وضع لهذا الحكم ضابطا، فحكم اللغتين المتدانيتين المتراسلتين في الاستعمال والقياس أنه يجوز الاحتجاج بهما على درجة واحدة. أما أن تقل إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدا، فيكون الأخذ - حينئذ - بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا^{٧٨}. ومن ثمَّ يسوغ لمستعمل اللغة الإهمال والإعمال لـ (ما) على لهجة تميم ولهجة أهل الحجاز، دونما تخطئة له من جهة الصواب والخطأ اللغويين. لكن يكون مخطئا من جهة الاختيار بين الجيد والأجود، فاللهجة الحجازية أجود من التميمية - رغم أن الأخيرة أقيس - لأن كثرة الاستعمال متيقنة للأولى دون الثانية، وأن القرآن الكريم نزل فيها بلهجة أهل الحجاز.

(المفارقة السادسة: نقض القاعدة النحوية بقاعدة أخرى)

قد يؤسس النحويون قاعدة في باب من الأبواب النحوية، ويحكمون بشذوذ ما خالفها، ثم يحكمون باطراد هذا الشاذ في باب آخر، مما يضعنا أمام قاعدتين تنقض إحداهما الأخرى. على نحو ما حدث في قاعدة (رتبة مرجع ضمير الغيبة).

وحيث بحث النحويون أحوال مرجع الضمير من حيث رتبته ووجوده وعدمه، صنفوا الضمائر باعتبار الحضور والغيبة إلى ضمائر حضور (المتكلم والمخاطب)، وضمائر غيبة (الغائب). وجعلوا لكل قسم مرجعا يفسره، فضمائر المتكلم والمخاطب مرجعها ومفسرها غير مذكور؛ لدلالة الحضور والمشاركة عليها أثناء الحدث الكلامي. أما ضمائر الغيبة فمرجعها قد يكون مذكورا بالفعل أو بالقوة؛ أي ملفوظا أو مقدرا وملحوظا.

كما أنهم لم يجعلوا الضمائر على درجة واحدة في التعريف، ومن ثمّ تتفاوت قوة وضعفا من خلال علاقتها الإحالية بمراجعها ومفسراتها داخل التراكيب اللغوية، يقول ابن يعيش: "أعرف المضمرات المتكلم؛ لأنه لا يوهمك غيره، ثم المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة. وأضعفها تعريفا كناية الغائب؛ لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة، حتى قال بعض النحويين: كناية النكرة نكرة"^{٧٩}.

ولما كان ضمير الغيبة أضعف الضمائر تعريفا، كانت رتبة مرجعه محفوظة، وهي التقديم عليه؛ "لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسره بقي مبهما منكرا لا يُعرف المراد منه، حتى يأتي تفسيره بعده، وتنكيره خلاف وضعه"^{٨٠}.

وما سبق ذكره، يعدّ قاعدة عامة مطردة في باب الضمير، ينتظم بها أحوال الضمير مع مرجعه من حيث الرتبة والوجود والعدم. لكن يلاحظ أنها مبنية على الاستقراء الناقص للنصوص المسموعة عن العرب - وهي من الناحية المنهجية سلوك يتفق وثوابت العلم -، وأما عند تعميم القاعدة النحوية بوصفها حكما عاما، فلا بد فيها من الاستقراء التام، عند عملية التوجيه النحوي لأساليب تخالف القاعدة العامة. وإذا كانت القاعدة النحوية في باب الضمير تحكم بشذوذ عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، نحو: "ضَرَبَ غلامُهُ زيدًا"، حيث كان مفسر الضمير المضاف إليه الفاعل هو المفعول به، وهو متأخر عنه في اللفظ والرتبة. فإنها تنتقض بقاعدة مطردة في أبواب نحوية أخرى، كالمدح والذم، والتنازع، والخبر، والبدل، والتمييز...، ومن هنا تكمن المفارقة النحوية في بناء قاعدة الضمير على المطرد والشائع، وبناء قاعدة أخرى فرعية على القليل الشاذ بالنسبة لسابقتها في أبواب نحوية أخرى، فتستحيل فيها القاعدة الفرعية أصلا مطردا وناقضا للقاعدة الكلية في آنٍ معا.

وقد ترتب على ذلك حكمان نحويان: حكم بشذوذ عود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة، وحكم باطراده في مواضع، منها:

١- المجرور بـ "رُبَّ"، نحو: رُبُّهُ رَجُلًا صَحِيحٌ.

٢- المرفوع بنعم وبئس، ومفسره التمييز، نحو: نعم رجلاً زيدٌ، وبئس رجلاً عمرو.

٣- المرفوع بأول المتنازعين، نحو قول الشاعر:

جَفَوْنِي وَلَمْ أَجْفُ الْأَخِلَاءَ إِنِّي
لِغَيْرِ جَمِيلٍ مِنْ خَلِيلِي مُهْمِلٌ^{٨١}

٤- الضمير الذي أبدل منه المفسر، نحو: اللهم صَلِّ عليه الرءوفِ الرحيم.

٥- الضمير الذي يفسره الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الأنعام: ٢٩.

٦- ضمير الشأن والقصة، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ٨١.

وقد حَدَثَ هذه المفارقة بكثير من النحويين إلى التوفيق بين القاعدتين، والقول بجواز تأخر مرجع ضمير الغيبة في اللفظ والرتبة، ومن هؤلاء ابن جني، وأبو عبد الله الطوال من الكوفيين، والأخفش من البصريين، وهو اختيار ابن مالك مشروطاً بأن يكون صاحب الضمير قد شارك في العامل. وقد قَصَرَ أحمد بن جعفر تأخر مرجع الضمير على الضرورة الشعرية؛ لأن المسموع في ذلك إنما جاء في الشعر، دون النثر^{٨٢}.

ويرى البحث أن الحكم في هذه المسألة رهين بأمن اللبس، وعملية الفهم والإفهام، فما دام المعنى مفهوماً فلا بأس من قبول مثل هذه التراكيب اللغوية، التي لا يتطرق الشك إليها في أنها وردت عن العرب الفصحاء. وهو ما عَوَّل عليه ابن جني، حين أجاز عود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة، في قول الشاعر:

جَزَى رُبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بَنَ حَاتِمٍ
جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ^{٨٣}

يقول: "وإنما المأخوذ به في ذلك أن يعتقد في الفاعل إذا وقع مؤخراً أن موضعه التقديم، فإذا وقع مقدماً فقد أخذ مأخذه، ورسب به قدمه. وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنى. وهذا ما لا يجوز القياس^{٨٥}. فهو يستند إلى قرينة لفظية تفيد أنّ تأخر الفاعل على نية التقديم، وتقدم المفعول به على نية التأخير. ومما يقوي هذا الاعتقاد أن هناك تطابقاً في الخصائص الدلالية بين الضمير ومرجعه في الذات والعدد والنوع والتعيين عند إحداث عملية الربط الإحالي بالضمير.

(المفارقة السابعة: تفريع القاعدة على مستويات لغوية مختلفة)

لم تكن القواعد المبثوثة في تضاعيف كتب النحويين خالصة لمستوى اللغة الفصحى المشتركة، بل فرّعوا القواعد على مستويات أخرى تعدّ من قبيل اللهجات، لا فرق في ذلك بين ما اعتمدوه من القبائل التي قبلوا الأخذ عنها، وبين القبائل التي استبعدوها. ومن ثمّ غاب عن التقعيد اللغوي شرط الاطراد ووحدة الخصائص المشتركة للغة. وهذه مفارقة في المنهج الذي فرضه النحويون على أنفسهم بتحديد القبائل التي يأخذون منها الكلام الفصيح. وقد بيّن الفارابي ذلك بقوله: "والذين عنهم نُقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم ائكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم^{٨٦}.

ومن أمثلة ذلك في كتب النحويين:

- ١- يقول ابن الأنباري: "وأما الفراء، فاحتج بأن قال: ... وذلك لأن مُدّ ومُنْد مركبتان من "مِنْ"، و"ذو" التي بمعنى الذي، وهي لغة مشهورة^{٨٧}. يريد لغة طيء.

٢- ويقول أبو حيان الأندلسي، في لزوم المثني الألف: " قيل: وهو القياس؛ إلا أن معظم العرب أرادوا التفرقة بين الرفع وغيره، فقلّبوا تلك الألف ياء... وحكى الكسائي أن ذلك لغة لبني الحارث ابن كعب، وزبيد، وخثعم، وهمدان... وذكر أبو الخطاب أنها لغة لكنانة. وذكر غيره أنها لغة لبني العنبر، وبني الهجيم، وبطون من ربيعة^{٨٨}."

٣- ويقول ابن هشام الأنصاري: " متى: على خمسة أوجه: اسم استفهام.. واسم شرط.. واسم مرادف للوسط، وحرف بمعنى من أو في، وذلك في لغة هذيل. يقولون: "أخرجها متى كمّه؟ أي منه...^{٨٩}."

ويلاحظ أن تفريع القاعدة، نتج عنه ما عُرف في التقعيد النحوي باللهجة واللغة. وهذا المسلك تعبير عن القواعد الشاذة التي لم تنجح تأويلات النحويين في إدراجها تحت لواء القاعدة المطردة، لكن ما دلالة ذلك؟

يرى البحث أنهم نظروا للغات على أنها كلها حجة؛ رغم عدم دقتهم في إحصاء الفروق بين اللهجات في المستويات المختلفة للغة إحصاء تاماً - قبل التقعيد لقواعد اللغة المشتركة - سواء كانت صوتية، أو صرفية، أو تركيبية دلالية. كما أنه قد كثرت القواعد واضطربت الأحكام المترتبة عليها؛ بسبب اختلاف اتجاهات النحويين في التقعيد لظواهر اللغة ودراسة مسائلها.

وينظر البحث كذلك إلى تفريع القواعد في الأبواب النحوية على مستويات اللغة المختلفة من زاوية (التطور والتغير اللغوي)، وهو ما يمكن فهمه من فحوى كلام أبي حيان الأندلسي، حيث نصّ على أن العرب كانت تُلزم المثني الألف في أحواله الإعرابية المختلفة وهو القياس، ثم تطور الأمر في مرحلة تالية، بأن قلبوا

الألف ياء للتفرقة بين الرفع وغيره، وصار ذلك السلوك اللغوي هو القاعدة المطردة، وغدت لغة إلزام المثني الألف ركاما لغويا في بعض اللهجات التي نبه عليها^{٩٠}. إذن نحن أمام تطور في القواعد النحوية، ينبع من سمة عامة للغة هي التنامي والتغير المستمران، لكن يبقى "التطور - ولا سيما في النظام النحوي- بطيئا؛ نتيجة ممارسة القاعدة سلطة ما يجب أن يكون، لا ما هو كائن بالفعل أحيانا مع أن التطور حاصل كيف دار الأمر؛ لهذا تبدو أنظمة النحو على شكلين: النحو المتغير... والنحو الثابت...."^{٩١}. أو الاستعمال بمستويات لغوية تمثل أمشاجا للغة، وهي لا ينفي بعضها بعضا، والقياس المحض الذي يمثل القاعدة وما خالفها يكون استثناء لها.

ويلاحظ أن التطور اللغوي في المفردات والتراكيب من صور الاعتراف بالشاذ في اللغة وتسويغ وجوده في الاستعمال. ولا خلاف بين القدماء والمحدثين في ذلك، لكن الخلاف كائن في وصف ما خرج عن القواعد المطردة بالشذوذ، تبعا لكل من الاتجاه المعياري، والاتجاه الوصفي في دراسة اللغة.

أما عن موقف القدماء، فهم يرون أن ما خالف القواعد المطردة يُعد شاذًا، ويراعون أن الشاذ لا يكون على درجة واحدة، فليس كل شاذ مرفوضا كما أنه لا يكون - بالضرورة - كل مطرد مقبولا. فهناك التقسيم المنطقي للاطراد والشذوذ: "المطرّد في القياس والاستعمال"، و"الشاذ في القياس والاستعمال"، و"المطرّد في القياس الشاذ في الاستعمال"، و"الشاذ في القياس المطرد في الاستعمال". وبناء على هذه القسمة اختلفت الأحكام النحوية لكل قسم، كما بينه البحث سلفا، إلا أن الذي يتعلق بأمر التطور اللغوي بوصفه مسوغا لاستعمال الشاذ، هو تردد عبارات في كتب القدماء، مثل: "التنبيه على الأصل"، أو "مُنْبَهَةٌ على الأصل"، أو "مراعاة الأصل فيه"، نحو: "استحوذ، واستصوب"، وحكمه أنه يتبع السماع الوارد فيه، دون القياس عليه. أو "هذا أصل مرفوض"، أو "على خلاف الأصل فيه".

ويرتبط (الشاذ) في اللغة بمجملات التطور في الأبنية والتراكيب، ويُرجع الدكتور رمضان عبد التواب هذا الأمر إلى واحد من ثلاثة أمور، هي:

- الشاذ بقايا حلقة لغوية قديمة ماتت واندثرت، ويعبر عنه بـ "الركام اللغوي للظواهر المندثرة".
- الشاذ بداية إرهاب لتطور جديد لظاهرة لغوية تسود في حلقة تالية، وتقضي على سلفها.
- الشاذ شيء مستعار من نظام لغوي مجاور^{٩٢}.

وهذه التفسيرات تأتي مساوقة لطبيعة التطور في كل اللغات، فالقواعد بوصفها جزءاً من اللغة المتطورة، قد وضعت في مرحلة كانت اللغة فيها قوية فتية، فلم تشهد مراحلها الأولى؛ إذ هي وصف لنصوص أدبية جاءت على درجة عالية من الفصاحة، ولذلك تعد القواعد النحوية الوجه الثابت للغة، في حين تمثل الدلالة الوجه المتغير دائماً عند تنوع الاستعمال.

وأما موقف المحدثين من (الشاذ)، فيعبر عنه "فندريس" بأنه قوة تضاف للغة، من حيث كونه لا يخضع للقياس المطرد، يقول: "يحتوي نحو كل لغة من اللغات على قدر يزيد أو ينقص من الأسماء والأفعال الشاذة، وتسمى أيضاً بالصيغ القوية في مقابلة الصيغ الضعيفة أو العلية التي تستسلم للتنظيم الذي يفرضه القياس... وهي تفرض نفسها بخصائصها الفردية، وإن كانت هي نفسها - في أغلب الأحيان - غير جديرة بأن تصبح مثلاً، وأن تتخذ أساساً لعمل قياسي"^{٩٣}.

وهذا الموقف من الشاذ قد بُني على منهج وصفي، ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية متطورة، تفرض صيغها وتراكيبها بخصائصها المتفردة - وإن شذت عن القواعد المطردة - قوة استعمالها؛ تبعاً لحاجة المتكلم إليها.

(المفارقة الثامنة: تضارب القواعد، باختلاف الروايات الصحيحة للشاهد النحوي)

هناك قواعد بناها النحويون أو ردُّوها؛ بالنظر إلى تعدد الروايات المسموعة عن العرب، تلك التي يُحتج بها في التقعيد النحوي. ورغم أن اختلاف الرواية لا يعد مرجحاً لحكم نحوي على آخر في كثير من الحالات؛ إلا أن ذلك قد خلق جدلاً نحوياً أسفر عنه تضارب في القواعد وأحكامها، وكان أغلب ما وقع منه في المرويات الشعرية، التي كانت مطية الرواة المتحليين والوضاعين.

وهذه المفارقة مبنية على (اختلاف رواية الشاهد النحوي) التي اعترف بها النحويون، باعتبارها واقعا في اللغة والتقعيد؛ لأن هناك اختلافات ناتجة عن التحريف والتصحيف والوضع للشواهد؛ بقصد الانتصار للرأي والمذهب النحوي كان من السهل ردها، بالتنبيه على الرواية الصحيحة، ووصف المطرد والشاذ منها. فما يريده البحث هنا هو اختلاف الروايات التي أقر اللغويون والنحويون بتعدد طرائق روايتها. يقول عبد القادر البغدادي: "العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر؛ فيرويه على مقتضى لغته التي فطره الله عليها. وبسببه تكثر الروايات في بعض الأبيات، فلا يُوجب ذلك قدحاً فيه، ولا غضاً منه"^{٩٤}.

ومن أمثلة ذلك أن جمهور البصريين والكوفيين قد بنوا قاعدة "الرتبة بين التمييز وعامله المتصرف" على تعدد رواية الشاهد النحوي. وهناك اتفاق بين الفريقين على منع تقديم التمييز على العامل غير المتصرف، لكنهم اختلفوا في حكم تقدمه على الفعل المتصرف، على النحو التالي:

١- منع البصريون تقدم التمييز على عامله المتصرف، نحو: "امتلاأت ماءً، وتفقأت شحماً".

وهو عند سيبويه من "الفعل الذي أنفذ إلى مفعول، ولم يقوَ قوة غيره مما قد تُعدَّى إلى مفعول"، حيث لم يقوَ على التعدي للمفعول بنفسه، وإنما هو بمنزلة "الانفعال" لا يتعدى إلى مفعول، كأن يقال: "ملأني، فامتألت". وأصله "امتألت من الماء، وتفقت من الشحم"، فحذف حرف الجر استخفافاً^{٩٥}.

٢- وأجاز الكوفيون تقدمه على عامله المتصرف، ووافقهم كل من المازني والمبرد وابن مالك من البصريين. واستدلوا بقول الشاعر:

أَتَهَجَّرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ؟^{٩٦}

والدليل أنه نصب "نفساً" على التمييز، وقدمه على العامل وهو الفعل المتصرف "تطيب".

لكن استظهر عليهم البصريون برواية أخرى للبيت، وعدوها الرواية الصحيحة، وهي:

أَتَهَجَّرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسِي بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ؟

وقالوا: إن سُلِّمَ بصحة روايتهم، فإن النصب يكون بفعل محذوف تقديره "أعني" لا على التمييز، كما أن ذلك جاء في الشعر قليلاً على طريق الشذوذ، فلا يكون فيه حجة^{٩٧}.

ومن ذلك أيضاً، قاعدة عمل "أن" المصدرية في المضارع من غير بديل، حيث تضاربت أحكامها النحوية، لاختلاف الرواية، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز عملها محذوفة، مستدلين بقول طرفة بن العبد:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرِ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي^{٩٨}

فقد نصب "أَحْضُرَ" بأنَّ محذوفة، والتقدير "أَنْ أَحْضُرَ". والدليل على صحة ذلك أنه عطف عليه قوله: "وَأَنْ أَشْهَدَ اللّذَاتِ".

أما البصريون فقد منعوا عملها من غير بدل؛ أي من غير أدوات النصب التي تضرر معها، مثل: "كي، وحتى، ولام التعليل، وفاء السببية". وقد ردّوا رواية الكوفيين برواية أخرى برفع "أَحْضُرَ" وهي الصحيحة عندهم، وخرّجوا رواية النصب على توهم وجود "أَنْ" من جهة الشاعر أو الراوي، وذلك مراعاة للقياس في المسألة^{٩٩}.

والأمثلة كثيرة في كتب الخلاف النحوي، تكشف لنا تضارب القواعد النحوية؛ نتيجة تأسيسها على روايات مختلفة للشواهد، وأرى أنه فيما سبق التمثيل به غُنية للتدليل على هذه المفارقة النحوية في بناء القاعدة، وما يترتب عليها من حكم بالاطراد أو الشذوذ.

(المفارقة التاسعة: بناء القاعدة على شواهد مصنوعة)

هناك نوع من الشواهد النحوية قد صُنعت؛ لاستحداث قاعدة نحوية؛ بقصد أن يكون لها سند من السماع، ويذكر السيوطي أن "من الأسباب الحاملة على ذلك: نصرة رأي دُهِبَ إليه، وتوجيه كلمة صدرت منه"^{١٠٠}.

ولم يجد شراح الشواهد وغيرهم غضاظة في التنبيه على وجه الصنعة فيها، حتى وإن وُجِدَ ذلك في كتاب سيبويه، كما فعل عبد القادر البغدادي في شاهد "إعمال الصفة المشبهة على وزن فَعِلَ":

حَذِرْ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمِنْ مَا لَيْسَ مُنْجِيهِ مِنْ الْأَقْدَارِ^{١٠١}

يقول: "يُروى عن اللاحقي أن سيبويه سألني عن شاهد في تعدي فَعِلَ، فعملت له هذا البيت ^{١٠٣}. وهذه الرواية - إن صحت - لهي دليل على أن هناك شواهد صنعها الرواة للنحويين؛ لتدعيم القاعدة النحوية.

ومن الشواهد التي قيل أنها صنعت لنصرة مذهب نحوي، ما فعله الكوفيون في وضع قاعدة بناء "فُعَال" من أَحَاد حتى عُشَار - على ما رواه خلف الأحمر، وقيل: إنه مصنوع ^{١٠٣}:

وَمَضَى الْقَوْمُ إِلَى الْقَو	مُ أَحَاد وَاثْنَا
وُثْلَانًا وَرُبَاعًا	وُثْمَانًا فَأَطْعَمْنَا
وَسُودَاسًا وَسُوبَاعًا	وُثْمَانًا فَاجْتَلَدْنَا
وُثْسَاعًا وَعُشَارًا	فَأُصْبِنَا وَأَصَبْنَا ^{١٠٤}

والبصريون يرفضون القاعدة برمتها؛ لعدم وجود ما يعضدها من السماع؛ ومن ثمَّ يكون شاهد الكوفيين لديهم مصنوعا. يقول ابن يعيش: "ونظير ثَلَاث ورُبَاع في الصفة والوزن أحاد وثناء، وقد سُمعا... وأما ما وراء ذلك إلى عُشَار فغير مسموع، والقياس لا يدفعه... ^{١٠٥}.

وقد تأخذ الشواهد المصنوعة وجهة أخرى، حين يتعمد النحوي نفسه تغيير موضع الشاهد المنافي للقاعدة المطردة، للانتصار للرأي والمذهب، وطرده الباب النحوي، كما في قول الشاعر:

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ، اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ ^{١٠٦}

وهو شاهد على سقوط "الفاء" من جواب الشرط في موضع يقتضي دخولها عليه، والتقدير: "فإنَّه يشكرها"، وهذا محمول على الضرورة عند كل من الخليل وسيبويه ^{١٠٧}.

وقد جاء في كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري، (والكلام للأخفش، وهو من النقول التي أضافها المحقق في متن الكتاب) ما يفيد أن البيت دخلته الصنعة بفعل النحويين أنفسهم، يقول: "وأخبرنا أبو العباس (يريد المبرد) عن المازني، عن الأصمعي أنه أنشداهم:

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَانُ يَشْكُرُهُ

قال: فسألته عن الرواية الأولى؛ فذكر أن النحويين صنعوها. ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها^{١٠٨}.

ومن مصنوعات المبرد الشعرية، كما ذكر ابن مالك، أنه قال في شاهد الترخيم في غير النداء:

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِمَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أُمَامًا^{١٠٩}

وسيبيويه يرى أن ذلك جائز في الشعر للضرورة، غير أن المبرد لا يجيزه، لا في الضرورة ولا في السعة، ويردّ رواية سيبويه برواية أخرى من صناعته، هي:

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِمَامًا وَمَا عَهْدٌ كَعَهْدِكَ يَا أُمَامًا

ويعلق ابن مالك عليه، قائلا: "وأحسن الظن به، إذا لم تُدفع روايته أن تكون رواية ثانية، وللمبرد إقدام في رد ما لم يرو^{١١٠}.

ويؤخذ من ذلك أن الشواهد المصنوعة للقاعدة عند النحويين تشوبها الذاتية، وتفتقر إلى الموضوعية في الأحكام، فهي تنمّ في كثير من أحوالها عن تعصب للرأي وانتصار للمذهب النحوي. كما أنها مثلت ثغرة في منهج النحويين عند التقعيد؛ حيث كان من موجباته - وهم يبنون على النصوص - نقد المتن والسند في الرواية، على نحو ما فعل المحدثون. أعني أنهم لم يقوموا بذلك أثناء التقعيد، وإن حدث ذلك فيما بعد في سياق دحض رأي بالتنبيه على شواهد المصنوعة، كما تبين سلفا.

وإذا كانت المادة اللغوية بأجناسها الأدبية المختلفة (ومنها الشعر) هي مجال الدرس اللغوي عند كل من النحويين ومؤرخي الأدب؛ فإن منهجهم لم يكن واحداً. يقول الدكتور تمام حسان - رحمه الله - : "وقد كان مؤرخو الأدب أسرع إلى الاعتراف بعصور اللغة من النحاة، وكان أولى بالنحاة أن يعترفوا بهذه المراحل، ويدرسوا كل واحدة منها دراسة وصفية على حدة، كما فعل أصحاب تاريخ الأدب"^{١١}، ومفاد ذلك: أن القواعد النحوية كانت تمثيلاً لعصر من العصور اللغوية، ثم حُكِمَ بها على عصور لغوية أخرى.

وقد ترتب على هذا الخلاف المنهجي صدام - من وجهة نظر النحويين على الأقل - بين ثوابت النحو وثوابت عملية الإبداع؛ رغم أنه لا تعارض بينهما في الحقيقة. فالأديب يدور في فلك القاعدة النحوية، ما دام يحقق الصحة اللغوية في التراكيب، وفي الوقت نفسه يُوظَّف إمكانات اللغة في عملية الإبداع. وقد أخذ هذا الصدام مظاهر شتى، هي كالتالي:

١- رفض بعض النحويين الاستشهاد بنصوص أدبية لشعراء، يتمون إلى عصر الاستشهاد، وقد ثبتت فصاحتهم، مثلما فعل أبو عمر ابن العلاء، فلم يستشهد بشعر كل من جرير والفرزدق. يقول: "لقد أحسن هذا المولد حتّى لقد همّمت أن أمر صبياننا بِرِوَايَةِ شعره؛ يَغْنِي بذلك شعر جرير والفرزدق"^{١٢}. ولم يك أبو عمرو بن العلاء منصفاً في ذلك؛ حيث اعتمد في موقفه من شعر جرير على الذاتية والذوق الشخصي في الحكم على اللغة، بل إنه ربما كان ذلك ردّاً فعلٍ لهجاء جرير له.

٢- تخطيط النحاة للشعراء، كما فعل عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي، حين خطأ الفرزدق في قوله:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنَ مَرَوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا^{١١٣}

فبينما أراد ابن أبي اسحق أن يُحكّم القاعدة والقياس النحوي، فينصب "مجلّف" بالعطف على "مسحتا"، أثر الفرزدق الرفع على الاستئناف؛ لئلا يقع (الإقواء) بمخالفة القافية المرفوعة. وحين سأله ابن أبي اسحق: على أي شيء ترفع "أو مجلف؟"، قال الفرزدق: على ما يسوءك وينوءك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا^{١١٤}.

٣- تغيير الشواهد الشعرية وصناعتها، فقد تدخل النحويون بتغيير موضع الشاهد كي يتفق مع قواعدهم، فيحققوا لها الاطراد، حتى ولو كان ذلك على حساب ما قصد إليه الشاعر في عملية الإبداع، وما ابتغى به أحد وجوه العربية. وبناء على ذلك يجب أن تُراجع القواعد التي بنيت على روايات مختلفة للشواهد، أو على شواهد مصنوعة. فإذا تأكد عدم صحتها وجب التنبيه على ذلك واستبعادها من كتب النحو، أو على الأقل قصر دراستها على ذوي التخصص.

(المفارقة العاشرة: بناء القواعد وتوجيهها على التوهم)

لم يكن "التوهم" في الأبواب النحوية غير أحد إجراءات تفسير القاعدة، وتعليل الأحكام المترتبة عليها، وتأويل ما شذ عنها؛ كي يتحقق طرد الباب النحوي. فالتوهم يقوم على التخيل والتصور الذهني لما هو غير موجود بالفعل في التركيب اللغوي، مما يوقع المتوهم في مظنة الاتفاق أو الاختلاف مع مقاصد المتكلمين للغة وأغراضهم المنجزة بها، ولعل ذلك يتفق مع ما قرره رضي الدين الاستراباذي، حين قال بأن "أمور النحو أكثرها ظني"^{١١٥}.

فمن توهّمات النحويين تناولهم قاعدة "البساطة والتركيب في حروف المعاني"، مثل: (لكنّ، ومهما، وإذن، وإمّا، ولات، وكم... وغيرها). وعند رصد أقوالهم وطرائق معالجتهم تجد أن توهّماتهم النحوية قد تكون لمجرد الاستظهار العقلي فقط، أو يكون وراءها دافع لاستصدار حكم نحوي لتراكيب لغوية معينة.

ومثال الأول، ما نقله ابن أم قاسم المرادي في (لات)، يقول: "أصله "لا"، ثم زيدت التاء، كما زيدت في "ثمت"، و"ربت". هذا مذهب الجمهور. وقيل: مركبة من "لا" والتاء... وقال ابن أبي الربيع: "لات" أصلها "ليس"؛ فقلبت ياؤها ألفاً، وأبدلت سينها تاء؛ كراهية أن تلتبس بحرف التمني. ويقويه قول سيبويه: "إن اسمها مضمّر فيها"، ولا يضمّر إلا في الأفعال"^{١١٣}.

وقد ضعّف الأشموني هذا التحليل القائم على التوهم من وجهين: "الأول، أن فيه جمعا بين إعلالين، وهو مرفوض في كلامهم، لم يجيء منه إلا ماء وشاء... والثاني، أن قلب الباء الساكنة ألفاً، وقلب السين تاء شاذان لا يقدم عليهما إلا بدليل. ولا دليل والله أعلم"^{١١٤}.

ومثال الثاني، ما نص عليه ابن هشام الأنصاري في "إذن"، يقول: "قال الجمهور: هي حرف. وقيل: اسم. والأصل في "إذن" أكرمك "إذا جئتني أكرمك، ثم حذفت الجملة، وعوّض بالتنوين عنها، وأضمرت "أن". وعلى القول الأول (يريد الحرفية)، فالصحيح أنها بسيطة لا مركبة من "إذ"، و"أن"، وعلى البساطة فالصحيح أنها الناصبة، لا أن مضمرة بعدها"^{١١٥}.

ويلاحظ أن لنظرية العامل أثرها في توهم النحويين في مسألة البساطة والتركيب، ويمتد ذلك حتى مع الاتفاق على بساطة "إذن" وحرفيتها. فمن يرى أن

تأثير العامل اللفظي أقوى يذهب إلى أن "إذن" هي الناصبة بنفسها. ومن يرى أن العامل المعنوي يؤثر أيضا في معموله، يذهب إلى أن "إذن" مركبة؛ فلا تكون ناصبة بنفسها، وإنما بأن مضمرة بعدها.

ويأخذ التوهم في كثير من الحالات اتجاهها تأويليا لما خالف القاعدة النحوية، بالتحايل من أجل طرد الباب النحوي. كما في مسألة "الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة"، في قول العرب: "هذا جحرٌ ضبٌ خرب". وهو يخالف شرط المطابقة بين النعت والمنعوت من جهة الإعراب.

وقد ذكر ابن جني رأي الجمهور في هذه المسألة، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من منع الجرّ على الجوار؛ إلا أنه توهم فيها ما يساعد - من وجهة نظره - على تحقق مبدأ طرد الباب في النعت، وملخص قوله ما يلي^{١١٩}:

١- هناك إجماع من النحويين على رفض الجر على المجاورة، وأنهم غلّطوا العرب في قولهم: "هذا جحرٌ ضبٌ خرب"، وجعلوه شاذاً لا يُحمل عليه، ولا يجوز ردُّ غيره إليه.

٢- بيّن ابن جني الدافع من وراء تأويل هذه المسألة، وهو رفضه تغليب العرب، وأن مثل هذا الأسلوب كثير في القرآن، وقد ورد فيه نيف على ألف موضع، كما أنه ورد في شعر العرب، ولم يحمله أبو علي الفارسي على الغلط.

٣- أوّل قول العرب على حذف المضاف، وتوهم أصله على: "هذا جحرٌ ضبٌ خربٍ جحره". فأجرى "خرب" وصفاً على "ضب"، وإن كان في الحقيقة للجحر. وأصله حذف الجحر المضاف إلى الهاء، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت؛ لأن المضاف المحذوف كان مرفوعاً، واستتر الضمير المرفوع في نفس "خرب" فجرى وصفاً على ضب، وإن كان الخراب للجحر لا للضبّ.

واختلف التقدير عند السيرافي، فقدره على: "خرب الجحرُ منه"، حملا على الصفة المشبهة، نحو: "حسن الوجه منه"، حيث حُذف الضمير للعلم به، ثم أضمّر الجحر فصار "خرب" ولم يبرز الضمير كما لم يبرز في: "مرتُ برجلٍ قائمٍ أبواه، لا قاعدين". فلا قاعدين جارٍ على رجل، ولم يبرز الضمير؛ لأنه لو برز لقال لا قاعدهما^{١٢٠}.

ومن تحليل ابن جني السابق، نقف على أن التوهم في بعض المسائل المخالفة للقاعدة النحوية لجأ إليه النحوي؛ حتي يسير الباب على وتيرة واحدة، ناهيك عن أن التوهم إذا ارتبط بالنص القرآني فيكون مراعاة لحال المتوهم لا النص، فليس كل ما ورد في القرآن جاء موافقا لقواعد النحويين، وإن أقرّ النحويون أنفسهم بفصاحته، ومن ثمّ شرعوا يوجهون أساليبه المخالفة لقواعدهم.

وأنبه على أن هذه المفارقة في بناء القاعدة على التوهم، سواء بالتقعيد لها أو بالتوجيه كثيرة في كتب النحويين، أرى أن الاستطراد في تتبعها هنا لا يناسب هذا المختصر؛ ولذلك أكتفي بالإحالة على ما عُرِف عند النحويين بالعطف على التوهم، أو العطف بالحمل على المعنى، أو العطف على المحل^{١٢١}.

إن بناء القاعدة النحوية على التوهم لم يكن موضع اتفاق في الدراسات النحوية قديما وحديثا، ولذلك اختلفت توجيهات النحاة لشواهد الإعراب على الجوار، والحمل على المعنى، والحمل على الموضع، والعطف على التوهم، بين الرفض والقبول للظاهرة. فرفضُ التوهم يقوم على احترام مبدأ "السليقة اللغوية" عند العرب، حيث يركز مفهومها لدى اللغويين على الجنس والدم وليس الفصاحة، فالعربي القحّ لا يتوهم ولا يغلط عند استعمال اللغة، وهو ما يعكسه موقف ابن

مالك حين اعترض على سيبويه، "بأننا متى جَوَزنا عليهم (العرب) زالت الثقة بكلامهم، وامتنع أن نثبت شيئاً نادراً؛ لإمكان أن يقال في كل نادر: إن قائله غلط"^{١٢٣}.

واعترض ابن مالك على سيبويه جاء في سياق توجيه شواهد، يُبتَغى فيها تنزيه النص القرآني عن التوهم والغلط، حين سأل سيبويه الخليل عن قوله عز وجل: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون: ١٠ فقال: "لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزمًا ولا "فاء" فيه تكلموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا"^{١٢٣}. فالتوهم عند ابن مالك هو الغلط والخطأ، وهذا لا يحقّ أن يوصف به كلام الله عز وجل، وهذا الشعور لم يخفه السيوطي، فقال عنه: "وإذا وقع ذلك في القرآن عبّر عنه بالعطف على المعنى، لا التوهم أدباً"^{١٢٤}.

وقد عدّ الأستاذ عباس حسن التوهمات النحوية من المشكلات الوثيقة الصلة بالتعليل اللغوي، ورأى فيها عناء فكرياً لا طائل من ورائه، وآثر أن يسميها أوهاما نحوية، لا توهمات. فقال: "ولست - لولا إكبار العلماء والاعتراف بعظيم فضلهم - أجد اسماً أنسب لها من: الأوهام، أو الخرافات، أو الفضول، أو ما شئت من عنوان يدل على أن ما تحته ليس إلا اللفظ الأجوف..."^{١٢٥}. فهذا النوع من التوهمات يعتمد على افتراضات ذهنية لا تعكس الواقع اللغوي ولا يعضدها دليل، فديدنّها الاستظهار العقلي القائم على التخمين، ومن ثمّ يجب الابتعاد عنه؛ لئلا يحدث الجدل النحوي الذي لا فائدة من ورائه.

ولا يخفى أن الأستاذ عباس حسن يخلط بين التوهم والوهم - كما فعل ابن مالك من قبل - مما يشي بأن رفض بناء القاعدة النحوية وتفسيرها على التوهم عند بعضهم مردّه إشكالية تتعلق بالمصطلح، وبالتالي يكون حلّ هذه الإشكالية في تحديد

المراد به، أ هو الخطأ والغلط؟ فيكون هناك إطباق من النحويين على رفض بناء القاعدة على شواهد حُكِمَ بتخطئتها، أم يكون المراد به التخيل والتصور الذهني لما هو غير موجود بالفعل في التركيب اللغوي، ويعد من مكملات فهم معناه وتوجيهه على ما يوافق الأصول المطردة، فيقبل ويستأنس به. يقول أبو البقاء الكفوي: "ليس المراد بالتوهم "الغلط"، بل المراد به: العطف على المعنى؛ أي: جَوَزَ العربيُّ في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظاً له، وهو مقصدٌ صوابٌ"^{١٢٦}.

وإذا ما انتهينا من ذلك التوفيق في دلالة كلٍّ من مصطلحي الوهم والتوهم، فقد نواجه بأمر آخر ألا وهو: هل تكون ظاهرة التوهم - التي سميت بعبارات عدة - قياسية أو غير قياسية؟ وهنا نجد الفريق الآخر المعترف بوجود الظاهرة فعلاً، سواء في التعيد للقاعدة النحوية أو التوجيه لها؛ لتطرد في القياس والاستعمال معاً.

هناك من يرى أن الظاهرة قياسية، كابن جنى في حديثه عن فصل "الحمل على المعنى"، حيث يقول: "واعلم أن هذا الشَّرْجَ (النوع) غَوَّرَ من العربية ببعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً..."^{١٢٧}. فقياسية الظاهرة مبنية عنده على كثرة الاستعمال، كما هو مفهوم من فحوى كلامه.

وهي قياسية - أيضاً - عند ابن هشام الأنصاري، حيث أدرج شواهدا تحت أقسام العطف، وجعلها تمثل العطف على الموضع أو المحل، والعطف على التوهم. وقد اشترط في الأخير ما لم يشترط في الأول، وهو "صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك"^{١٢٨}. أي أنه أرجعها إلى أصل مكين في النظرية النحوية وهو العامل؛ فخلع عليها بذلك ثوب القياس.

لكن يرى بعضهم - كأبي حيان الأندلسي - عدم قياسيتها، حيث اعترض على الزمخشري في توجية نصب "يعقوب" بالعطف على التوهم في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَآتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ هود: ٧١ يقول: "والعطف على التوهم لا ينقاس، والأظهر أن ينتصب "يعقوب" بإضمار فعل تقديره "ومن وراء إسحاق وهبنا يعقوب" ...^{١٢٩}.

ورغم تصريح أبي حيان الأندلسي - في هذا الموضع - بأن العطف على التوهم لا ينقاس، فإنه في غير موضع يُوجّه الآيات على التوهم، كما في توجيهه قراءة (فيدهنوا) في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم: ٩. يقول: "ولنصبه - يُدْهِنُوا - وجهان: أحدهما: إنه جواب "ودُّوا" لتضمنه معنى "لَيْتَ". والثاني، أنه على توهم أنه نطق بأن؛ أي: (ودُّوا أن تُدْهِنَ فيدهنوا)، فيكون عطفاً على التوهم، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعل "لو" مصدرية بمعنى "أن"^{١٣٠}.

وفيما يبدو لي أن تردّد أبي حيان الأندلسي بين عدم قياسية العطف على التوهم، وبين قبوله له في توجيه بعض الآي ضرورة تُقدّر بقدرها، فكون ظاهرة التوهم شائعة في التراكيب اللغوية أمر معترف به، وقد سبق أن قرره ابن جني وأثبتته كتب النحويين بعبارات مختلفة في الأبواب النحوية؛ ويمكن تبرير موقف أبي حيان الأندلسي من مسألة التوهم في بناء القاعدة النحوية وتوجيهها بما يلي:

- إن غموض مفهوم الكثرة في بناء القواعد لم يكن محمداً لدى النحويين - وليس أبو حيان بدعا في ذلك - فالمسألة عنده من قبيل ما كثر في الاستعمال، ولم يطرّد في القياس.

- ربط المسألة بالنص القرآني وضعه - كغيره - أمام تنزيه القرآن عن التوهم، لكن سياق النص في كثير من الأحيان كان يقتضيه أن يقبل به، ما دام ذلك التوجيه يوافق المعنى المراد من الآيات الكريمة.
 - إن الرفض ربما كان في بناء القاعدة النحوية على التوهم، أما القبول به فيكون في توجيه ما خالف القواعد المطردة؛ ليتحقق مبدأ طرد الباب على وتيرة واحدة.
- وعطفا على ما سبق، فإن البحث لا يرى أن يؤخذ بهذه الظاهرة عند وضع قاعدة نحوية يقاس عليها؛ لأنه يفتح بابا للتمحل وتفريع القواعد وكثرة الاستثناءات التي تعقد عملية الفهم اللغوي، إذ إنّ من أهم وظائف اللغة ألا يُؤتى المتلقي من قبل سوء فهم المتكلم باللغة. أما الاعتماد على " التوهم " - وليس " الوهم " - في تأويل ما يبدو مخالفا للقاعدة المطردة، فلا غضاضة في اللجوء إليه في أضيق الحدود الممكنة؛ كي تدخل هذه التراكيب اللغوية تحت لواء القاعدة المطردة، بشرط أن نطمئن لفصاحتها وورودها عن العرب الخُلص؛ وبذلك لا نُضيع جزءاً من تراثنا اللغوي الذي يُستعان به في الكشف عن المراحل التاريخية التي مرت بها لغتنا.

(خاتمة البحث)

كان من غايات دراسة (المفارقات النحوية) في اطراد القاعدة النحوية وشذوذها الكشف عن فكر النحويين في التوفيق بين القاعدة المطردة وما تصطدم به من استعمالات لتراكيب لغوية لا تقل عن غيرها في الفصاحة، اللهم إلا عند التعامل مع مستوى اللغة المشتركة، حيث لا ترقى إلى درجة الاطراد فيها. وحاول البحث نظم هذه المفارقات المتناثرة في سلك واحد من خلال معالجة قضية الاطراد والشذوذ وأحكامهما الكمية على النصوص اللغوية، وكذلك العدول عن أصل القاعدة، لأنه ليس بالضرورة أن تأتي النصوص مطردة مع القاعدة أو الحكم العام على الاستعمالات اللغوية.

وأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، هي كالتالي:

١ - فكرة "الكمّ" أو "الكثرة والقلة" هي محدد رئيس للاطراد والشذوذ في القاعدة، ولم تكن هذه الفكرة واضحة في فكر النحويين عند عملية التقعيد، فقد بنوا القواعد على كم متفاوت من النصوص اللغوية؛ وذلك لأسباب منهجية بين المدارس النحوية، ولطبيعة ذاتية مردها تفاوت النحويين في الثقافة اللغوية والإلمام بالمادة اللغوية.

٢ - التعبير عن (الاطراد والشذوذ) بمصطلحات عدة، كالكثرة والغلبة والشيوع والقياس والباب... والقلة والندرة والشاذ واللهجة والضرورة... إلخ، لم تكن تعبيرات دقيقة عن التصور العام للاطراد والشذوذ في القاعدة النحوية؛ لذلك نظر البحث إليها على أنها وصف لدرجات الاستعمال اللغوي، الذي يأتي في بعض الأحيان مخالفا لاطراد القواعد.

٣- حدث تطور في الفكر النحوي عند تطبيق مبدأ "الكثرة والشيوع" في بناء القاعدة، لأن القاعدة تصطدم أحيانا ببعض الاستعمالات اللغوية، ولذلك قالوا: "ليس من شرط المقيس عليه الكثرة".

٤- هناك خلاف حول وجود بعض الظواهر اللغوية من أصلها، عند بناء القاعدة النحوية، حيث بُنيت على القياس المحض، مثل: "ترخيم العلم المركب"، و"تقديم خبر كان الناسخة عليها أو توسطها بينها وبين اسمها"... وغيرها، وهو ما أفسح المجال للاستظهار العقلي والحجاج، الذي شَعَب المسائل دون أن يصف واقعها اللغوي.

٥- أُلْقَت فكرة عصر الاستشهاد - بوصفه اشتمل على قصور منهجي في التقعيد اللغوي، وهو بناء القواعد على عدة لهجات مثلت اللغة الفصحى - بظلالها على القاعدة النحوية، حيث وُجِدَت قواعد نحوية تنقضها قواعد أخرى، وقواعد توزعت على مستويات مختلفة للغة. وهذا يعني افتقار النحو العربي إلى وحدة الموضوع والدراسة، التي تكفل لأي نظام لغوي الاطراد في القواعد والأحكام وتَوْحُد الخصائص.

٦- احترام النحويين على اختلاف توجهاتهم لكل ما شذ في اللغة عن قواعدها، حيث اتخذوا عدة إجراءات رأوا أنها ضمنية بأن تُدخله تحت لواء القاعدة المطردة، وذلك بتوسيع القاعدة بإضافة شروط نحوية لتستوعب التراكيب اللغوية التي لا ترقى إلى درجة الاطراد، وتوسيع رقعة المسموعات بالإكثار من الاستشهاد بالقراءات القرآنية والحديث الشريف، والقول بحجية لغات العرب، والتطور اللغوي في المفردات والتراكيب عند الاستعمال، والضرورة الشعرية، والتأويل النحوي لكل ما شذ عن القاعدة... إلخ.

٧- إن وجود هذه المفارقات النحوية لم يكن لقصور في الفكر النحوي بل لقصور منهجي عند التطبيق؛ لأن النحويين كانوا حريصين على إحكام النظام النحوي، وتحويل المعرفة إلى الصناعة والعلم المنضبطين.

وينبه البحث على التوصيات التالية:

- تضيق دائرة التوهم في النحو العربي، فالقول به في بناء القاعدة أمر مرفوض في نظر البحث، ولا يلجأ إليه النحوي في تفسير القاعدة إلا في أضيق الحدود؛ لأنه يفتح باباً من التمحل والخلف الواسع بين النحويين في مسائلهم.
- تصفية أبواب النحو من الشواهد الشعرية التي قيل أنها صُنعت لاستحداث قواعد نحوية لم يرد فيها سماع عن العرب، أو على الأقل قصر دراستها على المتخصصين في اللغة؛ من قبيل التيسير على المتعلمين للنحو العربي.
- إعادة النظر في روايات الشاهد الشعري وما بني عليه من قواعد نحوية متضاربة، وذلك بتفعيل منهج المحدثين في نقد سند الرواية ومتنها، لأن النحويين وقعوا فيما وقع فيه دارسو الأدب من الاعتماد على روايات متعددة، رغم أن جهة الدرس وغايته منفكة بين الفريقين.
- إعادة هيكلة الأبواب النحوية، والاقتصار على القواعد المعبرة عن اللغة المشتركة الفصحى، وعدم الخلط بينها وبين الظواهر اللغوية التي تنتمي للهجات العربية، كي يتحقق لعلم النحو وحدة الموضوع والدراسة.

الهوامش والتعليقات:

- (١) اللغة بين المعيارية والوصفية (١٥٨).
- (٢) الإمتاع و المؤانسة (٢ / ١٣).
- (٢) سر الفصاحة (٥٩).
- (٣) لسان العرب (٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨).
- (٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ١٣٩).
- (٦) لم يرد ذكر للشاذ، وربما استبدل به النادر. رسالة الحدود (٧٣).
- (٧) الخصائص (١ / ٩٨).
- (٨) الأشباه والنظائر في النحو (١ / ٢).
- (٩) التعريفات (١٢٤). والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٠١).
- (١٠) التعريفات (١٢٤).
- (١١) ومثل له ابن جني بقولهم: أخوص الرمث، واستصوبت الأمر، واستحوذ، وأغيلت المرأة، واستنوق الجمل، واستتيست الشاة، واستفيل الجمل. الخصائص (١ / ٩٩).
- (١٢) ومثل له ابن جني بقولهم: مكان مبقل. هذا هو القياس والأكثر في السماع باقل. ووقع خبر عسى اسما صريحا؛ نحو قولك: عسى زيد قائما أو قياما الخصائص (١ / ٩٨، ٩٩).
- (١٣) الأصول في النحو (١ / ٥٧). ومنه عند ابن جني، تتميم مفعول فيما عينه واو؛ نحو: ثوب مصوون، ومسك مدووف. وحكى البغداديون: فرس مقوود، ورجل معوود من مرضه. الخصائص (١ / ٩٩).
- (١٤) انظر: الخصائص (١ / ١٠٠).
- (١٥) الاقتراح في علم أصول النحو (١١٤).
- (١٦) الكتاب (٣ / ٥٠٨).
- (١٧) الأصول في النحو (١ / ٥٦، ٥٧).
- (١٨) السابق (١ / ٣٢٤).

- (١٩) الإنصاف في مسائل الخلاف (١ / ٢١٤).
- (٢٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١ / ٢٩١).
- (٢١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣ / ١٦٢٢).
- (٢٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢ / ٣٥٢). وارتشاف الضرب من لسان العرب (٣ / ١٧٤٧).
- (٢٣) انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (٣٩).
- (٢٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث (٤١).
- (٢٥) انظر: شرح التسهيل (٣ / ٤٣٠).
- (٢٦) أصول التفكير النحوي (٢٧).
- (٢٧) الإعراب في جدل الإعراب، لابن الأنباري (٤٥).
- (٢٨) المدخل إلى دراسة النحو العربي (١٢٤).
- (٢٩) التفكير العلمي في النحو العربي (٣٩، ٤٠). وانظر: التقعيد النحوي بين السماع والقياس (مقدمة ص ب).
- (٣٠) انظر على سبيل المثال: اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان.
- (٣١) لمع الأدلة في أصول النحو (٨١).
- (٣٢) السابق (٩٣).
- (٣٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٥١).
- (٣٤) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني (٣ / ٩٤).
- (٣٥) الإيضاح في شرح المفصل (١ / ٤٤٣).
- (٣٦) نتائج الفكر في النحو (٢٠٧).
- (٣٧) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (٤ / ٦٤٣). وهو رأي الصبان في حاشيته على الأشموني (٣ / ٩٤).
- (٣٨) التصريح بمضمون التوضيح (٢ / ١١٧).

- (٣٩) البيت من الوافر، للبيد بن ربيعة في ديوانه (٧٠)، والكتاب (٣٧٢ / ١)، والمقتضب (٢٣٧ / ٣)، وبلا نسبة في الإنصاف في مسائل الخلاف (٨٢٢ / ٢)، وخزانة الأدب (١٩٢ / ٣).
- (٤٠) شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ (٤٤٧ / ١).
- (٤١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢٢٧ / ٢).
- (٤٢) انظر مرتبا: الكتاب (٣٧٠ / ١)، وارتشاف الضرب من لسان العرب (١٥٧٠ / ٣)، والتصريح بمضمون التوضيح (٣٧٤ / ١).
- (٤٣) انظر: شرح الأشموني على الألفية (٢٥٧ / ٢)، والمقتضب (٢٣٤ / ٣).
- (٤٤) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (٧٣٦ / ٢).
- (٤٥) انظر: شرح التسهيل (٣٢٨ - ٣٢٩)، وشرح الألفية لابن الناطم (٣١٦ - ٣١٧).
- (٤٦) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب (١٥٧٢ / ٣).
- (٤٧) حاشية الصبان على شرح الأشموني (٩٤ / ٣)،
- (٤٨) الخصائص (١١٦ / ١).
- (٤٩) شرح المفصل (١٤٦، ١٤٧)، وانظر: شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستربادي (٢٤ / ٢).
- (٥٠) الخصائص (١١٧ / ١).
- (٥١) الاقتراح في علم أصول النحو (٢١٦).
- (٥٢) اللغة بين المعيارية والوصفية (١٥٨).
- (٥٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب (٢٢٣٠ / ٥).
- (٥٤) المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف (٣٤٧ - ٣٥٦)، وهمع الهوامع (٦٢ - ٦٣)، وارتشاف الضرب (٢٢٢٧ - ٢٢٣١)، والإيضاح في شرح المفصل (٣٠٣ / ١)، وشرح الرضي على الكافية (٣٩٤ - ٣٩٧).
- (٥٥) البيت من الطويل، لزهير بن أبي سلمى، في ديوانه (١٦٣)، والكتاب (٢٧١ / ٢)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢١٥ / ١)، وشرح الأشموني (٤٧٠ / ٢).

- (٥٦) الكتاب (٢ / ٢٧١).
- (٥٧) شرح الرضي على الكافية (١ / ٣٩٦).
- (٥٨) الأصول في النحو (١ / ٨٩)، وهو رأي ابن مالك في شرح التسهيل (١ / ٣٥٥).
- (٥٩) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (١ / ٣٧٤).
- (٦٠) الخلاف النحوي في مغني اللبيب لابن هشام (٦).
- (٦١) أصول التفكير النحوي (١٢٤).
- (٦٢) انظر: المسألة (٦٥) من الإنصاف في مسائل الخلاف (٢ / ٤٦٣ - ٤٧٤).
- (٦٣) الحديث في الجامع الصحيح (صحيح البخاري) (٤ / ٣٠).
- (٦٤) الحديث في الجامع الصحيح (صحيح البخاري) (٩ / ١٤٢).
- (٦٥) الحديث في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢ / ٦٠٨).
- (٦٦) انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (٤١ - ٤٤).
- (٦٧) انظر مرتبا: الخصائص (١ / ١٦٨)، (١ / ١٢٦)، والاقتراح في علم أصول النحو (١٥٦).
- (٦٨) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١ / ٣٠٣ - ٣٠٦).
- (٦٩) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (١ / ١٦٥، ١٦٦).
- (٧٠) انظر: شرح التسهيل (١ / ٣٦٩).
- (٧١) الخصائص (١ / ١٢٥).
- (٧٢) الإيضاح في شرح المفصل (١ / ٣٩٧ - ٣٩٨).
- (٧٣) الاقتراح في علم أصول النحو (٣٢).
- (٧٤) الخصائص (٢ / ١٢).
- (٧٥) الكتاب (١ / ٣٢).
- (٧٦) الأصول في النحو (١ / ٥٦، ٥٧).
- (٧٧) الخصائص (٢ / ١٤).
- (٧٨) السابق (٢ / ١٢).

- ٧٩) شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٨٥).
- ٨٠) شرح الرضي على الكافية (٢ / ٥).
- ٨١) البيت من الطويل، بلا نسبة في همع الهوامع (/ ٢٢٣)، والتصريح بمضمون التوضيح (٢ / ٨٧٤).
- ٨٢) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب (٢ / ٩٤٥ - ٩٥١).
- ٨٣) انظر: الخصائص (١ / ٢٩٥)، وارتشاف الضرب من لسان العرب (٢ / ٩٤٣ - ٩٤٤)، وشرح التسهيل (١ / ١٦١).
- ٨٤) البيت من الطويل، للناطقة الذبياني، في ديوانه (٨٢)، و الخصائص (١ / ٢٩٤)، وأوضح المسالك (٢ / ١١٠)، وهمع الهوامع (١ / ٢٢١)، وخزانة الأدب (١ / ٢٧٨).
- ٨٥) الخصائص (١ / ٢٩٦).
- ٨٦) نقلا عن: الاقتراح في علم أصول النحو (١٠١ - ١٠٢).
- ٨٧) الإنصاف في مسائل الخلاف (١ / ٣٨٣).
- ٨٨) التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (١ / ٢٤٥ - ٢٤٧).
- ٨٩) مغنى اللبيب عن كتب الأعراب (١ / ٣٦٦).
- ٩٠) انظر: التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (١ / ٢٤٦ - ٢٤٧).
- ٩١) التفكير العلمي في النحو العربي (٤١).
- ٩٢) انظر: رأي في تفسير الشواذ في لغة العرب، ضمن بحوث ومقالات في اللغة (٥٨).
- ٩٣) اللغة، لفندريس (٢٠٨).
- ٩٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١ / ١٧).
- ٩٥) الكتاب (١ / ٢٠٤ - ٢٠٥).
- ٩٦) البيت من الطويل، للمخبل السعدي في ديوانه (٢٩٠) برواية (ليلي)، وفي الخصائص (٢ / ٣٨٤)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢ / ٨٢٨).
- ٩٧) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (٢ / ٨٢٨ - ٨٣٢)، وشرح التسهيل (٢ / ٣٨٩ - ٣٩١).

- (٩٨) البيت من الطويل، لطرفة بن العبد، في ديوانه (٣٣)، والكتاب (٣ / ٩٩)، والأصول في النحو (٢ / ١٦٢).
- (٩٩) الإنصاف في مسائل الخلاف (٢ / ٥٦٠ - ٥٦٥).
- (١٠٠) الاقتراح في علم أصول النحو (٦٣).
- (١٠١) البيت من الكامل، في الكتاب (١ / ١١٣)، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨ / ١٦٩).
- (١٠٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨ / ١٦٩).
- (١٠٣) انظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها (١ / ١٧٩).
- (١٠٤) الأبيات من مجزوء الرمل، في شرح المفصل لابن يعيش (١ / ٦٣)، والمزهري في علوم اللغة وأنواعها (١ / ١٧٩)، وخزانة الأدب (١ / ١٧٧).
- (١٠٥) شرح المفصل (١ / ٦٢).
- (١٠٦) البيت من البسيط، في النوادر في اللغة (٢٠٨)، والكتاب (٣ / ٦٥)، والأصول (٣ / ٤٦٢).
- (١٠٧) انظر: الكتاب (٣ / ٦٤ - ٦٥).
- (١٠٨) النوادر في اللغة (٢٠٨).
- (١٠٩) البيت من الوافر، لجرير في ديوانه (١ / ٢٢١)، وفي الكتاب (٢ / ٢٧٠)، وشرح التسهيل (٣ / ٤٣٠)، وأوضح المسالك (٤ / ٦٤).
- (١١٠) شرح التسهيل (٣ / ٤٣٠). وانظر: الكتاب (٢ / ٢٧٠).
- (١١١) اللغة بين المعيارية والوصفية (١٧٦).
- (١١٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١ / ٦).
- (١١٣) البيت من الطويل، للفرزدق في ديوانه (٣٨٦) برواية "مجرّف"، والإنصاف في مسائل الخلاف (١ / ١٨٨).
- (١١٤) انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٢٨).
- (١١٥) شرح الرضي على الكافية (٢ / ١١٩).

- (١١٦) الجنى الداني في حروف المعاني (٤٨٥ - ٤٨٦).
- (١١٧) شرح الألفية ومعه حاشية الصبان وشرح الشواهد للعيني (١ / ٤٠٤).
- (١١٨) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (١ / ٢٧). وانظر: الجنى الداني (٣٦٣ - ٣٦٤).
- (١١٩) انظر: الخصائص (١ / ١٩٢ - ١٩٤).
- (١٢٠) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب (٤ / ١٩١٤).
- (١٢١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أقسام العطف (٢ / ٥٤٥ - ٥٥٥).
- (١٢٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٢ / ٥٥١).
- (١٢٣) الكتاب (٣ / ١٠١).
- (١٢٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣ / ١٩٧).
- (١٢٥) اللغة والنحو بين القديم والحديث (١٦٨ - ١٦٩).
- (١٢٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (١٠١٠).
- (١٢٧) الخصائص (٢ / ٤١٣).
- (١٢٨) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (٢ / ٥٤٩)، وأقسام العطف (٢ / ٥٤٥ - ٥٥٥).
- (١٢٩) انظر: الكشف (٢ / ٥١١)، وتفسير البحر المحيط (٥ / ٢٤٤).
- (١٣٠) تفسير البحر المحيط (٨ / ٣٠٤). وانظر أيضا (٨ / ٢٧١)، (٨ / ٤١٩).

المصادر والمراجع

- ١- الأزهرى، خالد: التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٢- الأشموني: شرح الأشموني على الألفية ومعه حاشية الصبان وشرح الشواهد للعيني، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد. المكتبة التوفيقية بالقاهرة، بدون طبعة أو تاريخ.
- ٣- الأنباري، أبو البركات: الإغراب في جدل الإعراب، تحقيق سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية، طبعة ١٩٥٧م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية - بيروت، طبعة ١٩٩٧م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، طبعة ١٩٨٥م.
- ٤- الأندلسي، أبو حيان: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد وآخر. مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق حسن هندراوي. دار العلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- ٥- الأنصاري، أبو زيد: النوادر في اللغة، تحقيق ودراسة دكتور محمد عبد القادر أحمد. دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ٦- الاسترأبادي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر. منشورات جامعة قاريونس - ليبيا، طبعة ١٩٧٨م.

- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين. دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ١٩٧٥ م.
- ٧- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح (الجامع البخاري)، دار الشعب - القاهرة، طبعة ١٩٨٧ م.
- ٨- البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٠٠ م.
- ٩- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، بدون/ طبعة - تاريخ.
- ١٠- الجرجاني، الشريف: التعريفات. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.
- ١١- جرير بن عطية: ديوانه شرح محمد بن حبيب، تحقيق دكتور نعمان طه. دار المعارف بمصر، طبعة ثالثة.
- ١٢- ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، طبعة ١٩٩٩ م.
- ١٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق خليل الميس. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ١٤- ابن الحاجب، أبو عمرو: الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العليلي. طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية - العراق، بدون تاريخ.
- ١٥- حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية. عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٠١ م.
- ١٦- حسن، عباس: اللغة والنحو بين القديم والحديث. دار المعارف بمصر، طبعة ١٩٦٦ م.
- ١٧- الحلبي، ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، بدون طبعة أو تاريخ.
- ١٨- الخفاجي، ابن سنان: سر الفصاحة. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م.
- ١٩- الرماني، أبو الحسن: رسالة الحدود، تحقيق إبراهيم السامرائي. دار الفكر - عمان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

- ٢٠- الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ٢١- زهير بن أبي سلمى: ديوانه بشرح أبي العباس ثعلب، تحقيق حنا نصر الحتي. دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة ٢٠٠٤م.
- ٢٢- الزمخشري، أبو القاسم: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- ٢٣- ابن السراج، أبو بكر: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.
- ٢٤- السهيلي، أبو القاسم: نتائج الفكر في النحو، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا. دار الرياض للنشر والتوزيع، بدون طبعة / تاريخ.
- ٢٥- سيوييه، أبو بشر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل - بيروت، بدون طبعة أو تاريخ.
- ٢٦- السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فايز ترحيني. دار الكتاب العربي - لبنان، طبعة ١٩٨٤م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق دكتور محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، طبعة ٢٠٠٦م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخران. دار الحرم للتراث - القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- همع الموامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٢٧- الشاطبي، أبو إسحق: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين وآخرين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، طبعة ٢٠٠٧م.

- ٢٨- شرف الدين، محمود عبد السلام: التقعيد النحوي بين السماع والقياس. رسالة ماجستير، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٨ م.
- ٢٩- طرفة بن العبد: ديوانه، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة - بيروت، طبعة ٢٠٠٣ م.
- ٣٠- عبد التواب، رمضان: (رأي في تفسير الشواذ في لغة العرب) ضمن بحوث ومقالات في اللغة. مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م.
- ٣١- ابن عقيل، بهاء الدين: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة العشرون ١٩٨٠ م.
- ٣٢- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر - بيروت، طبعة ١٩٧٩ م.
- ٣٣- الفرزدق، همام بن غالب: ديوانه، تحقيق علي فاغور. دار الكتب - بيروت، طبعة ١٩٨٧ م.
- ٣٤- فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، طبعة ١٩٥٠ م.
- ٣٥- الكفوي، أبو البقاء: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش وآخر. مؤسسة الرسالة - بيروت، طبعة ٢٠٠١ م.
- ٣٦- ليبد بن ربيعة: ديوانه، تحقيق حمدو طماس. دار المعرفة - بيروت، طبعة ٢٠٠٤ م.
- ٣٧- ابن مالك، جمال الدين: شرح التسهيل، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، وآخر. دار هجر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.
- شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري. مطبعة العاني ببغداد، طبعة ١٩٧٨ م.
- شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث - السعودية، طبعة ١٩٨٢ م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة العروبة - القاهرة، بدون طبعة / تاريخ.

- ٣٨- المبرد، أبو العباس: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، طبعة ١٣٨٥ - ١٣٨٨ هـ.
- ٣٩- محمد، أحمد علي: الخلاف النحوي في مغني اللبيب لابن هشام. رسالة ماجستير، كلية دار العلوم بالقاهرة، سنة ٢٠٠٤ م.
- ٤٠- المخبل السعدي: ديوانه، ضمن كتاب شعراء مقلون، تحقيق حاتم الضامن. عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.
- ٤١- المرادي، ابن أم قاسم: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق دكتور عبدالرحمن على سليمان. دار الفكر العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة وآخر. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.
- ٤٢- المصري، ابن منظور: لسان العرب. دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.
- ٤٣- المصري، ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية - بيروت، طبعة ١٩٩٨ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية-بيروت، طبعة ١٩٩١ م.
- ٤٤- أبو المكارم، علي: أصول التفكير النحوي. دار غريب - القاهرة، طبعة ٢٠٠٦ م.
- المدخل إلى دراسة النحو العربي. دار غريب - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.
- ٤٥- الملخ، حسن خميس: التفكير العلمي في النحو العربي: الاستقراء - التحليل - التفسير. دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
- ٤٦- المناوي، زين الدين: التوقيف على مهمات التعاريف. عالم الكتب - القاهرة، الطبعة ١٩٩٠ م.
- ٤٧- النابغة الذبياني: ديوانه، تحقيق حمدو طماس. دار المعرفة - بيروت، طبعة ثانية ٢٠٠٥ م.
- ٤٨- ابن الناظم، محمد: شرح ألفية بن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد. دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

حروف القلقة

دراسة فيزيائية مخبرية

أ.د. سمير شريف استيتية

جامعة اليرموك - الأردن

حروف القلقة

دراسة فيزيائية مخبرية

أ. د. سمير شريف استيتية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحديد الخصائص النطقية والفيزيائية لما يسمّى (القلقة) في خمسة من أصوات العربية هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والdal. وقد وقف هذا البحث عند وصف هذه الظاهرة عند المتقدمين والمتأخرين، وناقش آراءهم فيها في ضوء أحدث القواعد والمفاهيم الصوتية المعاصرة.

استخدم الباحث جهاز مختبر النطق الحاسوبي CSL، وقاس هذه الأصوات مقلقة وغير مقلقة من حيث: زمن ترددها، ومقادير طاقتها، وكيفية توزيع الطاقة في القناة الصوتية، ومقادير ضغطها، وكيفية توزيع الضغط في القناة الصوتية.

أظهرت نتائج الدراسة حقائق كثيرة منها أنّ القلقة توفر قدرًا كبيرًا من زمن تردد الأصوات المقلقة فيما لو نطقت غير مقلقة، وتوفر قدرًا كبيرًا من الطاقة الصوتية، وطاقة الصوت، ويصبح توزيع الطاقة الصوتية والضغط في القناة الصوتية متناسقًا عند نطق هذه الأصوات مقلقة. وأظهرت الدراسة كذلك أنّ القلقة تؤدي إلى أن يكون توزيع الطاقة والضغط منظمًا متناسقًا في القناة الصوتية، وذلك على نقيض نطقها غير مقلقة.

الكلمات المفتاحية: القلقة، الخصائص الفيزيائية

Glottalical Pressure Phonemes in Arabic

huru:f alqalqala

by

Samir Sharif Steitiy

This research aims at classifying the articulatory features and acoustic characteristics of the so-called: sounds of qalqala in Classical Arabic. According to their production these phonemes are considered to be as glottalical pressure sounds. The research discussed their description and classification in the classical works of Arabic phonetics and grammar. As for their acoustical characteristics the researcher examined their energy, and sound pressure level in the computer speech lab (CSL). Each one of the five glottalical phonemes was pronounced in the same context twice: glottalical and pulmonic pressure. Results of the paper shows that time of vibration, energy, and pronunciation as pulmonic.

Key words: glottalical pressure phonemes

مقدمة

يعتمد علماء الأصوات المعاصرون على النتائج الفيزيائية التي يتوصل إليها البحث المخبري في تفسير الوصف النطقي للأصوات اللغوية. وقد أصبح الوصف النطقي وحده - دون الاعتماد على التحليل المخبري - ضرباً من الكلاله العلمية، بخاصة عندما يستعصي وصف الظاهرة الصوتية على التفسير النطقي المجرد. وخير مثال على ذلك أصوات القلقلة في العربية، وفي تلاوة كتاب الله - عز وجل - على وجه الخصوص.

وستتناول هذه الظاهرة من وجهيها النطقي والفيزيائي؛ إذ من العسير أن تفهم هذه الظاهرة دون الاعتماد على الأجهزة الصوتية التي تقيط اللثام عن الخصائص الفيزيائية لهذه المجموعة من الأصوات.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الأصوات ما اكتسبت صفة القلقلة إلا عبر وجودها في البنية أو التركيب؛ فالتركيب من شأنه أن يخفي بعض سمات الصوت. وحتى تظهر هذه الأصوات واضحة في النطق، كان لا بدّ أن يكون لزمن ترددها وطاقتها وضغطها وسيلة تعمل على إظهارها فكانت القلقلة. وفي حال عدم وجود القلقلة تضعف هذه الخصائص أو بعضها حتى لا تكاد المرحلة الأخيرة من مراحل نطق الصوت تسمع واضحة في حذر الكلام. وهذا لا يعني أنّ هذه الأصوات لا تقلل إلا في البنية والتركيب فقط، وإنما يعني أنها اكتسبت هذه الصفة بسبب استعمالها فيهما. فالاستعمالات الوظيفية لهذه الأصوات هي سبب اكتسابها القلقلة.

وتساعد الأجهزة الصوتية الحديثة على فهم هذه الظاهرة، وتشخيص دقائقها الفيزيائية بما يؤدي إلى الكشف عن كثير من خفاياها التي لم تكن معرفتها ميسرة بغير ذلك. سنتحدث في الصفحات الآتية عن بعض الخصائص النطقية والفيزيائية لهذه الظاهرة.

الوصف النطقي للقلقلة

مما هو متداول وشائع على ألسنة العلماء والمتعلمين كثيراً أن أصوات القلقلة في العربية خمسة هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والذال. وقد جمعوا هذه الأصوات الخمسة في عبارة (قطب جد) تيسيراً على المتعلمين في استظهارها ثم استحضارها. وقد اصطلاحوا على تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة ربما لما ظنوه شيئاً من الخلخلة والاضطراب في حركة الهواء عند نطقها. فالقلقلة في اللغة تحمل هذين المعنيين كما جاء في اللسان^(١).

القلقلة في العربية التي يقرأ بها كتاب الله عز وجل غير موجودة إلا في خمسة الأصوات هذه. ومع ذلك فقد جعل المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) الكاف من حروف القلقلة منها فقال: "واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة....؛ فمنها القاف والكاف"^(٢). ولإتمام الفائدة في هذا الموضوع أقول: إن قلقله الكاف ما زالت تسمع حتى الآن في جنوب تهامة والسرّة. وربما كان هذا النطق من آثار نطق قديم سمعه المبرّد. وذكر ابن الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ) أن بعضهم يجعل الهمزة مقلقلاً، ونسب إلى سيويوه أنه جعل التاء من حروف القلقلة^(٣)، ولكني لم أجد ذلك عند سيويوه. ودراستنا لأصوات القلقلة في هذا البحث مقصورة على الأصوات الخمسة في العربية التي هي محل إجماع القراء واللغويين.

من المعلوم عند علماء الأصوات الآن أن هذه الأصوات الخمسة وقفية stop sounds بحسب تسمية بعض العلماء المعاصرين، انفجارية plosives بحسب تعبير معاصرين آخرين^(٤). واختار الباحث مصطلح الوقفية، وما على من يختار مصطلحاً

دون غيره من سبيل. أيًا كان الأمر فإنّ هذه الأصوات الخمسة – دون سائر الأصوات الوقفية – هي التي يجري نطقها بإحداث ما سمّوه (قلقلة). وسنرى أنّ ثمة خلافاً بين العلماء المتقدمين والمتأخرين في بيان حقيقة هذه القلقلّة، وأنّ بعض ما ذهبوا إليه لا يصح أن يعتمد عليه في بيان حقيقتها النطقية.

وصف علماؤنا هذه الظاهرة ما وسعهم الاجتهاد في الوصف. وكان من هؤلاء ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي يقول "واعلم أنّ في الحروف حروفاً مشربة تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلّة، وهي القاف، والجيم، والطاء، والذال، والباء؛ لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحق، واذهب، واخلط، واخرج. وبعض العرب أشدّ تصوّياً"^(٥).

أول ما يلحظ على وصف ابن جني أنه قد فرّق بين هذه الأصوات وسائر الأصوات الوقفية، بدليل أنه ذكر أصوات القلقلّة هذه في مجموعة مستقلة بسمتها الأساسية، بعد أن كان قد ذكرها ضمن الأصوات الوقفية التي سماها (شديدة)، يقول ابن جني: "فالشديدة ثمانية أحرف، وهي الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والذال، والتاء، والباء. ويجمعها في اللفظ: أجدت طبقك"^(٦)، ثم أبرز من بين هذه أصوات هذه المجموعة أصوات القلقلّة كما وضحنا.

هذا يعني أنّ التوقف الذي يكون في مجموعة الأصوات الشديدة (الوقفية) شيء، والقلقلّة شيء آخر. وينجم عن ذلك أنه عند ذكر ما تختصّ به أصوات القلقلّة يجب أن يكون مغايراً لما تشترك فيه هذه المجموعة مع سائر الأصوات الوقفية، وإلا انتفى أن يكون بين الفئتين فرق يميّز إحداهما عن الأخرى، ولكان كل صوت وقفيّ مقلقلًا، وهذا لا يقول به أحد.

كان سيويه (ت ١٨٠ هـ) قد وصف الأصوات الوقفية التي سماها شديدة بأنّ الهواء يتوقف عند نطقها فقال: "ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والذال، والتاء، والباء؛ وذلك أنك لو قلت: الحج ثم مددت صوتك لم يَجِرْ ذلك" (٧). وهذا هو نفسه الذي ذهب إليه ابن جني حين قال: "ومعنى الشديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، ألا ترى أنك لو قلت: الحق، والشط، ثم رُمّت من صوتك في القاف والطاء أن يمتد لكان ذلك ممتنعاً" (٨).

باستقراء مفهوم الشدة عند سيويه وابن جني يتبيّن لنا أن ثمة تشابهاً واختلافاً بينهما في تحديد المفهوم الذي يتضمنه هذا المصطلح. ومن الضروري أن نعطى اللثام عن الاتفاق والاختلاف بينهما. فباستقراء (الشدة) في المواطن التي وردت فيها من كتاب سيويه يتبيّن أنه جعلها في ثلاث مجموعات هي:

الأولى: الشدة التي يتوقف معها تيار الهواء عند نطق الأصوات الوقفية. وهذا واضح من قوله: "الشديد الذي يمنع الصوت أن يجري فيه (الهواء)". فهو هنا يشير إلى ظاهرة توقف تيار الهواء عن السيورة في مرحلة احتباس تيار الهواء عند إنتاج الصوت الوقفي. وهذا المفهوم موجود عند ابن جني أيضاً.

الثانية: الشدة الناجمة عن مرور الهواء من الحجرة الأنفية، مع كون هذه الحجرة موضعاً لرنين الأصوات الأنفية، يقول سيويه: "ومنها حرف شديد يجري معه الصوت؛ لأنّ ذلك الصوت غنة... وهو النون وكذلك الميم" (٩). ومن الواضح أنّ الشدة في هذا السياق تشير إلى ما يسمّى في علم الأصوات الأكوستيكي: الرنين، وهو علوّ تردد الصوت بسبب علوّ تردد الوترين الصوتيين عند نطقهما (١٠). ومن المتفق

عليه بين علماء الأصوات الآن أنّ تردد كل من الميم والنون قويّ جدًّا^(١١). الشدة على هذا النحو ليس موجودًا عند ابن جني.

الثالثة: الشدة الناجمة عن إنتاج الصوت المكرر (الراء)، يقول سيبويه: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة. ولو لم يكرر لم يجز الصوت فيه، وهو الراء"^(١٢). تتمثل الشدة هنا في تكرار طرقات اللسان. هذا المفهوم الذي ذكره سيبويه للشدة ليس موجودًا على هذا النحو عند ابن جني.

على كل حال لا خلاف بين علمائنا المتقدمين على وصف ما نسميه نحن الآن أصواتا وقفية أو انفجارية بالحروف الشديدة. وكل الذين ذكروا القلقله من هؤلاء المتقدمين جعلوها في فئة أخرى سموها حروف القلقله، بعد أن ذكروها في فئة الحروف الشديدة. فهي شديدة (وقفية) باعتبار، مقلقله باعتبار آخر. وهو وصف علمي تصنيفي دقيق قائم على اعتبار السمات الفارقة distinctive features التي تميز فئة فرعية من الأصوات ضمن قائمة، وقد تعود إلى تصنيفها في قائمة أوسع منها. يتم إنتاج الأصوات الوقفية كلها بأربع مراحل^(١٣) هي:

١ - إغلاق ممرّ الهواء في موضع النطق إغلاقاً محكمًا، والإحكام مسألة نسبية لا تستدعي التكلف في إحداثها.

٢ - توقف تيار الهواء عن السيرورة توقفًا تامًا.

٣ - إرسال العضوين الناطقين أو أحدهما، فيفتح ممرّ الهواء.

٤ - إرسال الهواء وحدوث انفجار.

لما كان الأمر على هذا النحو فإنه من الخطأ الواضح أن نفسر القلقلة على أنها آخر مرحلة من مراحل إنتاج الصوت الوقفي؛ أي مرحلة إرسال الهواء المحتبس خلف موضع النطق، ذلك الإرسال الذي يحدث معه انفجار مسموع. والسبب في كون ذلك خطأ هو أنه يؤدي إلى انعدام الفرق بين أصوات القلقلة وسائر الأصوات الوقفية. فالمرحلة هذه - أعني آخر مرحلة من إنتاج الصوت الوقفي - موجودة في الأصوات الوقفية كلها مقلقلة وغير مقلقلة، بل إنها تكون في الصوت الواحد عندما ننطقه مقلقلا وغير مقلقل. ولو ذهبنا إلى القول إنَّ القلقلة هي إرسال الهواء وحدوث الانفجار بعد احتباسه خلف موضع النطق لانعدام الفرق بين المجموعتين، ولكان كل صوت وقفي مقلقلا بالضرورة، وليس الأمر كذلك بكل تأكيد.

على الرغم من الدقة والحرص الشديدين اللذين نجدهما عند ابن جني في وصف الأصوات، فقد نظر إلى القلقلة على أنها "صوت" يكون عقب نطق كل واحد من أصوات هذه المجموعة. هذا هو الذي يفهم من وصفه لأصوات القلقلة الذي كنا قد أوردناه من قبل وقال فيه: "لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت". إنَّ هذا الوصف من شأنه أن يوهم أنَّ للقلقلة وجوداً مستقلاً عن نطق الصوت نفسه. وليس صحيحاً أننا لا نستطيع أن نقف عليها إلا بصوت؛ إذ ما دامت القلقلة شيئاً مختلفاً عن انفجار الصوت الوقفي، وما دامت القلقلة هي المميز الظاهر بين وقفي مقلقل وآخر غير مقلقل، فإنه من الممكن نطق كل واحد من مجموعة (قطب جد) غير مقلقل، فينطق ويسمع كسائر الأصوات الوقفية غير المقلقلة، ويمكن أن ننطقه مقلقلا. والكثيرون منا الآن ينطقون هذه الأصوات غير مقلقلة إلا في قراءة القرآن الكريم الملتزمة بأحكام التلاوة.

ذهب كمال بشر إلى أنّ القلقلّة ما هي إلا تحريك خفيف للصوت المقلقل فقال: "ومعلوم أنّ القلقلّة هنا لا تعدو أن تكون تحريكاً خفيفاً لا يدخل في إطار الصوت بالمعنى الاصطلاحي الموسوم بالفتحة أو الكسرة أو الضمة. إنه في حقيقة الأمر مجرد إطلاق الهواء release بعد الوقفة الحادثة عن بداية النطق بالصوت الشديد المجهور ليحدث الانفجار، فيكتمل نطق هذا الصوت الشديد ويتحقق. إنه صوت شديد أي وقفة انفجارية، والنطق به ساكناً دون قلقلّة يفقده عنصر الانفجار، وهو جزء متمم لنطق الصوت" (١٤).

هذا الذي ذهب إليه الدكتور كمال بشر من أنّ القلقلّة ليست أكثر من إطلاق الهواء بعد الوقفة الحادثة عن بداية النطق، هو في حقيقته وصف للمرحلة الأخيرة من مراحل إنتاج الصوت الوقفي. وهذا يحدث مع الأصوات الوقفية المقلقلة (قطب جد)، مثلما يحدث مع سائر الوقفيات غير المقلقلة.

ولما كانت القلقلّة مميّزاً للصوت الوقفي المقلقل فليس صحيحاً أنّ نطق الصوت المقلقل ساكناً دون قلقلّة يفقده عنصر الانفجار؛ لأنّ الانفجار كائن على كل حال في نطق الأصوات الوقفية كلها، سواء أكانت مقلقلة أم غير مقلقلة.

ما القلقلّة إذن؟ من أجل إجابة هذا السؤال إجابة علمية دقيقة لا بدّ أن نكون على وعي بكيفية إنتاج هذه المجموعة من الأصوات. لقد أثبتت الدراسات الصوتية المتقدمة في علمي الأصوات النطقيّ Articulatory phonetics وعلم الأصوات الفيزيائي - باستخدام الأجهزة الصوتية الحديثة - أنّ هذه الأصوات يتم إنتاجها بوجود عدد من العمليات الصوتية المتعاقبة الآتية (١٥):

١. إغلاق فتحة المزمار glottis إغلاقاً محكماً.

٢. خفوق الحنجرة في حركة مستوفزة (سريعة) إلى الأعلى، بتأثير حركات نسقية للعضلات الداخلية في الحنجرة extrinsic muscles.

٣. إحداث ضغطين متزامنين متلازمين أحدهما في منطقة الحنجرة، والآخر في موضع نطق الصوت. وهما بمنزلة الركن الأكبر في إنتاج أصوات القلقللة.

٤. تحرير الضغط الموجود في الحنجرة؛ بحيث يجري الهواء متوترًا من الحنجرة إلى موضع نطق الصوت، فيحدث هذا الذي نسمعه ونسميه قلقللة. يسمى هذا النوع من الأصوات: الحنجورية الضغطية glottalic pressure

بغير هذه الطريقة في النطق لا يعود الصوت حنجوريًا، ولا يظهر فيه ما نسميه قلقللة فيصبح كالأصوات التي تدعى: الأصوات الرئوية الضغطية pulmonic pressure^(١٦) وعامة أصوات العربية منها. بعبارة أخرى: إذا لم تتوافر هذه المراحل في إنتاج الأصوات الخمسة ستكون هي نفسها (غير مقلقللة). والتحليل الفيزيائي المخبري يبين لنا الفرق واضحًا بين نطقين مختلفين لهذه المجموعة، أحدهما وقفي مقلقل، والآخر وقفي غير مقلقل. وسيأتي بيان ذلك مفصلاً عند الحديث عن التحليل الفيزيائي لأصوات القلقللة.

لا بدّ من التفريق هنا بين هذه الأصوات التي سميناها حنجورية، والأصوات الحنجورية التي موضع نطقها في الحنجرة؛ فهزمة القطع والهاء حنجريان بمعنى أنّ موضع نطقهما في الحنجرة، بحسب النظر العلمي المعاصر القائم على تصوير الجزء الداخلي من القناة الصوتية وبخاصة منطقة الحنجرة بجهاز الراسم الحنجري laryngeal scope. وحديثنا هنا ليس عن الأصوات الحنجورية. حديثنا عن الأصوات الحنجورية الضغطية - وهي أصوات القلقللة - في العربية الفصيحة التي يتلى بها كتاب الله عزّ وجلّ.

لما كان نطق أصوات هذه المجموعة مقلقاً مرتين بطريقتي إنتاجها، أي بكونها حنجورية ضغطية، فإنه لا يشترط أن تكون ساكنة حتى تكون حنجورية ضغطية، وإن كانت - وهي ساكنة - تكشف للسامع العادي عن طابعها ذي السمات الحنجورية أكثر مما تكشف عنه وهي متحركة. ولكن التحليل المخبري يثبت أن سَمَتها الحنجوري الضغطي وهي متحركة لا يختلف كثيراً عن سَمَتها وهي ساكنة إلا في درجة توتر عمود الهواء الذي تؤدي زيادته إلى وضوح القلقة. قال المبرّد وهو يتحدث عن أصوات القلقة: "وإنما تظهر النبرة في الوقف - يقصد نبرة القلقة - فإن وصلت لم يكن؛ لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلت بينه وبين الاستقرار" (١٧).

ولا يشترط في إنتاج أصوات القلقة - باعتبارها أصواتاً حنجورية ضغطية - أن تكون مجهورة. بعبارة أخرى، ليس السبب في كونها مقلقة هو أنها مجهورة؛ لأنّ الجهر ليس شرطاً في إنتاج الحنجوريات الضغطية؛ فيمكن أن تكون مجهورة كما يمكن أن تكون مهموسة. وأما كون الأصوات الخمسة (قطب جد) في العربية الفصيحة المشتركة مجهورة (على اعتبار أنّ القاف والطاء كانا مجهورين في النطق العربي القديم)، فمن المؤكد علمياً أنّ الجهر ليس هو السبب في إحداث القلقة؛ بدليل أنّ القاف والطاء في العربية الفصيحة المعاصرة التي يقرأ بها القرآن الكريم مهموسان لا مجهوران، وإجماع القراء المعاصرين منعقد على قلقلتهما في الأداء. ولما كان الأمر كذلك فإنّ ما ذهب إليه الدكتور كمال بشر في النص الذي نقلناه عنه وأثبتناه آنفاً وقال فيه: "...الوقفة الحادثة عن بداية النطق الشديد المجهور" بحاجة إلى إعادة نظر، وهو صاحب نظر كبير. وبرغم أنّ هذه الأصوات الخمسة تنتمي إلى مجموعة واحدة، هي مجموعة أصوات القلقة، فإنّ التباين النطقي بينها غير منكور. يكشف عن ذلك التحليل الفيزيائي الذي يثبت أنّ المجموعة كلها ذات سَمَت واحد مميز، وأنّ ثمة مميزات فرعية أخرى تفصل بين فئتين:

الأولى: ما كان موضع نطقه خلفياً، أو كان نطقه مصحوباً بنشاط خلفي. فالقاف صوت خلفي؛ فاللهاء هي موضع نطقه وهي في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية. وأما النشاط الخلفي فيظهر في الإطباق؛ فهو نشاط خلفي يرتفع معه اللسان نحو الطبق.

والثانية: ما كان موضع نطقه في مقدمة الحجرة الفموية، وهي: الباء، والءال، والءيم.

التليل الفيزيائي لأصوات القلقله

يتناول التليل الفيزيائي للأصوات الخمسة في هذا البحث: دراسة زمن تردد كل واحد منها منطوقاً بدون قلقله مرة، وبالقلقله مرة أخرى لتسهل المقابلة بين النطقين. ثم نتقل إلى دراسة طاقة كل واحد من هذه الأصوات الخمسة من حيث: مقادير الطاقة ومقابلة مقاديرها وهي مقلقله بمقاديرها وهي غير مقلقله. وسنقف عند كيفية توزيع الطاقة في القناة الصوتية، ومقابلة هيئات التوزيع بعضها ببعض عندما تكون هذه الأصوات مقلقله وغير مقلقله. ثم نتناول بعد ذلك ضغط كل واحد من هذه الأصوات، من حيث مقادير الضغط بالقلقله وبدونها والمقابلة بين هذه المقادير. ثم نقف عند كيفية توزيع الضغط في القناة الصوتية؛ لتكشف المقابلة عن الاختلاف الفيزيائي في كيفية توزيع الضغط. ومن أجل تحقيق هذه الأغراض فحصت الأصوات الخمسة على برنامج CSL الحاسوبي؛ إذ نطقتُ كلا منها مقلقلًا تارة، وغير مقلقل تارة أخرى.

أولاً: زمن التردد

يعرف زمن التردد بأنه الجزء الواحد من أجزاء الثانية الذي تستغرقه ترددات الصوت وذبذبات موجاته الصوتية. ولما كانت هذه الدراسة قد استخدمت جهاز مختبر النطق الحاسوبي CSL في تشخيص أصوات (قطب جد) وقياسها، فمن الضروري

أن نعلم أن الثانية الواحدة في هذا الجهاز مقسمة إلى ألف جزء. وعندما نقول مثلاً إنَّ زمن تردد القاف مقلقلاً في (خلق) هو ١٢١ر٠ من الثانية فالمقصود أنَّ هذا هو الزمن الذي استغرقتة الموجات الصوتية في عمليتي الضغط والتخلخل؛ الضغط بدفع جزيئات الهواء بعضها بعضاً إلى الأمام، والتخلخل برجوعها إلى مُنطلقها.

عند النظر في زمن تردد الأصوات الخمسة التي حصلنا عليها باستخدام جهاز مختبر النطق الحاسوبي CSL وهي ساكنة، تبين لنا ما يأتي:

١. أنَّ زمن تردد هذه الأصوات جميعاً بالقلقلة أقل من زمن تردها منطوقة بغير قلقلّة. فزمن تردد القاف مقلقلاً في (خلق) هو ١٢١ر٠ من الثانية، كما ذكرنا قبل قليل، في حين أنَّ زمن ترده غير مقلقل هو ٣١٣ر٠ من الثانية؛ أي ما يقرب من ثلاثة أمثال زمن ترده مقلقلاً. وهذا يعني اختصار ثلثي زمن التردد عند نطق هذا الصوت مقلقلاً.

وزمن تردد الطاء في (سقط) مقلقلاً هو ٩٢ر٠ / ث، في حين أنَّ زمن ترده بغير القلقلّة هو ٣١٤ر٠ / ث؛ أي ما يزيد على أربعة أضعاف زمن ترده مقلقلاً. وهذا فيه اختصار ثلاثة أرباع زمن التردد أيضاً عند نطق هذا الصوت مقلقلاً.

وزمن تردد الباء الثانية في (باب) بالقلقلّة هو ٨٧ر٠ / ث، وزمن ترده غير مقلقل هو ٣٤٤ر٠ / ث، أي بأربعة أضعاف زمنه مقلقلاً. فنطق هذا الصوت مقلقلاً يعمل على اختصار ثلاثة أرباع زمن التردد.

وزمن تردد الجيم الثانية في (حجج) مقلقلاً هو ٧١ر٠ / ث، وزمن ترده غير مقلقل هو ٢٦٥ر٠ / ث، أي بما يزيد على ثلاثة أضعاف زمن ترده مقلقلاً، فيكون في القلقلّة اختصار ثلثي زمن التردد.

وزمن تردد الدال الثانية في (مدد) هو ٠٦٧ ر / ث، وزمن تردده غير مقلقل هو ٣٦٢ ر / ث؛ أي بما يزيد على زمن تردده غير مقلقل بخمسة أضعاف (انظر الجدول ١).

هذا يعني أن زمن تردد هذه الأصوات وهي غير مقلقلة يزيد على زمن ترددها مقلقلة من ثلاثة إلى خمسة أضعاف. وهذا يعني توفير قدر ملحوظ من زمن التردد عند نطق هذه الأصوات مقلقلة.

٢. أن ثمة علاقة بين كون الصوت خلفياً، أو ذا نشاط خلفي (بالإطباق) من جهة، وزيادة زمن تردده من جهة أخرى، وذلك بالقياس إلى ما عليه زمن تردد المجموعة الأمامية من هذه الأصوات.

من الأصوات الخمسة اثنان فقط يزداد زمن ترددهما زيادة ملحوظة؛ فالقاف صوت خلفي، والأصوات الخلفية تحتاج إلى جهد أكبر، ومن ثم تحدث زيادة في زمن التردد بسبب زيادة الجهد. والطاء صوت مطبق بمعنى أن اللسان يرتفع حُذياً منطقة الطبق عند نطقه، فالطاء وإن كان موضع نطقه في الأمام فإنه مطبق، وهذا هو نشاطه الخلفي. وهذا يؤدي إلى زيادة زمن تردده بسبب زيادة النشاط النطقي في الخلف.

والسبب في ذلك هو أن زيادة النشاط النطقي الخلفي للصوت مع النشاط النطقي الأمامي للصوت الواحد تؤدي إلى زيادة العمليات الجزئية التي يتكوّن منها هذا الصوت. فهو يتكوّن من نشاطين متزامنين أحدهما في الأمام حيث موضع نطقه، والآخر خلفي حيث الإطباق. لذلك يزيد زمن تردده على زمن تردده نظيره الذي ليس فيه نشاط نطقي خلفي.

ومع ذلك لا يظهر أي أثر لأمامية بعض هذه الأصوات أو خلفية بعضها الآخر في زيادة زمن التردد عند مقابلة المقلقل بغير المقلقل، بمعنى أن زمن التردد في المقلقل من هذه الأصوات أقل بإطلاق من زمن تردد الصوت نفسه وهو غير مقلقل، سواء أكان الاعتبار لكون هذه الأصوات أمامية، أم كان الاعتبار لكونها خلفية (انظر الجدول ١).

الجدول (١)

زمن تردد القلقلة وعدمها لأصوات القلقلة صامتة

الصوت وموقعه	زمن التردد بقلقلته (م/ث)	زمن التردد بغير قلقلة (م/ث)
القاف في خَلَقَ	٠,١٢١	٠,٣١٣
الطاء في سقط	٠,٠٩٢	٠,٣١٤
الباء الثاني في باب	٠,٠٨٧	٠,٣٤٤
الجيم الثاني في خرج	٠,٠٧١	٠,٢٦٥
الدال الثاني في مدد	٠,٠٦٧	٠,٣٦٢

إنّ الفارق الكبير في زمن تردد هذه الأصوات بين القلقلة وعدمها يدل على عدة أشياء أهمها:

١. ليس من قبيل المصادفة أن يكون في نطق أصوات القلقلة اقتصاد لغوي يتمثل في توفير قدر كبير من زمن التردد، يتراوح مقداره بين الثلثين وأربعة أخماس زمن التردد أو أكثر من ذلك بقليل، فيما لو نطقت هذه الأصوات غير مقلقلة.

٢. مما هو معروف أنّ الأصوات الوقفية تحتاج إلى جهد واضح. ولما كان من شأن القلقلة أن تخفف من زمن التردد، دلّ ذلك بوضوح على أنّ الإنسان وهو

يتخفف من قدر كبير من زمن التردد بالقلقللة، عند نطق أصوات تحتاج في الأصل إلى جهد واضح، فإنه بهذا التوفير والاقتصاد في النطق يكون على قدر من الأريحية التي تهيئه لحلول السكينة التي تتناسب مع أريحية الأداء.

٣. لما كان هذا الأداء في الأصل أداء لغوياً يجري به اللسان العربي في التلاوة وغيرها، فإنّ التمسك به - أي بإحداث القلقللة - في التلاوة يعني أنّ الهدف منه يتحقق بقلقلته، بغض النظر عن كون أبناء اللغة في أيامنا هذه لا يتمسكون به في أداء العربية الفصيحة المعاصرة. فكون أبناء اللغة لا يميلون إلى إحداث القلقللة في النطق بالعربية الفصيحة المعاصرة لا يلغي أهميتها في التخفيف من الزيادة في زمن التردد في غير التلاوة، فكيف إذا تعلق الأمر بتلاوة القرآن الكريم؟ هذا يعني أنّ الفائدة هذه تتحقق بالتلاوة وإن لم يتحقق لهم ما ينبغي أن يكون في كلامهم في حياتهم اليومية.

٤. من المذهل حقاً أن يكون زمن التردد بغير قلقللة للأصوات الخمسة متقارباً في علوّه وارتفاعه. فإذا نظرنا في الجدول (١) تبين لنا أن زمن تردد أربعة من هذه الأصوات قريب من قريب؛ فزمن تردد القاف هو ٠٣١٣ ر من الثانية، وزمن تردد الطاء هو ٠٣١٤ ر من الثانية، وزمن تردد الباء هو ٠٣٤٤ ر من الثانية، وزمن تردد الدال هو ٠٣٦٢ ر من الثانية، فكلها مرتفعة وهي قريبة من فئة ثلث الثانية الواحدة، وهو قدر كبير في المعايير الصوتية الفيزيائية. ولذلك كان هذا القدر من زمن التردد عبئاً على أبناء اللغة، ويكون من شأن القلقللة أن تخفف من هذا العبء في اللسان العربي، وتكون زينة هذا التخفيف أن يتمسك بها في تلاوة القرآن العظيم.

ثانياً: الطاقة الصوتية

تعرف الطاقة بأنها قابلية نظام ما بأن يؤثر في نظام آخر^(١٨)، أو أنها قدرة شيء ما على إحداث فعل أو أثر^(١٩). وفي ضوء ذلك يمكن تعريف الطاقة الصوتية بأنها: "قابلية النظام الصوتي للغة في أن ينتج أصواتاً تؤثر في عملية النطق برمتها". وقد تناول هذا البحث دراسة الطاقة من جانبين: مقاديرها، وكيفية توزيعها في القناة الصوتية. وهذا بيان ذلك مفصلاً:

(١) مقادير الطاقة

يظهر من القيم الرقمية لطاقة الأصوات الخمسة التي حصلنا عليها باستخدام جهاز مختبر النطق الحاسوبي CSL أنها جميعاً تشترك في أنها ذات طاقة صوتية مرتفعة. يستوي في ذلك أن تكون بنطقها "مقلقلة"، وأن تكون "غير مقلقلة". هذا واضح في الجدول (٢) الذي يمثل نطق كل واحد من هذه الأصوات الخمسة ساكناً بالنطقين المذكورين. فلا علاقة - من حيث المبدأ - لمقلقلة هذه الأصوات وعدم قلقلتها برفع طاقتها الصوتية؛ لأنها سمة مشتركة بين الأصوات الوقفية كلها مقلقلة وغير مقلقلة.

الجدول (٢)

القيم الرقمية للأصوات الخمسة مقلقلة وغير مقلقلة

طاقة الصوت بالديسيل		الصوت وموقعه
بغير قلقللة	بالقلقللة	
٦٥,٤٨	٦٣,٦١	الجيم الثاني في حجج
٦٦,٢٥	٦١,٢٣	الดาล الثاني في مدد
٦٣,٢٥	٦٠,٤٨	الباء الثاني في باب
٤٣,١٦	٥٥,٥	القاف في خَلَقَ
٥١,٤٧	٥٢,٤١	الطاء في سقط

عند النظر في القيم الرقمية للطاقة المتضمنة في الجدول (١) يتبين لنا ما يأتي:

١. لما كانت طاقة الأصوات الخمسة مرتفعة بالنطقين فإنه من غير الممكن أن ننسب **مطلق** ارتفاع الطاقة إلى أحد النطقين، فكل النطقين - في المحصلة النهائية - مرتفع كما قلنا. وهذا يعني أن كونها جميعاً وقفية هو السبب في زيادة الطاقة. فالأصوات الخمسة في الحالين أصوات وقفية، والصوت الوقفي يستدعي أن تكون طاقته أكبر؛ لأن احتباس الهواء خلف موضع النطق يحتاج إلى طاقة أكبر لتوليد ضغط كاف لإسماع الصوت. وإنما يكون أثر القلقله واضحاً في تخفيف مقدار الطاقة عندما نقابل بين الصوت مقلقلا وغير مقلقل.

٢. من الواضح أن لكون كل واحد من أصوات هذه المجموعة أمامياً أثراً في ارتفاع طاقته، بالقياس إلى طاقته إذا كان خلفياً، أو إذا كان يصحب نطقه نشاط خلفي. يستوي في ذلك أن يكون مقلقلا وغير مقلقل. وبيان ذلك أن طاقة الأصوات التي موضع نطقها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية وهي الجيم والبدال والباء، كانت أعلى من القاف حيث موضع نطقه في اللهاة، وأعلى من طاقة الطاء.

٣. إن ثمة انخفاضاً واضحاً في معدل طاقة الأصوات الأمامية الثلاثة منطوقة بالقلقله، بالقياس إلى نطقها غير المقلقل.

قلت: هذا واضح في أن طاقة الجيم الثانية في (حجج) غير المقلقله ٦٥ر٤٨ ديسيل قد انخفضت إلى ٦١ ر ٦٣ ديسيل بالنطق المقلقل. وهذا واضح أيضاً في أن طاقة الدال الثانية في (مدد) بالنطق المقلقل ٦٦ر٢٥ ديسيل قد انخفضت إلى ٦١ر٢٣ ديسيل بالقلقله. وهو واضح أيضاً في أن طاقة الباء الثاني في (باب) بنطقه المقلقل

٦٣ر٢٥ ديسبل قد انخفض إلى ٦٠ر٤٨ ديسبل بالقلقلة. هذا يعني أن قلقلته هذه الأصوات الثلاثة هي في حقيقتها ضرب من ضروب تخفيفها، إلى جانب كون ذلك إمعاناً في إبرازها في النطق، على نحو أوضح مما هي عليه لو لم تكن مقلقلة.

٤. أما القاف والطاء فوضعهما مختلف عما أسلفته في (٣)؛ فطاقة كل منهما مع غير القلقلته أقل من طاقتها منطوقين بالقلقلة. فقد كانت طاقة القاف في (خلق) بنطقها غير مقلقلة ٤٣ر١٦ ديسبل. ولكن الطاقة ارتفعت إلى ٥٥ر٥٠ ديسبل عند نطق هذا الصوت مقلقلاً. وكانت طاقة الطاء في (فقط) ٥١ر٤٧ ديسبل عند نطق الصوت وهو غير مقلقل، وارتفعت طاقته إلى ٥٢ر٤١ ديسبل بنطقه مقلقلاً.

وإذا كان من شأن هذين الصوتين أن تزيد طاقتهما عند قلقلتهما فلماذا لجأ العرب إلى نطقهما بالقلقلة؟ عند مراجعة النتائج التي حصلنا عليها من جهاز CSL يظهر لنا الجواب الذي يتمثل في النقاط الثلاث الآتية:

(أ) إذا رجعنا إلى الجدول (١) تبين لنا أن قلقلته القاف توفر ثلثي زمن التردد، وأن قلقلته الطاء توفر ثلاثة أرباع زمن التردد.

(ب) إن توزيع طاقة هذين الصوتين في القناة الصوتية عندما يكونان مقلقلين - كما سنرى بعد قليل - يكون منتظماً، في حين يكون توزيع طاقتهما بنطقهما غير مقلقلين غير منتظم. وانتظام توزيع الطاقة عند القلقلته يشعر المتكلم بنسقية العملية النطقية فيألف القلقلته ويميل إليها ويجري بها منطقه في أريحية وسهولة.

(ج) توفر قلقلته هذين الصوتين قدرًا كبيرًا من الضغط، شأنهما في ذلك شأن قلقلته سائر أصوات مجموعة (قطب جد). وسيتبين لنا ذلك بالتفصيل لاحقاً.

لهذا كله لجأ العرب إلى قلقلة هذين الصوتين على الرغم من زيادة طاقتهما؛ فكأنهم أحسّوا بذكائهم أنّ في القلقلة عدداً من المزايا النطقية التي جعلتهم يغضون الطرف عن زيادة الطاقة بنطقهما مقلّلين. والظاهر أنّ إحساسهم موافق لما كشف عنه قياس هذه الأصوات في جهاز CSL.

(٢) توزيع الطاقة

عند النظر في الرسوم البيانية التي تمثل الأصوات الخمسة بنطقها مقلّلة؛ يتبين لنا أنها تشترك جميعاً في كون طاقتهما موزعة توزيعاً منتظماً. يظهر ذلك في كون الطاقة فيها جميعاً تبدأ من منتصف الرسم البياني وتهبط إلى الأسفل هبوطاً غير حاد؛ وهو الأمر الذي يعني أنّ العملية النطقية تسير بقدر من السلاسة، لأنّ التدرج في الرسم البياني الذي يمثل الطاقة يعني عدم وجود انتقال حاد يشعر الناطق بالعنت أو الثقل.

يُظهر الرسم البياني في الشكل (١) الذي يمثل طاقة الجيم الثاني في (حجج) مقلّلاً أنّ مؤشر توزيع الطاقة ينخفض من فوق منطقة الوسط إلى الوسط، تخفضاً مستقيماً غير حاد، ثم يرتفع ارتفاعاً قليلاً مستقيماً، ثم يكسر الارتفاع حدة، لينتقل من منطقة ما فوق الوسط إلى ما هو أعلى منها بمرحلتين بيانيتين. هذا يعني أنّ توزيع الطاقة عند نطق الجيم بالقلقلة يكون منتظماً، لا يؤدي إلى تباينات كبيرة بين نقطة وأخرى، وأنه ينتقل من نقطة إلى أخرى بتدرج واضح. ويسمّى هذا في علم الأصوات الأكوستيكي: توازن الطاقة energy balance (٢٠).

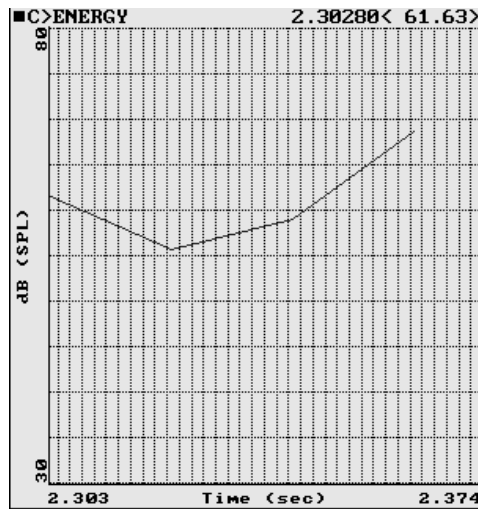
ومن الضروريّ الانتباه إلى أنّ مؤشر توزيع الطاقة يكون مرتفعاً في نهايته عند نطق هذا الصوت مقلّلاً. هذا يعني أنّ الجيم المقلّقل ينطق بقدر من النسقية

والانتظام، وأن نطقه بغير قلقلة يُذهب عنه هذه النسقية، بخاصة إذا كانت الكلمة التي فيها هذا الصوت في تركيب أو كان قبله جيم في الكلمة نفسها.

والقلقلة تُذهب عن هذا الصوت شيئاً من الشدة الناجمة عن التركيب أو تكرار الصوت في كلمة واحدة. ويصبح توزيع الطاقة على قدر من النسقية والوضوح السمعي اللذين لا يخفيان. ويشير ارتفاع مؤشر توزيع الطاقة في نهاية نطق الصوت إلى وضوح الصوت في نهاية نطقه. وبذلك يظهر واضحاً في النطق، واضحاً في السمع.

الشكل (١)

طاقة الجيم ٢ مقلقلا في حجج

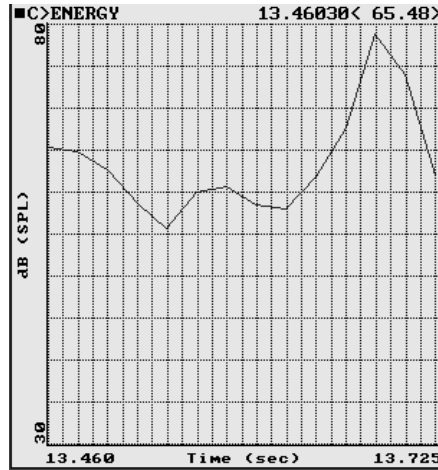


أما الرسم البياني (٢) فيظهر التحولات غير النسقية في توزيع الطاقة عند نطق الجيم الثاني في (حجج) بغير قلقلة. وفيه يظهر مُنطلق خط توزيع الطاقة فوق ثلثي محور الصادات. ولا يكاد خط الطاقة ينطلق من هذه النقطة حتى ينحدر ثم يرتفع قليلاً، ثم يعود فيرتفع ارتفاعاً آخر حاداً وبينه وبين الارتفاع الذي قبله فرق كبير.

وبعد أن يصل الخط إلى غاية محور الصادات في الرسم البياني يعود فينحدر انحداراً حاداً. هذا كله يمثل حركة الطاقة بين ارتفاع وانخفاض غير متكافئين عند عدم نطق الجيم الثاني في (حجج) بغير قلقة (قابل بين الشكلين ١ و ٢). إنّ أظهر ما ينكشف عند المقابلة بين هذين الشكلين: استقامة في خط توزيع طاقة الجيم المقلقل، وعدم استقامة خط التوزيع وهو غير مقلقل. ومما تدل عليه هذه الاستقامة انتظام توزيع الطاقة في علوه وانخفاضه مدة نطق الصوت. ويفهم من عدم الاستقامة عدم توزيع الطاقة علواً وانخفاضاً توزيعاً منظماً. ويفهم من كون خط توزيع الطاقة منحدرًا في آخر نقطة له أنّ الصوت في نهاية نطقه - غير مقلقل - لا يظهر واضحًا بالتلقائية النطقية (قابل بين النهايتين في الشكلين ١ و ٢).

الشكل (٢)

طاقة ج ٢ غير مقلقل في حجج

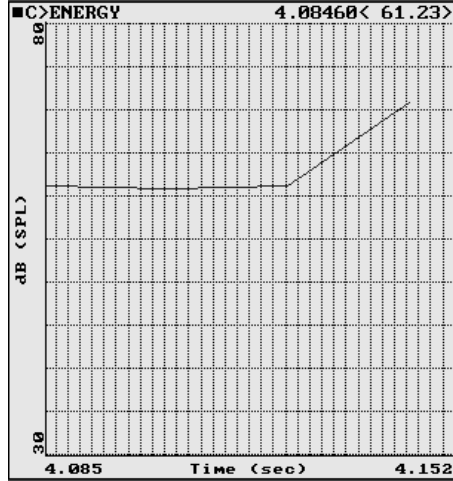


يظهر في الرسم البياني (٣) توزيع الطاقة لنطق الدال الثاني في (مدد) بالقلقة، وفيه يتبين أنّ خط توزيع الطاقة يبدأ من منطقة ثلثي محور الصادات، وهو ما يعني

ارتفاع الطاقة بشكل لافت. ويسير تحرك الطاقة وتوزيعها على خط مستقيم، فيدل توزيع الطاقة بمقتضى دلالة هذا الخط على الانتظام، ثم يحدث ارتفاع مفاجئ بخط مستقيم غير حاد، ويحدث هذا الخط زاوية مقدارها ٤٥ درجة. هذا يعني أنّ درجة ارتفاع الزاوية كانت بمقدار نصف أحد ارتفاع محتمل لها، وهو ارتفاع الزاوية القائمة، ومقدارها تسعون درجة؛ ذلك أنه مهما ارتفعت درجة الزاوية عن خط الاستقامة فلن تزيد على تسعين درجة. هذا يعني أنّ ارتفاع الطاقة في المرحلة الأخيرة من نطق هذا الصوت المقلقل يكون كبيراً جداً. وهذا يعطيها درجة عالية في الوضوح السمعي، ولا تختفي في النطق المرحلة الأخيرة من نطقه وهو مقلقل (انظر الشكل ٣).

الشكل (٣)

طاقة الدال ٢ في مدد مقلقلا



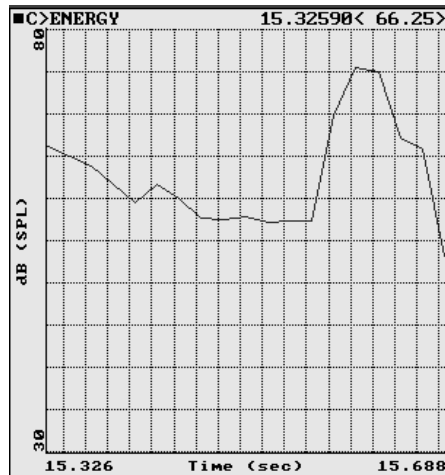
يظهر خلاف هذا تماماً في الشكل ذي الرسم البياني (٤) الذي يظهر فيه توزيع الطاقة على مراحل نطق الدال الثاني في كلمة (مدد) بغير قلقلة.

يتبين في هذا الرسم ما يدل على تخلخل كبير في توزيع طاقة هذا الصوت. يبدأ خط توزيع الطاقة من نقطة مرتفعة في محور الصادات، ثم يحدث انخفاض غير متناسق وإن كان متدرجاً. يستمر هذا إلى أن يرتفع خط توزيع الطاقة ارتفاعاً حاداً يليه انحدار في مرحلتين.

يمثل هذا تخلخل توزيع الطاقة عند نطق هذا الصوت غير مقلقل. فطاقة هذا الصوت عندما ينطق غير مقلقل تظهر موزعة توزيعاً عشوائياً تتفاوت فيه قيم الطاقة بين هبوط وارتفاع غير منظمين ولا متناسقين. أضف إلى ذلك أن المرحلة الأخيرة من مراحل نطق هذا الصوت بغير قلقلة تظهر في مؤشر توزيع الطاقة في الشكل ٣ وقد انحدر انحداراً قوياً مما يشير إلى كون نهاية هذا الصوت قابلة لأن تكون غير واضحة ولا مسموعة جيداً عندما يكون غير مقلقل (انظر الشكل ٤ وقابل بين توزيع الطاقة فيه وفي الشكل ٣، ثم قابل بين النهايتين).

الشكل (٤)

طاقة الدال الثاني بغير قلقلة

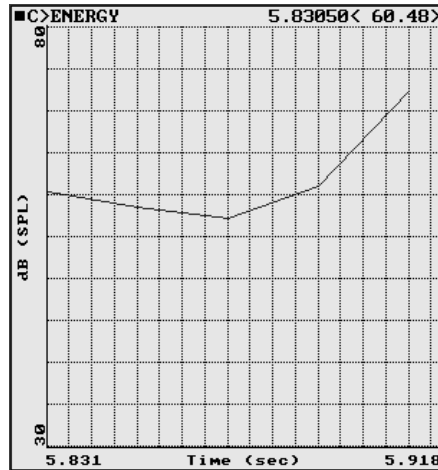


أما الرسم البياني في الشكل (٥) فيمثل توزيع الطاقة على مراحل نطق الباء الثاني في كلمة (باب) بالقلقلة. وفيه يظهر توزيع الطاقة من منطقة الثلثين، ثم يسير بانحدار يسير جداً، حتى يصل إلى منطقة الوسط، ثم يرتفع ارتفاعاً يسيراً غير حاد، يعقبه في نهاية نطق الصوت ارتفاع قليل، بسبب أن القلقله تجعل المرحلة الأخيرة من مراحل نطق الصوت المقلقل واضحة.

يفسر هذا الوضوح ميل العرب إلى أن يكون الصوت واضحاً من بداية نطقه حتى النهاية. وقد ربطوا ذلك بالفصاحة التي من صفاتها الإبانة التامة في نطق الصوت. تسير هذه التحركات بخط مستقيم بسبب انتظام توزيع الطاقة في مراحل نطق الصوت.

الشكل (٥)

طاقة الباء الثاني مقلقلا في باب

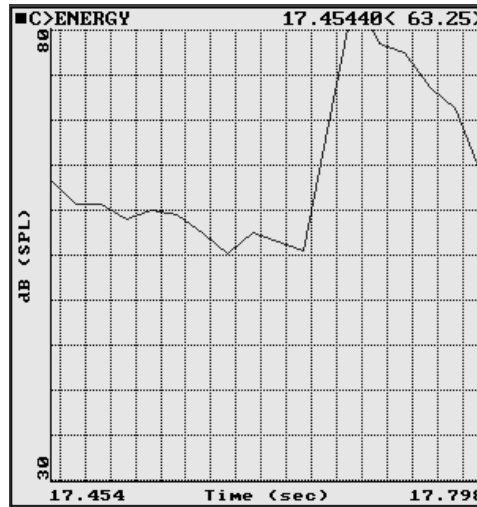


يظهر نقيض هذا تماماً في الرسم البياني (٦) الذي يمثل نطق الباء الثاني في كلمة (باب) بغير قلقله؛ إذ ينحدر توزيع الطاقة متعرجاً غير منتظم، حتى منطقة

الثلث الأخير من الرسم البياني، ثم يرتفع ارتفاعاً حاداً جداً، بخط مستقيم يتجاوز نهاية الرسم البياني. ثم ينحدر انحداراً متعرجاً غير مستقيم. وهذا يدل على عدم انتظام توزيع الطاقة على مراحل نطق هذا الصوت منطوقاً بغير قلقة. ويظهر خط توزيع الطاقة في النهاية وقد انحدر انحداراً شديداً. وهذا يشير إلى عدم وضوح المرحلة الأخيرة من مراحل نطقه غير مقلقل (قابل بين الشككين ٥ و ٦ من حيث انتظام التوزيع وعدمه، ومن حيث الارتفاع والانخفاض في النهايتين).

الشكل (٦)

طاقة الباء ٢ غير مقلقل في باب

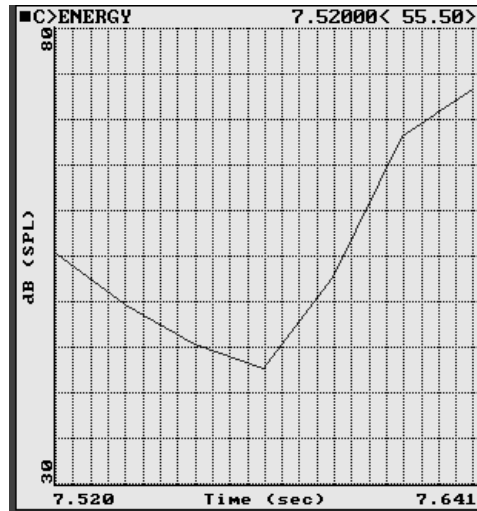


أما الرسم البياني في الشكل (٧) فيمثل نطق القاف مقلقلا في الفعل (خلق). وفيه يظهر أنّ خط سير الطاقة ينحدر من منتصف محور الصادات إلى منتصف محور السينات في نقطة متدنية فيه، ثم يرتفع ارتفاعاً حاداً إلى ما يقرب من ثمانية أعشار محور الصادات، ثم ينعطف ويرتفع. وعلى الرغم من وجود تباين بين مرحلتين على

الأقل من الانخفاض والارتفاع فإن النسقية واضحة فيه. وهذا يشير إلى نسقية توزيع الطاقة في نطق هذا الصوت مقلقلا. ويظهر خط توزيع الطاقة مرتفعاً في النهاية، وهو أمر يشير إلى وضوح المرحلة الأخيرة من مراحل نطق هذا الصوت عندما ينطق مقلقلا. وسنجد خلاف ذلك تماماً في الشكل (٨).

الشكل (٧)

طاقة القاف مقلقلا في خلق

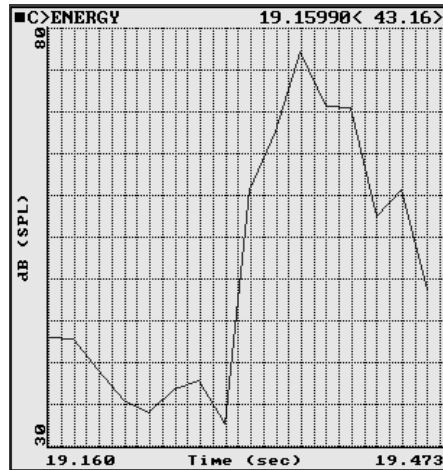


أما الرسم البياني (٨) فيظهر فيه الفرق الهائل الذي يمثل التباين في توزيع الطاقة بين مرحلتين أساسيتين في نطق القاف في (خلق) بغير قلقلة. ففي المرحلة الأولى يبدأ خط سير الطاقة من نقطة متدنية على محور الصادات، حيث يتعاقبه الانحدار والارتفاع بصورة غير منتظمة، حتى يوشك أن يصل في المرحلة الوسطى من إنتاج الصوت إلى ما يقرب من الصفر. وهذا يدل على أن الطاقة متدنية جداً في تلك النقطة.

أما المرحلة الثانية فترتفع فيها الطاقة ارتفاعاً حاداً، ثم ينعطف خط سيرها ثانية، حتى يصل إلى ما يقرب من نهاية محور الصادات. ومن تلك النقطة ينحدر ثلاث مرات. وهذا يشير إلى التباينات التي تكون في تناقص الطاقة في المرحلة الأخيرة من مراحل نطق الصوت. ويظهر خط سير الطاقة وكأنه سهم. ولك أن تتصور كيف يكون الانخفاض الكبير بين نهاية المرحلة الأولى في الشكل (٨) ووسط المرحلة الثانية من إنتاج هذا الصوت. ويظهر خط توزيع الطاقة في النهاية وقد انحدر انحداراً شديداً يشير إلى عدم وضوح المرحلة الأخيرة من مراحل نطق هذا الصوت عندما ينطق غير مقلقل. إنَّ المقابلة بين الشكلين ٧ و ٨ تقفنا على حقيقة ما يكون بين نطق هذا الصوت مقلقلاً وغير مقلقل.

الشكل (٨)

طاقة القاف غير مقلقل في خلق

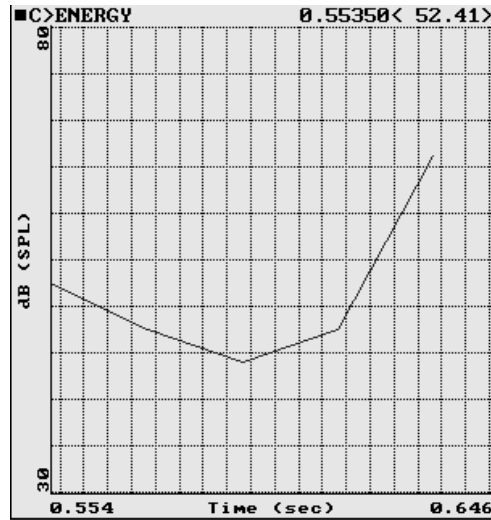


يمثل الرسم البياني في الشكل (٩) خط سير توزيع الطاقة في نطق الطاء في (سقط) مقلقلاً. وفيه ينحدر خط سير الطاقة من منطقة الوسط انحداراً غير حاد،

ويعود ليرتفع ارتفاعاً غير حاد، ثم يرتفع ارتفاعاً آخر حاداً. يتم كل ذلك بخطوط مستقيمة؛ مما يشير إلى انتظام توزيع الطاقة بين مرحلة وأخرى. وتظهر النسقية التي تمثل نطق هذا الصوت مقلقلا.

الشكل (٩)

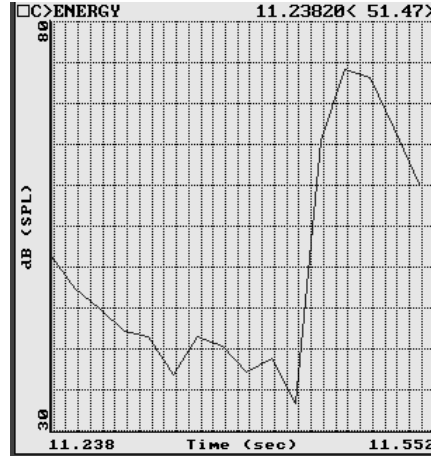
طاقة الطاء مقلقلا في سقط



أما الرسم البياني في الشكل (١٠) فيمثل خط سير توزيع الطاقة في نطق الطاء في (سقط) بغير قلقلة. يظهر في هذا الرسم تباين كبير بين مرحلة ينحدر فيها خط سير الطاقة أربعة انحدارات غير متوازنة، ومرحلة يظهر فيها ارتفاع حاد جداً، يعقبه انحدار حاد.

الشكل (١٠)

طاقة الطاء غير مقلقل في سقط



ثالثا: الضغط

يعرّف الضغط بأنه الجهد الواقع على وحدة قياس الحجم^(٢١). وعليه يكون ضغط الصوت هو مقدار الجهد الواقع على ممره في القناة الصوتية نتيجة عملية النطق. ولما كان في القناة الصوتية حجات صغيرة كثيرة متجاوزة كان لكل واحدة منها ضغطها. وهذا يسمى ضغط الحجات pressure chambers^(٢٢). ويقاس الضغط بالديسيبل.

(١) مقادير الضغط

يظهر من استقراء القيم الرقمية - لقياس ضغط الأصوات الخمسة - التي حصلنا عليها من جهاز مختبر النطق الحاسوبي CSL ما يأتي:

١. يزداد ضغط أربعة من هذه الأصوات عندما تنطق غير مقلقلة، ويقل عندما تكون مقلقلة، هذه الأصوات هي:

الباء الثاني في باب؛ فقد كان ضغطه بنطقه مقلقلا: ٢٣ر٦٥ ديسيل، وارتفع إلى ٢٤ر٧٥ ديسيل بنطقه غير مقلقل.

القاف في خلق؛ فقد كان ضغطه بنطقه مقلقلا: ٢٢ر٥٤ ديسيل، وارتفع إلى ٣٢ر٦٨ ديسيل بنطقه غير مقلقل.

الطاء في سقط؛ فضغته بنطقه مقلقلا هو ٢٠ر٦٢ ديسيل، وارتفع إلى ٢١ر٤٤ ديسيل بنطقه غير مقلقل.

الدال الثاني في مدد؛ فضغته بنطقه مقلقلا هو: ٦٤ ١٧ ديسيل، وارتفع إلى ١٨ر١٠ ديسيل بنطقه غير مقلقل. تؤدي القلقله إلى تخفيف الضغط في موضع نطق الصوت، بالقياس إلى نطقه غير مقلقل. وبالقلقله يحدث ضغط في منطقة الحنجرة فيخف الضغط الواقع على موضع النطق. وهذا لا ينطبق على الجيم مقلقلا؛ فضغط هذا الصوت مقلقلا هو ٢٥ر٢٤ ديسيل، وانخفض إلى ٢٣ر٧٦ ديسيل بنطقه غير مقلقل. والسبب في ذلك هو أنّ الجيم صوت مركب. والتركيب هو الذي يؤدي إلى هذه الزيادة.

الجدول (٣)

ضغط الأصوات الخمسة مقلقلة وغير مقلقلة (بالديسيل)

الصوت وموقعه في الكلمة	الضغط بالقلقلة	الضغط دون قلقله
الجيم ٢ في حجج	٢٥, ٢٤	٢٣, ٧٦
الباء ٢ في باب	٦٥, ٢٣	٢٤, ٧٥
القاف في خلق	٢٢, ٥٤	٦٨, ٣٢
الطاء في سقط	٢٠, ٦٢	٤٤, ٢١
الدال ٢ في مدد	٦٤, ١٧	١٠, ١٨

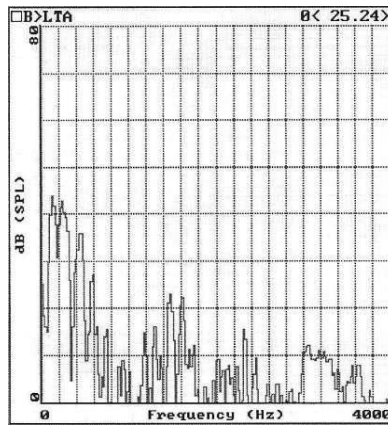
(٢) توزيع الضغط

يُعرّف توزيع ضغط الصوت pressure sound distribution بأنه الكيفية التي توزع بها كميات الضغط على المناطق المتجاورة في القناة الصوتية، بحيث يظهر التقارب أو التفاوت بينها بما يقتضيه اختلاف حجومها، وما تقتضيه التغيرات اللازمة عن عملية النطق. وعلى ذلك يشتمل توزيع الضغط على الكمية والكيفية معاً. وقد تحدثنا عن الكميات آنفاً، وستحدث الآن عن كيفية هذا التوزيع كما يظهر في الرسوم البيانية التي حصلنا عليها من جهاز CSL.

يظهر التباين بين مناطق الضغط المتجاورة في القناة الصوتية عند نطق الأصوات الخمسة مقلقة وغير مقلقة. فالشكل (١١) يوضح كيفية توزيع ضغط الجيم الثاني مقلقا في (حجج)؛ فتظهر قوة بثّ الهواء عند تحرير الضغط في الحنجرة، فيظل عمود الهواء متوتراً من لحظة انطلاقه من الحنجرة حتى موضع نطق الجيم. وعند نطق هذا الصوت مقلقا لا يكون التباين كبيراً بين مناطق الضغط المتجاورة في الثلثين الأخيرين من خط السينات. والتفاوت ضئيل إذا قيس بالتفاوت الذي في توزيع الضغط عند نطق هذا الصوت غير مقلق.

الشكل (١١)

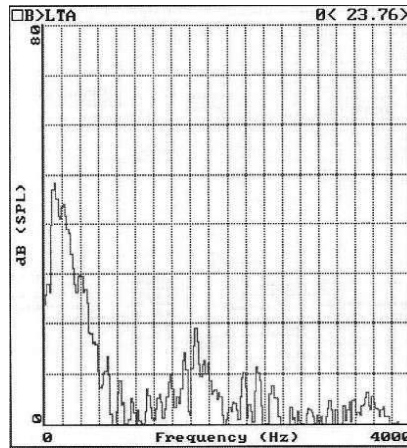
ضغط الجيم ٢ في حجج مقلقة



وعند نطق الجيم غير مقلقل يظهر توزيع الضغط خافتاً في الحجرات المتجاورة من القناة الصوتية، بل إنه يقرب في النهاية من درجة تلاشي الضغط pressure decline^(٢٢) - وإن لم يكن تلاشياً كاملاً - وهي درجة تنبئ عن أن ضغط الصوت قد فقد التأثير الذي يجعل الصوت واضحاً في النطق واضحاً في السمع في آخر مرحلة من مراحل نطقه. فالقلقلة تعمل على تقوية ضغط الصوت فترتفع درجة وضوحه الصوتي (قابل بين الشكلين ١١ و ١٢).

الشكل (١٢)

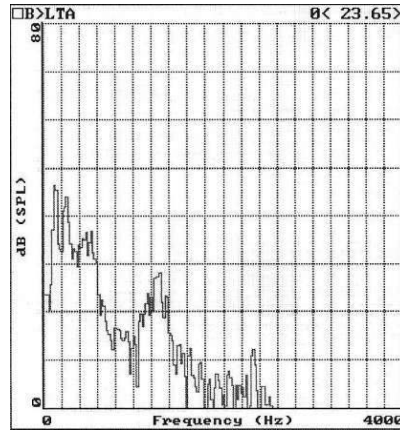
ضغط الجيم ٢ في حجج غير مقلقل



أما الباء الثاني في كلمة باب فعند نطقه مقلقلًا يُظهر الرسم الذبذبيّ توزيعَ الضغط بتدرج في الهبوط باتجاه منطقة الصفر (النهاية). زد على ذلك أن المرحلة الأخيرة من نطق هذا الصوت مقلقلًا فيها ضغط قوي (انظر الشكل ١٣)

الشكل (١٣)

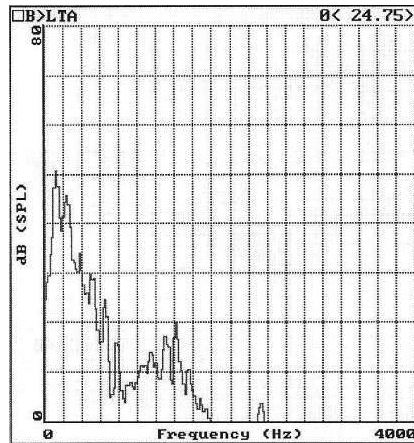
ضغط الباء ٢ في باب بالقلقة



وهذا خلافاً لنطق الباء الثاني في (باب) بغير قلقة. فاتجاه الهواء نحو منطقة الصفر يكون حاداً بسبب ضيق الحجم. يظهر ذلك في الشكل (١٤).

الشكل (١٤)

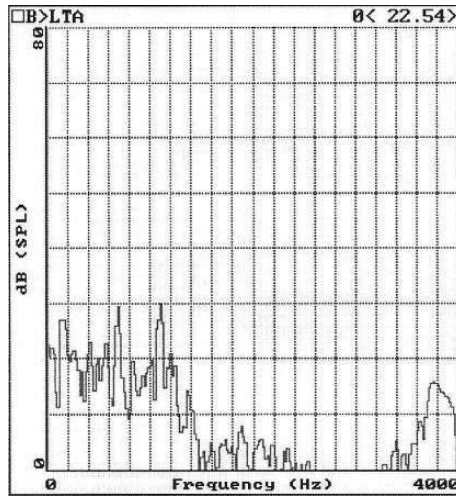
ضغط الباء ٢ في باب غير مقلقة



يمثل الرسم البياني (١٥) كيفية توزيع ضغط القاف في الفعل (خلق) عند نطقه مقلقلا. وفيه يظهر أنّ ضغط الهواء القادم من الحنجرة يقوّي الضغط في موضع نطق الصوت، حتى إنه يَنبَثّ على طول محور السينات؛ وذلك بسبب أنّ المسافة بين الحنجرة واللهاة التي هي موضع نطق القاف قصيرة. وعند تحرير الضغط في الحنجرة ينطلق الهواء بقوة إلى اللهاة، ويبقى بسبب قصر المسافة على قوته، فيقوى الضغط في منطقة اللهاة. ولكنّ ثمة فجوة يتلاشى فيها الضغط ثم يعود ليظهر من جديد. وهذا يعني أنّ ما يرد على الضغط من تلاش تعود القلقلّة فتبرزه من جديد، فيظهر الصوت واضحا في النطق واضحا في السمع (انظر الشكل ١٥).

الشكل (١٥)

ضغط القاف في خلق مقلقلا

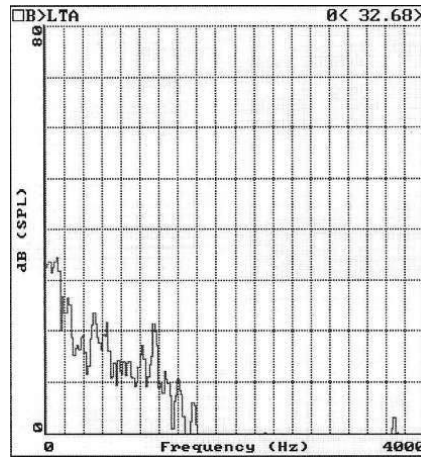


وعند نطق القاف في (خلق) غير مقلقل، فالضغط في موضع النطق يقل عند نطقه، بسبب عدم وجود ضغط مزامن له في الحنجرة. قابل بين الرسمين (١٥ و ١٦) اللذين يمثلان توزيع الضغط للقاف مقلقلا وغير مقلقل.

ومن الطبيعي أن يكون مقدار الضغط في منطقة الحنجرة أكبر منه في موضع نطق الصوت عند نطقه مقلقلا؛ لأنّ المسافة بين الحنجرة وبين اللهاة ليست كبيرة كما قلنا، فينطلق الهواء بقوة لا تستنفدها المسافة نحو اللهاة وهذا هو سبب وضوح قلقله القاف.

الشكل (١٦)

ضغط قاف خلق بغير قلقله

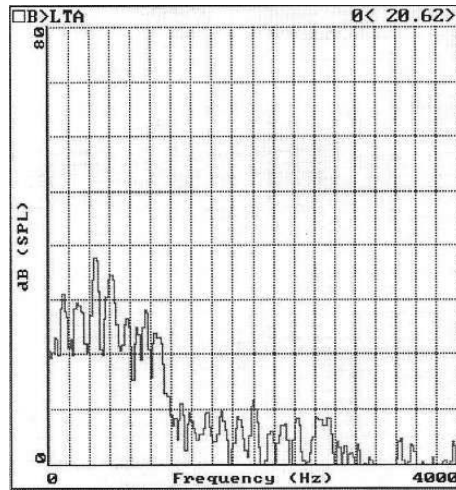


وعند نطق الطاء في (سقط) مقلقلا فإنّ ضغط الهواء القادم من الحنجرة باتجاه موضع نطق الصوت، يبتّ قوة إضافة للضغط في المنطقة الأمامية من القناة الصوتية، حيث موضع نطق الطاء. صحيح أنّ قسماً من هذا الضغط يكون قد استنفد في المسافة الطويلة بين الحنجرة واللثة، ولكنّ ضغط الحنجرة بعد تحريره يقوّي الضغط في موضع نطق الصوت.

ويظهر في الشكل (١٧) الضغط في الجزء الأيمن منه الذي يمثل موضع نطق الصوت. فبالقلقله يكتسب الصوت في موضع نطقه ضغطاً إضافياً يجعله أوضح في النطق وأظهر في السمع.

الشكل (١٧)

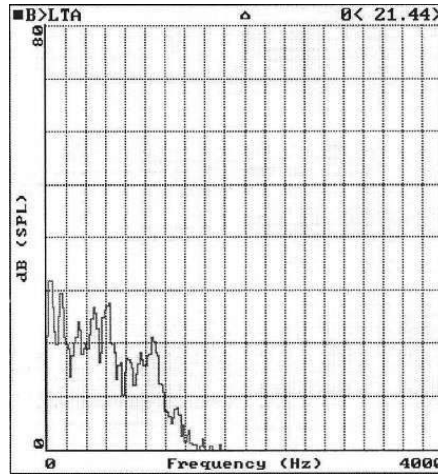
ضغط طاء سقط مقلقلا



وهذا على نقيض ما نجده عند نطق الطاء في (سقط) غير مقلقل؛ إذ لا يظهر في الشكل (١٨) إلا الضغط المنبث في الجزء الأمامي من القناة الصوتية، حيث موضع نطق الصوت (قابل بين الشكلين ١٧ و ١٨). وأود أن أنبه إلى أنه عند نطق الصوت مقلقلا يظهر في الرسم الذبذبيّ مستويان متباينان من التذبذب، يمثل أحدهما الضغط في منطق الحنجرة، والآخر في موضع نطق الصوت. وعند نطق الصوت غير مقلقل لا يكون إلا مستوى واحد من التذبذب، وهو يمثل الضغط في موضع نطق الصوت.

الشكل (١٨)

ضغط طاء سقط بلا قلقلة



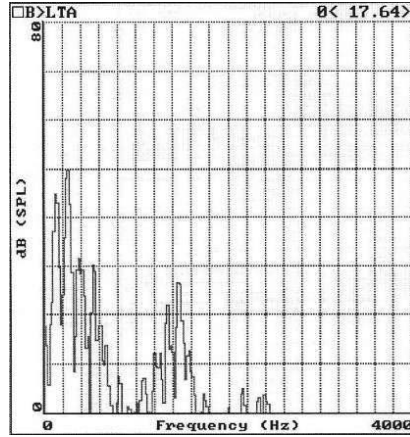
وعند نطق الدال الثاني في (مدد) مقلّلا، يعمل الضغط في منطقة الحنجرة على تقوية الضغط في موضع نطق الدال الذي يتمثل في الجزء الأيمن من الرسم البياني (انظر الشكل ١٩).

وبرغم كون المسافة طويلة نسبياً بين الحنجرة واللثة التي هي موضع نطق الصوت، فإنّ الضغط في موضع نطق الصوت واضح. ولولا هذه المسافة لكان الضغط في موضع نطق الصوت أظهر وأضح.

وهذا يعني في التحليل الأخير أنّ الدال المقلقل يكون أوضح في النطق وفي السمع أيضاً، من نطقه غير مقلقل (قابل بين الشكلين ١٩ و ٢٠).

الشكل (١٩)

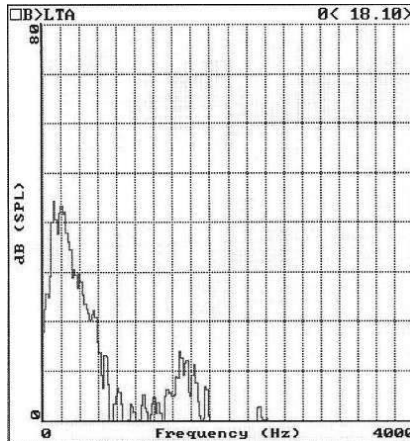
ضغط الدال ٢ في مدد مقلقلا



وهذا خلاف ما نراه في الشكل (٢٠) الذي يمثل نطق الدال الثاني في (مدد) غير مقلقل. فالضغط أضعف مما هو موجود عند نطق الدال مقلقلة.

الشكل (٢٠)

ضغط الدال ٢ في مدد بلا قلقله



نتائج الدراسة

توصل البحث إلى النتائج الآتية التي لم يكن أيّ منها معروفاً من قبل:

١- إنّ قلقللة الأصوات الخمسة المجموعة في (قطب جد) تعني نطق هذه الأصوات بالطريقة نفسها التي تنطق بها الأصوات الحنجورية الضغطية glottalic pressure وهي طريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي تنطق بها الأصوات الأخرى التي تسمّى في علم الأصوات: الرئوية الضغطية pulmonic pressure.

٢- إنّ قلقللة هذه الأصوات تؤدي إلى توفير قدر كبير من زمن التردد، وهو ما يساعد على السرعة والطلاقة في الحديث، بالإضافة إلى أنّ فيه توفيراً في الجهد النطقي نفسه.

٣- إنّ قلقللة هذه الأصوات تؤدي إلى توزيع طاقتها في القناة الصوتية توزيعاً منتظماً يساعد على الإحساس بأريحية النطق وأنّ في هذا التوزيع ما يستجيب مع وظيفة اللغة بأن يكون أداؤها في أنساق دقيقة.

٤- عند النظر في الرسوم البيانية التي حصلنا من جهاز CSL فإنّ مؤشر توزيع الطاقة في نطق جميع هذه الأصوات مقلقللة يظهر مرتفعاً في النهاية، مما يدلّ على أنّ هذا الارتفاع في النهاية يحفظ للصوت درجة وضوحه وبخاصة في آخر مرحلة من مراحل نطقه (انظر الأشكال ١، ٣، ٥، ٧، ٩). وعلى نقيض ذلك تماماً يظهر مؤشر توزيع الطاقة وقد انحدر واتجه إلى الأسفل عند نطق هذه الأصوات غير مقلقللة، وهذا يعني أنّ نهاية المرحلة الأخيرة من مجموعة (قطب جد) - إذا لم تنطق مقلقللة - لا تكون على درجة كافية من الوضوح السمعي (انظر الأشكال ٢، ٤، ٦، ٨، ١٠).

٥- إنّ قلقللة هذه المجموعة من الأصوات توفر قدراً كبيراً من ضغطها.

٦- إنّ القلقلّة من شأنها أن تجعل الضغط واضحاً في الحجرات المتجاورة في القناة الصوتية، بل تجعل توزيعه متقارباً لا يبدو فيه التفاوت، بسبب التدرج الذي يكون انحداره من البداية حتى النهاية (انظر الأشكال ١١، ١٣، ١٥، ١٧، ١٩) وعلى النقيض من ذلك تماماً يبدو توزيع الضغط غير متوازن، ويبدو ضعيفاً في النهاية، كما يبدو التفاوت كبيراً بين البداية والنهاية (انظر الأشكال ١٢، ١٤، ١٦، ١٨).

٧- موافقة إحساس الذوق العربي في النطق لما كشفت عنه نتائج تحليل جهاز CSL.

الهوامش والتعليقات:

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.، مادة (قلقل).
٢. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الثالثة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٤، ج ١، ص ٣٣٢.
٣. ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.، ج ١، ص ٢٠٣.
٤. يأخذ عامة علماء الأصوات الأمريكيين بالمصطلح: stop sounds أصوات وقفية)، ويميل عامة علماء الأصوات البريطانيين إلى المصطلح الآخر: plosives (انفجاريات).
٥. ابن جني، عثمان. سر صناعة الإعراب، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور حسن هندراوي دمشق: دار القلم، ١٩٩٣، الجزء الأول، ص ٦٣.
٦. المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٦٥.
٧. سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٤٣٤.
٨. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦١.
٩. سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٥.
١٠. انظر:

David Crystal. *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. N.Y., Basil Blackwell, 1983, p 264.

١١. المرجع السابق، ص ٢٦٤.
١٢. سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٥.

١٣. انظر:

J. C. Catford. *Fundamental Problems in Phonetics*. Indiana University Press, 1977, 128.

١٤. كمال بشر. علم الأصوات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠، ص ٣٨٠.

١٥. انظر: Catford, ibid, p 68-71

١٦. انظر: Catford, ibid, p 66

١٧. المبرّد، المقتضب، ج ١، ص ٣٣٢.

١٨. انظر:

McGraw-Hill Encyclopedia of Science and Technology, N.Y., 1982, volume 5, p 72.

١٩. انظر:

Daniel Lapedes (ed). *McGraw-Hill Dictionary Science and Technical Terms*, (2nd ed). N.Y., 1978, p541.

٢٠. المرجع السابق، ص ٥٤١.

٢١. المرجع السابق، ص ١٢٦٢.

٢٢. المرجع السابق، ص ١٢٦٢.

٢٣. المرجع السابق، ص ١٢٦٣.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

١. بشر، كمال. علم الأصوات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠.
٢. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات العشر، بيروت: دار الكتب العلمية د. ت.
٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان. سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣.
٤. سيويو، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
٥. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الثالثة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٤.
٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

المراجع بالإنجليزية

1. Catford, J.C. *Fundamental Problems in Phonetics*. Indiana University Press, 1977.
2. Crystal, David *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. N.Y., Basil Blackwell, 1983.
3. Devins, Delbert. *Energy* (N.Y., John Willey & Sons, 1982).
4. Lapedes, Daniel (ed). *McGraw-Hill Dictionary Science and Technical Terms*, 2nd ed. N.Y., 1978.
5. Pike, Kenneth. *Phonetics* (Ann Arbor, The University of Michigan Press, 1982).
6. *McGraw-Hill Encyclopedia of Science and Technology*, N.Y., 1982, volume 5.

جماليات التضاد

في خطبة قطري بن الفجاءة

د. رائدة محمود أخو زهية د. ثناء نجاتي عياش

أستاذ مشارك - بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - الجامعة الهاشمية

المملكة الأردنية الهاشمية

جماليات التضاد

في خطبة قطري بن الفجاءة

د. رائدة محمود أخو زهية د. ثناء نجاتي عياش

ملخص البحث

ينماز التضاد بقدرته على الجمع بين النقيضين، وهذا يسهم في توضيح المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي؛ لأن بضدها تتمايز الأشياء.

ويعنى هذا البحث بإبراز تجليات التضاد كما تجلت في خطبة قطري بن الفجاءة، وذلك ببيان أنواع التضاد التي استعان بها في سبيل إقناع أتباعه، وحثهم على الزهد في الدنيا، والعمل من أجل الآخرة.

ومن أبرز النتائج التي خلص إليها هذا البحث تنوع أنماط التضاد في الخطبة ما بين التضاد الزمني، والتضاد القائم على المفارقة، وعلى اسم المفعول، وعلى أسلوب الشرط، كما وظف التضاد القائم على أسلوب القصر، وإيجاز القصر، وفي هذا دليل على قدرة قطري على استثمار الطاقات التعبيرية للتضاد.

**Aesthetics of Opposition in Qatari Ibn Al Fujaa'a speech
Dr. Raeda Aku zhia & Dr. Thanaa Ayash**

ABSTRACT

The antagonism has the ability to combine between two extremes, and this contributes to clarify the meaning and implanting it in the mind of the recipient; because contrary could distinct things.

The current research highlights the manifestations of antagonism as reflected in the discourse of Qatari Bin Fujaaa. This is accomplished by stating the types of antagonism he used to convince his followers, urging them to asceticism in the world, and work for the Hereafter.

Among the most prominent findings of this research is the varied pattern between antagonism time, and contrast based on paradox, the name of the effect, and the method of the condition. Also he appointed the antagonism contrast based on the brevity style, and brevity abridgement. This is a proof on Qatari's ability of to invest on the antagonism expressionism potential.

التمهيد

بحث البلاغيون التضاد تحت مسميات عدة: التطبيق والتكافؤ والطباق والمطابقة والمقاسمة، ولئن اختلفت المسميات إلا أنها اتفقت في دلالتها على أن التضاد يقوم على: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة". كما أن الفروق يسيرة بين البلاغيين كما سيتضح من خلال استعراضنا لتطور مسيرة هذا المصطلح، فعلى سبيل المثال سماه ابن المعتز (٢٩٦هـ) "المطابقة" ولم يعرفه مكتفياً بذكر النماذج الممثلة له^٢، اعتماداً على قدرة المتلقي على إدراك المراد به، وبخاصة أن التعريفات البلاغية لم تكن قد استقرت في عصره.

وعدّ قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) التضاد من نعوت المعاني وسماه التكافؤ: "وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي: "متكافئين" في هذا الموضوع: متقابلين، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"^٣.

واعترض الأمدى (٣٧٠هـ) على تسمية قدامة بقوله: "فإني لم أكن أحب أن يخالف من تقدمه مثل أبي العباس بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع، وألف فيها إذ قد سبقوا إلى التلقيب وكَفَوْهُ المؤونة"^٤. وفضل ابن الأثير (٦٢٢هـ) تسمية هذا الفن بالمقابلة؛ لأن هذا هو الأنسب من حيث المعنى^٥.

وحاول ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) التوفيق بين تسميات البلاغيين بتقسيمه المطابقة إلى قسمين: قسم سماه الطباق وهو الذي يأتي بألفاظ الحقيقة، والقسم الثاني: يأتي بألفاظ المجاز وسماه التكافؤ، ومثل بما رآه مناسباً من الشواهد^٦. أما السكاكي (٦٢٦هـ) والقزويني (٧٣٩هـ) وشرح التلخيص فسموه المطابقة وعدوه من المحسنات المعنوية، واستشهدوا بالأمثلة الدالة عليه^٧.

وفعل الفعل نفسه ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) باشتراطه أن تُرشد المطابقة بنوع من أنواع البديع لتزيدها جمالا ورونقا، لأن مجرد الجمع بين المتضادين أمر يسير^٨. ورد عليه الدكتور أحمد مطلوب شرطه هذا بقوله: "وليس معنى ذلك أن التضاد أو المطابقة حينما تأتي من غير ترشيح تفقد قيمتها بل إن التضاد هو الذي يكسبها قيمة؛ لأنه يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة"^٩. وسماه السيوطي (٩١١هـ) "المقاسمة" عندما بين أن الطباق يُسمى أيضا التضاد والمقاسمة والتكافؤ^{١٠}. ولم يأت البلاغيون المتأخرون بجديد إلا اشتراط ابن معصوم (١١١٩هـ) أن يكون المعنيان المجازيان متقابلين أيضا وإلا دخل فيه إيهام الطباق^{١١}.

وبعد هذا الطواف بين البلاغيين يتضح لنا أنه لا يوجد فرق كبير بينهم على الرغم من اختلاف المسميات، أو التقسيمات، والمهم في هذا المجال إبراز قيمة التضاد في إثراء النص، وهذا الأمر التفت إليه القاضي الجرجاني (٣٦٦هـ) بقوله: "وأما المطابقة فلها شعب خفية، وفيها مكامن تغمض، وربما التبتت بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف"^{١٢}. وهذا ما سيحاول بحثنا تحليله، ببيان تجليات التضاد في خطبة قطري، الذي أدرك قيمة التضاد في هذا المجال فهو يدرك أنه يخاطب متلقيا قد ينساق وراء مغريات الدنيا (الفانية)، ويغفل عن الآخرة (الباقية)، وسعى بكل ما أوتي من فصاحة في التأثير في متلقيه، متخذاً من التضاد وسيلته للتعبير عما يحول في ذهنه، لأن التضاد يبرز المعنى ويقرره في ذهن المتلقي، "ومتى جاء الجمع بين ضدين فلمعنى آخر لقصد البيان؛ فإن بضدها تتبين الأشياء، ولما تجد النفس في ذكرهما مجموعين من اللذة؛ لأن اللذة في التقاء الضدين... فتتمثل النفس ذلك في القول، والاعتدال في اجتماعهما، فتستطيعه"^{١٣}.

ومما ساعد قطري على توظيف التضاد للوصول إلى غايته بتشجيع أتباعه على الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، ما عرف عنه من موهبة في الخطابة والشعر، التقى بها مع كثير من فرق الخوارج، التي كان قطري أحد قادتها، والتي اتكأت على الخطابة، كغيرها من الأحزاب، وسيلة أدبية بالغة التأثير في الإقناع العقلي والتأثير العاطفي. وقد شهد للخوارج خصومهم بالفصاحة والقدرة على التأثير في النفوس، فقال فيهم عبيد الله بن زياد: "لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع"^١.

خطبة قطري بن الفجاءة

حافظ قطري بن الفجاءة في خطبته على البناء الفني للخطبة الأموية، فاستهلها بحمد الله والثناء عليه، ومهد لموضوعه الأساس باللازمة المعروفة "أما بعد"، ثم انتقل إلى موضوع الخطبة الأصلي لأنه كما يقول يحيى بن حمزة العلوي: "ينبغي لكل من تصدى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً عليه"^٢ فاقصر على قضية واحدة شغلت شعراء الخوارج وخطباءهم، ولم يتعداها إلى سواها، وهي التحذير من الدنيا، وحث الناس على الإعراض عنها، وتجنب شرورها.

افتتاح الخطبة

افتتح خطبته بالتوكيد للتحذير من الدنيا: (إني أحذركم الدنيا) مستعيناً بالجملة الاسمية والفعلية معاً؛ للإفادة من دلالتها على الثبات والاستقرار والتجدد والاستمرارية معاً، وكأنه يريد أن يكون هذا التحذير أمراً ثابتاً ومستمراً لا يتوقف، ويتجدد لئلا ينخدع أحد بالدنيا؛ لذا وصفها بـ: (حلوة نضرة، حُفت بالشهوات)، مستوحياً من قوله عليه السلام: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها

فينظر كيف تعملون^{١٦}، وقوله عليه السلام: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"^{١٧} محافظاً على معنى حديث الرسول-عليه السلام- الأول وسياقه ومفرداته، ناقلاً سياق الحديث الثاني الذي قاله- عليه السلام- في وصف النار إلى وصف الدنيا؛ لأن الطريق إلى النار يكمن في التكالب على الدنيا والغفلة عن الآخرة. ثم شرع في سرد صفات الدنيا والأسباب التي تجعل الناس يُقبلون عليها فهي كما قال: (وتحبيت بالعاجلة، وحُليت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم خبرتها ولا تؤمن فجعتها). ويتضح أنه أضفى على غير العاقل (الدنيا) صفات الكائن الحي، وذلك بتصويرها بإنسان يتقرب ويتودد إلى أهله، وهم يقبلون عليه؛ لأنه يحقق لهم اللذة العاجلة، وكما هو معروف فإن النفس تميل إلى حب العاجل بدليل قوله تعالى: ﴿كَأَلَّ بِلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ القيامة: ٢٠، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الإنسان: ٢٧.

وصور الدنيا كذلك بكائن حي يتزين ويتجمل ليخدع أهله، فخلف هذا المظهر البراق للدنيا يكمن السم القاتل؛ لذا جاء قوله: (تزينت بالغرور) ليكشف عن حقيقة الدنيا، فالغرور هو كل: "ما غرّك من إنسان وشیطان وغيرهما"^{١٨}، وفي التنزيل العزيز: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان: ٣٣. ونتيجة لذلك (لا تدوم خبرتها، ولا تؤمن فجعتها)، ومع أنه لا يوجد تضاد حقيقي بين (لا تدوم ولا تؤمن) إلا أن قطريا أوجد بينهما تقابلاً سياقياً؛ لأن المطابقة نوع من أنواع التضاد^{١٩}. كما أنه جسّد الآمال بالحلي والمجوهرات في قوله (وحليت بالآمال) ليظهر مدى زيف الدنيا، فخلف هذا البهرج اللامع ظاهرياً تكمن حقيقة الدنيا المتمثلة في خداعها وتضليلها لأهلها، فكيف يمكن الاطمئنان إليها؟

وتتالت صيغ المبالغة على وزن (فعالة) في وصف قطري للدنيا فهي: (غرارة ضرارة / خوانة غدارة / أكالة غوالاة / بدلة نقالة). ورغم أن كل صفة من الصفات السابقة على حدة توصف حقيقة الدنيا، إلا أنه أثر الجمع بين كل صفتين معاً زيادة في إبراز سوء الدنيا، كما أن الإيقاع الصوتي الناجم عن اجتماعها معاً يقرع الأذن قرعاً، وكأنه لا يريد للمتلقي أن يغفل عن ضرر الدنيا، وقبل أن يزول وقع الصفة الأولى عن الأذن يأتي مباشرة الوصف التالي وهكذا. وبعد هذا التسارع تخف الحدة قليلاً فيقول: (حائلة زائلة/ نافذة بائدة). جامعاً أيضاً بين كل صفتين معاً، ومعبراً بصيغة اسم الفاعل للدلالة على ثبات هذه الصفات في الدنيا وعدم تغيرها، والزوال هو القاسم المشترك بين هذه الصفات، ومع أن كل صفة تدل على المعنى المراد إلا أنه أتبعها بوصف آخر، يحمل المعنى نفسه من باب تأكيد فكرته. ولم يكتف بتتالي أربع صفات للدنيا جمع بينها (الزوال) -كما اتضح- بل أتبع ذلك بقوله: (فانية فان من عليها)؛ ليبين أن الفناء مصير الدنيا، متفقاً في ذلك مع قول عمران بن حطان: لا يعجز الموت شيء دون خالقه والموت فان إذا ما ناله القدر^{٢٠}

ويبدو تأثر كل من قطري وعمران واضحاً بما ورد في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرعد: ٣٨، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناديا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح^{٢١}، وبذلك فإن الخوارج اتخذوا من فكرة إماتة الموت في الحياة الثانية، التي بينها الحديث الشريف، مبدءاً للدعوة إلى الزهد في الدنيا. ولم يكن الموت مصير الدنيا فقط بل مصير كل من فوقها كما يفهم (من) الدالة على العموم، مستوحياً فكرته السابقة من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن: ٢٦.

ولم يصرح قطري بهدفه من سرد هذه المتتاليات من الصفات، وكأنه يريد من المتلقي أن يتوصل بنفسه إلى مراده ليترسخ في ذهنه، ويتعظ قبل فوات الأوان، ويمكن تقدير المحذوف هنا: كيف تحرصون على زائل، أو تتمسكون بزائل؟ وختم حديثه عن صفات الدنيا مستشهداً بقوله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا﴾ الكهف: ٤٥ لتأكيد أن الدنيا زائلة فانية.

ومما يثير الدهشة والغرابة أنه على الرغم من إدراك الناس لحقيقة الدنيا كما صورها النص القرآني، وحديث الرسول -عليه السلام- الذي استشهد به في مستهل خطبته، وواقع الحال الذي صورته قطري في خطبته هذه، إلا أنهم يتمسكون بالفاني (الدنيا) ويتركون الدائم (الآخرة)؛ لذا جاءت هذه الخطبة لتذكركم بما غفلوا عنه، فالإنسان بحاجة من حين لآخر بمن يذكره ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات: ٥٥ وهذا هو الهدف العام من هذه الخطبة.

أما العنصر الثاني في الخطبة، والمتعلق بالمتلقي الخاص فهو الذي يهّم قطري في المقام الأول، إذ وجه خطبته هذه لطائفة الأزارقة الذين قام بشحنهم بهذه الخطبة لينفروهم من الدنيا، ويزهدهم بها حتى إذا ما قابلوا أعداءهم قابلوهم بكل ما لديهم من قوة وشجاعة وحماس، متحررين من أي أثر للدنيا قد يضعف عزائمهم؛ ولذا لم يذكر إيجابية واحدة للدنيا -كما سيظهر لنا- بل صورّ غدر الدنيا وعطاءها المتبدل؛ فهي وإن أحسنت إلى حين فسرعان ما تسلب إحسانها وتقلبه إساءة. ولعل هذا يفسر لنا سر حماسة الخوارج وشجاعتهم منقطعة النظير في المعارك، ودفاعهم عن معتقداتهم بغض النظر عن رأينا في صحة معتقداتهم.

أنواع التضاد في الخطبة:

التضاد الزمني:

يقوم التضاد المبني على التقابل الزمني على الجمع بين لقطتين متباعدتين زمنياً، كما في اختياره لقطه من الزمن الحاضر ثم لقطه تقابلها من الزمن الماضي، وتمثل هذا النمط في قوله: (ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً، وأوضح آثاراً، وأعدّ عديداً، وأكثر جنوداً، وأعد عندنا). وتتكون هذه المقابلة من طرفين أحدهما مذكور في النص يصور قوة الأقوام السابقة ومنعتها، والآخر محذوف، لم يذكر في النص ولكنه حاضر بدلالته ويمكن للمتلقي تقديره بكل يسر، وبؤرة هذه المقابلة اسم التفضيل (أفعل) الذي كشف عن مواصفات فئتين متباعدتين زمنياً جمع بينهما الإقبال على الدنيا. وكل اسم تفضيل مذكور في النص يحمل في طياته الصورة المكافئة للمذكور فمثلاً: أطول منكم أعماراً يقابلها أنتم أقصر أعماراً، وهذا الأمر ينسحب على كل المقابلات الواردة في النص السابق، ولا سيما أن التضاد كما ورد في تعريفات الجرجاني "وهو أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل"^{٢٣}. وأطال قطري في ذكر تفاصيل القوة المادية للأقوام السابقة، وأوجز في بيان عاقبتهم، مكتفياً بإيجاز القصر في قوله (وظعنوا عنها بالكره والصغار) الذي أغنى عن ذكر التفاصيل. والجدول الآتي يوضح طرفي التضاد في النص السابق:

الطرف المذكور (الزمن الماضي)	الطرف المحذوف (الزمن الحاضر)
أطول أعماراً	أقصر أعماراً
أوضح آثاراً	أبهم آثاراً
أكثر جنوداً	أقل جنوداً

ويتضح من تصويره السابق أن مَنْ كانوا في الزمن الماضي قد توافر لهم من الإمكانيات ما لم يتوافر للذين أتوا من بعدهم، ومع ذلك لم تغنهم هذه الإمكانيات شيئاً، بدليل أن مَنْ جاء بعدهم سكنوا في مساكنهم التي دلت على قوتهم المادية والتي لم تغنهم شيئاً؛ لذا افتتح كلامه بالاستفهام التقريري (ألستم)؟ ومراده من تصويره السابق بيان أن الذي جمع بين هاتين الفئتين على الرغم من التباعد الزمني بينهما هو حب الدنيا والسعي لها، والتقوا كذلك في النتيجة (الهلاك) التي تحققت في السابقين، أما المعاصرون فيخشى أن يكون مصيرهم كمصير من سبق إن لم يأخذوا العبرة مما حدث مع غيرهم، و لا سيما أن المعاصرين أحسن حظاً ممن سبق؛ لأنه أُتيحت لهم الفرصة للاطلاع على هلاك السابقين، فلعلهم يستدركون ما فاتهم، وهذا هو هدفه الذي لم يعلن عنه صراحة اعتماداً على قدرة المتلقي على إدراكه.

أما قوله: (تعبدوا الدنيا أي تعبد، وآثروها أي إثار). فيكشف عن شدة إقبالهم على الدنيا وانكبابهم عليها، بحيث باتوا عبيداً لها، وباتت شغلهم الشاغل، وأكد هذا المعنى بجمعه بين الفعل ومصدره (تعبدوا تعبد) في سياق واحد.

ويقوم التضاد هنا بين شدة الإقبال على الدنيا، وشدة إيذاؤها لمن يُقبل عليها، فهم - كما صور - أقبلوا على الدنيا بكل جوارحهم، وكان من المتوقع أن تُقبل هي الأخرى عليهم، لكن الدنيا لم تكتفِ بإدبارها عنهم، بل أتبعته بإيذائهم، كما يتضح من قوله: (فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية، أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب، بل قد أرهقتهم بالفواحش، وضعضعتهم بالنوائب، وعقرتهم بالمصائب).

وتتالت التشبيهات في قوله السابق؛ لتبرز قسوة الدنيا على من يلوذ بها، وإهلاكها لمن يُقبل عليها، مشبها نوائب الدنيا بالمعاول التي تهدم البناء حتى لا يبقى منه شيء، وشبه مصائب الدنيا بالأداة التي تذبح. وجمع بين (أرهقت وضعضت وعقرت) للدلالة على شدة إيذاء ويلات الدنيا، وجاءت صيغ الجمع (الفوداح والنوائب والمصائب) للدلالة على كثرة ويلات الدنيا وتتابعها، وكلها تتجه نحو هدف واحد هو الإنسان، وكان من المنتظر أن يدفعه هذا الأمر إلى الزهد بالدنيا وعدم التكالب عليها، ولكن هذا لم يحدث لأن الدنيا -كما صور- في مستهل خطبته: (تحببت بالعاجلة، وحُلّيت بالآمال، وتزينت بالغرور).

ورسم قطري صورة مليئة بالمتضادات للموت والقبور وما فيها من وحشة تلتقي في دلالتها على الصمت الموحش، وتوقف مظاهر الحياة التي كانت تضج بها الدنيا، كما يتضح من قوله: (حُمّلوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا فيها فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أجفان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران). وتتالت الصور الدالة على ذلك، فهو شبه التراب بالأكفان، وذلك للدلالة على أن من يغادر الدنيا لا يأخذ معه شيئا منها، وهو الذي قضى حياته في التكالب عليها، على الرغم من معرفته أنه سترك كل ذلك وراءه، ويعود كما بدأ إلى التراب.

ويحتمل قوله (الرفات جيران) المعنى الحقيقي، وفي هذا إشارة إلى تحليل الأجساد بعد الممات، ويحتمل كذلك المعنى المجازي، فيكون مجازا مرسلا علاقته اعتبار ما سيكون، فالحي اليوم مصيره سيؤول إلى مجرد عظام بالية، ويلتقي المعنيان الحقيقي والمجازي في الدلالة على الفناء المحتوم، وهدفه تذكير الإنسان بما يغفل عنه، ودلل على ذلك بقوله: (فهم جيرة لا يجيبون داعيا).

ويبرز التضاد من خلال تسليطه الضوء على مظاهر توقف الحياة في القبور، من مثل قوله: (جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد). فهذه الصور الظاهرة (المذكورة) في النص يقابلها الصور المحذوفة- الحاضرة في دلالتها- صور من الزمن الحاضر وما فيه من حركة وصخب وحيوية، ولكن كل هذا يقابله الخواء المبنى على التضاد ما بين:

جميع وهم آحاد	لأن	كل إنسان وعمله فقط
جيران وهم أبعاد	لأنهم	يتجاورون ولا يتحاورون

وانتقد زعيم الأزارقة سلوك الذين يُقبلون على الدنيا فهم كما صورّ: (استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة). شأنهم في هذا المجال شأن بني إسرائيل الذين قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ﴾ البقرة: ٦١. فهم تركوا الأحسن واختاروا الأسوأ.

فماذا كانت العاقبة؟ (فارقوها كما جاءوها، حفاة عراة فرادى)، مستمداً قوله السابق من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ٩٤. وقوله عليه السلام: "يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرْلَاءُ (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)"^{٢٣}.

وتمثل النوع الثالث من أنماط توظيفه للزمن في لقطة من المستقبل البعيد، والمشهد الغيبي مما سيحدث في يوم القيامة في قوله: (مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المَطْلَع، والوقوف بين يدي الحكم العدل). مكتفياً بإيجاز القصر (هول المطلع) لتصوير مشهد القيامة في خطبته. وهذا أمر يغفل عنه الإنسان في غمرة انشغاله بالدنيا

وحرصه عليها. وختم هذا المشهد الغيبي بقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ النجم: ٣١، المبني على التضاد أيضا.

التضاد المبني على المفارقة:

تهدف المفارقة فيما تهدف إليه إلى إبراز التناقضات في الحياة، فهي "تمنحنا فرصة للتأمل فيما تقع عليه أعيننا"^{٢٩}؛ لأن الجمع بين المتضادات في سياق واحد يظهر حسن أحدهما بإزاء الآخر، وقبح الآخر بإزاء حسن الآخر^{٣٠}، وهي تتحقق - كما يقول كيركيجارد - على يد الفنان الذي يجري في دمه الإحساس العميق بالخدعة الكبرى للحياة^{٣١}، لذا سعى قطري بكل ما أوتي من فصاحة إلى تصوير الدنيا تُعرض عمن يُقبل عليها، وتسيء إلى من يحسن الظن بها.

وترتكز المفارقة على مجموعة من العناصر، منها وجود الضحية^{٣٢} التي تمثلت في الخطبة في الإنسان المنخدع بالدنيا والراكن إليها؛ لذا وجّه قطري كلامه إليه مباشرة، لعله ينجح في نقل قناعاته، التي استقرت في فكره ووجدانه، عن الدنيا التي لا تستحق الركون إليها - كما اتضح فيما مضى وسيوضح فيما سيأتي - إلى الإنسان المنخدع بها، لعله يسارع إلى البحث عن البديل الأفضل، الذي يكمن من وجهة نظر قطري في الإعراض عن الدنيا، ولكنه لم يفصح عن هذا البديل، ليترك للمتلقي إدراكه بما تركه له من إشارات في نصه؛ فـ "لا بد أن يكون هذا البديل متصلا بإشارات لغوية في النص من ناحية، ومؤتلفا مع وجهة نظر صانع المفارقة من الناحية الفكرية والعقائدية من جهة أخرى"^{٣٣}، لعلنا بهذا نفسر سرّ رسمه صورة قائمة للدنيا في خطبته، ولمن يركن إليها.

وظهر التضاد المبني على المفارقة في قوله: (تنكرها لمن دان له، وآثرها وأخلد إليها، حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند). وتضمن قوله السابق عدة مفارقات، فالمتوقع أن تُقبل الدنيا على مَنْ يُقبل عليها، لا أن تنكر له كما صوّر، وهي بتنكرها تتضاد مع المتوقع (إقبالها على مَنْ يُقبل عليها) وجاء كسر التوقع هنا الناتج عن التضاد السياقي بين (تنكر/ دان) وإلا فهذان اللفظان لا يتضادان معجمياً، لكنه جمع بينهما ليصور خداع الدنيا لأهلها، ويقوم التضاد على ازدياد تنكر الدنيا لمن يُقبل عليها، فهي تطمعه وتجعله يزداد إقبالا عليها، وكلما ازداد إقبالا ازدادت تنكراً، فالعلاقة عكسية بينهما.

وقابل بين شدة إقبال الإنسان على الدنيا وإخلاصه لها، وبين شدة إعراضها عنه، كما يتضح من الجدول الآتي:

دان عليها	زودته الشقاء
آثرها	أحلّته الضنك
أخلد إليها	أعقبته الندامة
أقبل عليها	تنكرها له
تمسك بها	رحيله عنها

ونظرة في الجدول السابق تبين أن الدنيا لا تكتفي بالتنكر لمن يُقبل عليها، بل تزداد عنه إعراضاً حتى تنتهي به إلى الرحيل عنها مُكرهاً، وتكمن المفارقة في سعي الإنسان إليها برغم ما تفعله به، وفي كلما ازداد منها قرباً ازدادت منه بُعداً، والمفارقة الثانية، على الرغم من إدراك الناس لهذه الصفة في الدنيا إلا أنهم يزدادون إقبالا عليها وتمسكاً بها، وهو يحاول التذكير بما يغفل عنه الناس، لعله يقودهم إلى النجاة قبل فوات الأوان.

وكما تتالت المفردات الدالة على إقبال الإنسان على الدنيا، تتالت المفردات الدالة على إعراضها عنه، وكشف أسلوب القصر في قوله: (هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك، أو نورت لهم إلا الظلمة، أو أعقبتهم إلا الندامة)، عن حقيقة الدنيا هذا من جهة، ومن جهة أخرى صور مقدار خيبة الأمل والخسارة التي تحيق بمن يُقبل على الدنيا، فعندما نسمع لأول وهلة (الدنيا زودت) نستبشر خيرا ثم تأتي النتيجة الصادمة بأن زاد الدنيا / الشقاء، والأمر نفسه يقال في (نورت الدنيا) وإذا بالمفاجأة بدلا من النور المتوقع تأتي الظلمة، والمفارقة في أن زاد الدنيا (الشقاء)، ونورها وعاقبتها (الندامة)، ومع ذلك يزداد الإقبال عليها. "فالمفارقة أسلوب مثير لأنه في أخص خصائصه ناتج عن تصادم داخل النص بين ما يتوقع وما يحدث واقعا"^{٢٩}.

واتكأ في قوله السابق على المفارقة المبنية على القصر؛ لأنه واثق من صحة كلامه، وبالنظر في التركيب: نورت الظلمة ومقابلته هل نورت إلا الظلمة. يتضح أن التركيب الأول يخلو من التوكيد الذي تضمنه التركيب الثاني، كما أن التركيب الثاني يحرص إنارة الدنيا بالظلمة، بينما لا يحمل التركيب الأول هذه الدلالة، فقد ينور الظلمة وغيرها؛ لذا أثر اختيار التركيب الثاني على التركيب الأول، ولولا المفارقة لما أمكننا فهم التنوير بالظلمة، وهذا مظهر من مظاهر خداع الدنيا لأهلها؛ لذا جاء الاستفهام في قوله: (فهذه تؤثرن أم عليها تحرصون، أم إليها تطمئنون؟) من باب التقرير والتوبيخ لمن يدرك هذه الحقيقة، ومع ذلك يزداد تمسكا بالدنيا، فهو يريد بقوله هذا خلخلة ما استقرّ في وجدان المتلقي من الإقبال على الدنيا، والركون إليها، وهذا ما حاول جاهدا تحقيقه في خطبته من مبتدئها إلى متنها. وختم هذا المقطع من خطبته بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ هود: ١٥ - ١٦ .

التضاد المبني على كم التكريرية وقد التحقيقية:

أراد قطري أن يحذر مخاطبيه من اتباع الدنيا الغرور، ومن الشقاء الذي قد ينزل بهم، فلجأ إلى تذكيرهم بمن اغتروا في الدنيا، وكانوا كثيراً، كما يفهم من توظيفه لكم الخبرية التي جاءت بمعنى (كثير) في قوله: (كم واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وذي اختيال قد خدعته، وكم ذي أبهة فيها قد صيرته حقيراً، وذي نخوة قد ردته ذليلاً، وكم من ذي تاج قد كُتبه للدين والفم)؛ فالمغتربون في الدنيا لن يلقوا منها إلا الخداع والغدر، ويبدو أن قطري خشي ألا يقتنع مخاطبوه بقوله رغم ما ذكره عن تجارب الآخرين مع هذه الدنيا، فأراد أن يؤكد لهم ما قال، ويثبت لهم حقيقة الدنيا الغرور التي لا تتبدل بتبدل الزمان وأهله، فاستخدم قد والفعل الماضي في قوله السابق.

ويتضمن كل تركيب في قول قطري السابق صورتين متضادتين: صورة مشرقة وأخرى مظلمة، وهذا التباين بينهما يبرز عمق الهوة بين الحالين، وشتان بين الصورتين: صورة الإنسان المطمئن إلى الدنيا، والمقبل عليها، أما الثانية فهي الصورة المضادة لها، صورة الفاجعة التي تحلّ بالإنسان من حيث لا يتوقع، بل من حيث توقع الأمن والطمأنينة؛ ولذلك يكون الإحساس بالخسارة أفدح، والألم أشد؛ لأن المضرة تأتي من حيث لا يتوقع الإنسان؛ لذا تتالت الصور المعبرة عن هذا المعنى. فمن يثق بالدنيا وهي تفجعه بويلاتها! وشبه الدنيا بكائن حي يصرع من يطمئن إليه، وفي هذا إبراز لقبحها وخداعها، فهي ليست أهلاً للثقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يصور سوء اختيار الإنسان الذي ينحاز إلى الدنيا، ويغفل عن الآخرة.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد تضاد معجمي بين طرفي المقابلة في التراكيب السابقة، فإنه نجح في إيجاد تضاد سياقي يجمع بينهما، فهو صوّر الدنيا تنقل ذا الأبهة من أحسن حال إلى أسوأ حال، بدليل أنها تسلبه كل مظاهر أبهته وسلطانه، ويصبح ذليلاً حقيراً.

واتكأ على الكناية وإيجاز القصر معا في قوله: (وكم من ذي تاج قد كبّته لليدين والفم)؛ ليصور سوء حال صاحب التاج الذي كُنّي به عن صاحب السلطة، وعمم السلطة ولم يحصرها في منصب واحد؛ لتشمل كل أنواع السلطة في الدنيا، فبعد كل هذا العلو إذا به يعبر بصورة حسية- بصرية- حركية؛ تصف سوء حاله بعد أن فقد سلطانه، صورة الساقط على يديه، صورة تختزل كل مظاهر الذل الذي علاه بعد أن صوّر زوال مظاهر النعيم التي تمتع بها إلى حين؛ لتبقى هذه الصورة ماثلة في الأذهان لأخذ العبرة والعظة منها.

والتقابل بين أعلى شيء التاج (الرأس) وأخفض شيء (الكب على اليدين) والمسافة بينهما تبرز مقدار التباين بين الحالين، والفاعل في الحالين هو هو لا يتغير (الدنيا) فهي ترفع مؤقتاً ثم سرعان ما تهوي بمن رفعته، دليل آخر على خداعها وتضليلها، إذن الواجب عدم الركون إليها. ولجأ قطري إلى الكناية في قوله السابق؛ إدراكاً منه أن الكناية تتضمن الدليل والبرهان على صحتها وثبوتها، وهذا أبلغ من إثباتها بنفسها؛ لأنها تكون عندئذ بمنزلة دعوى مجردة عن البرهان^{٣٠}.

التضاد المبني على أسلوب القصر:

يسهم أسلوب القصر في تقرير الكلام وترسيخه في ذهن المتلقي؛ لما في هذا التركيب من قوة في التعبير ناتجة عن دلالاته على التوكيد؛ لأنه يقوم على "تخصيص

شيء بشيء وحصره فيه^{٣١}؛ لذا اعتمد قطري على هذا الأسلوب وبخاصة عن طريق (النفى وإلا) في عدة مواضع من خطبته، ومن أمثلة ذلك قوله: (مع أن امرأ لم يكن في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة / ولم يلق من سرائها بطنا إلا منحته من ضرائها ظهرا / لم تطله غيبة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء / ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف). والشيء المشترك بين كل هذه المتضادات: أن نعيم الدنيا لا يدوم؛ لأنها تُتبع المسرة بالحسرة، إذن الدنيا لا يُركن إليها.

ولم يأت اعتماده على تركيب (ما) و(إلا) عبثاً، فهو يدرك أنه يخاطب متلقياً يُقبل على الدنيا ويغفل عن الآخرة؛ لذا شبهه بالجاهل للأمر أو المنكر له، فعلا لا قولاً، وخاطبه بهذا الأسلوب ليزيل الغشاوة عن عينيه، ويُبصره بما ينتظره.

كما يبرز تركيب (ما وإلا المبني على التضاد) الترابط بين سرور الدنيا وإساءتها، فسرورها لا يدوم ولا بد أن تعقبه بالحزن والألم، كما أنها لا تكتفي بإساءة واحدة، وإنما تتبعها إساءات كثيرة، ونظرة في واقع الحال - كما سرده - تؤكد صحة وجهة نظره.

واستمد التضاد في قوله: (لم تطله غيبة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء)، من عالم الطبيعة، وبؤرة التضاد هنا بين تطل - هطلت، بتشبيهه سرور الدنيا بالدفعة من المطر الخفيف (الطل) أما إساءتها فشبهها بالمطر الشديد (الهطل) وفي هذا كناية عن أن إساءة الدنيا أكثر من مسرتها، وهذا المعنى كثيراً ما طرقه الشعراء في قصائدهم، كما في قول عنتره:

هَلْ عَيْشَةٌ طَابَتْ لَنَا إِلَّا وَقَدْ أَبْلَى الزَّمَانُ قَدِيمَهَا وَجَدِيدَهَا^{٣٢}

وعبر ليبد عن تقلب الزمان قائلاً:

لَا تَفْرَحَنَّ فَكُلُّ وَال يُعْزَلُ وَكَمَا عَزَلْتَ فَعَن قَرِيبٍ تُقْتَلُ
وَكَذَا الزَّمَانُ بِمَا يَسْرُكَ تَارَةً وَبِمَا يَسُوءُكَ تَارَةً يَتَنَقَّلُ

وعَمَّقَ التضاد بين الأمرين (سرور الدنيا وإساءتها) تعبيره بالفعل المضارع الدال على التجدد والتقلب المتغير غير الدائم (سرور الدنيا)، أما الأمر الثابت الذي لا يتغير (إساءة الدنيا) فعبر عنه بالفعل الماضي لدلالته على الثبات والاستقرار، فإساءة الدنيا أمر متحقق لا محالة.

وأما قوله: (ولم يمسِ امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف). فاستمدته من عالم الطيور متكئا على الاستعارة، وذلك بتشبيهه نعيم الدنيا - المتمثل هنا في الإحساس بالأمن - بالطائر، وتشبيهه الخوف، الناتج عن سلب الدنيا للأمان، بالقوادم* التي كنى بها هنا عن سرعة استعداد الإنسان للهرب خوفاً من حلول الخوف والحزن محل الأمن والنعيم. وعبر قطري عن الأمن والخوف بالفعلين المضارع والماضي معا (يمسي / أصبح) ليدل الأول (يمسي) على المتغير، وغير الدائم (أمن الدنيا) ويدل الثاني (أصبح) على الثابت والغالب (حلول الخوف محل الأمن)، وبما أن مساحة الخوف في الحياة الدنيا أكثر من مساحة الأمن؛ فقد عبر بصيغة المفرد (جناح) عن القليل (سرور الدنيا)، وبصيغة الجمع (قوادم) عن الكثير (إساءة الدنيا).

وبما أنه يسعى إلى تقرير هذا المعنى في ذهن المتلقي تحدث عنه ثانية في قوله: (مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَنُهُ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَيَطِيلُ حَزْنُهُ). فهو يقابل بين حالين: حال مَنْ يزهد في الدنيا وعاقبته النجاة والفوز، وحال مَنْ يقبل عليها وعاقبته الخسارة والهلاك، ولو دققنا في عاقبة كل اختيار يتضح أنه لم يكتفِ بالتضاد بين (يؤمن ويوبق)، بل زاد على ذلك بقوله (ويطيل حزنه) فالدنيا لا تكتفي

بإساءة واحدة، وإنما تتبعها بإساءات كثيرة، "فإن من طبعها الهرب من طلبها، والطلب لمن هرب منها"^{٣٣}. وتضمن قوله السابق مقابلة جزئية بين (أقل واستكثر) في طرفها الأول، وهذا عمق من دلالة المقابلة الكلية الناتجة عن الطرفين: الأول والثاني، ولعل من المفارقة أن أقل مع استكثر في الطرف الأول تؤدي إلى النجاة، أما العلاقة في الطرف الثاني بين استكثر واستكثر تؤدي إلى الهلاك، وكأنه بهذا يترك المجال للمتلقى أن يقارن بين عاقبة اختيار كل فريق، فهما اختارا بمحض إرادتهما الإقبال على الدنيا أو الزهد بها، وكشف التضاد كذلك عن البون الشاسع بين الاختيارين.

ويمكننا القول إنه استوحى مضمون التضاد في نصه السابق من قوله عليه السلام: "مَن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له"^{٣٤}.

التضاد المبني على أسلوب الشرط:

يتميز أسلوب الشرط بما فيه من ترابط بين فعل الشرط وجوابه؛ إذ لا يمكن لجواب الشرط أن يتحقق لولا تحقق فعل الشرط، ولجأ قطري إلى هذا الأسلوب لبيان تقلّب الدنيا، وعدم دوامها على حال كما في قوله: (وإن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمرّ عليه منها جانب وأوبى، وإن آت امرءا من غضارتها ورفاقتها نعما، أرهقته من نوائبها نقما)، واستعان بالاستعارة- المبنية على التضاد- وذلك بتشبيهه نعيم الدنيا بالماء العذب الحلو الصافي، لكن بما أن هذا الصفاء لا يدوم؛ لذا شبه سلب هذا النعيم بالماء المر الوخيم غير صالح للشرب.

والتضاد بين (آت/ أرهقته) يبين أن شقاء الدنيا أكثر من نعيمها؛ لأن الفعل (آت) يوحى بالهدوء والراحة بينما الفعل (أرهقته) يحمل في طياته ظلالا من الألم

والمعاناة، فالدنيا تعطي الأقل، وتسلب الأكثر، وهذا هو المعنى الذي حرص قطري على تقريره في ذهن المتلقي في غير موضع في خطبته.

ومما يدل على حرصه على الإيقاع الموسيقي قوله (رفاهتها) بدلا من (رفاهيتها) لتتناسب إيقاعيا مع غضارتها، وكذلك تسهيله الهمزة في (أوبى) لتتناسب مع (احلولى). كما أن ترتيبه للأفعال (اعذوب واحلولى/ وأمر وأوبى) يؤكد هذا الأمر؛ فهو جعل (أمر) مقابلا لـ(اعذوب)، و(أوبى) مقابلا لـ(احلولى)، هذا من حيث الترتيب، أما من حيث المعنى والدلالة فإن (أمر) يقابل (احلولى)، و(اعذوب) يقابل (أوبى)، كما أنه قابل سياقيا بين (اعذوب وأوبى) لأنه لا يوجد تضاد حقيقي بينهما.

واتكأ على إيهام التضاد بين (منتصرة وخاذلة) في قوله: (وحرى إذا أضحت له منتصرة أن تسمي له خاذلة متنكرة). فالمقابل الحقيقي للنصر الهزيمة لا الخذلان، ولكنه جعل الخذلان مقابلا للنصر؛ لأن الخذلان يتضمن ظلالا سلبية لا تتضمنها كلمة الهزيمة؛ فالخذلان يوحي بخيبة الأمل التي يشعر بها من يُخذل من حيث لا يتوقع. كما أن الفعلين (أضحت وتمسي) يصوران سرعة تقلب الدنيا وتنكرها لأهلها، ويوحيان كذلك بقصر فترة نعيم الدنيا، الذي يدوم ما بين فترة الضحى إلى المساء، إذن الدنيا لا تسلب بمقدار ما تحسن بل تخذل وتتنكر.

التضاد المبني على اسم المفعول:

لجأ قطري إلى التضاد المبني على اسم المفعول في قوله: (مليكه مسلوب/ عزيزها مغلوب وسليمها منكوب/ جامعها محروب) مستغلاً صيغة اسم المفعول للتركيز على معاني السلب، والغلبة، والنكبة التي تتصف بها الدنيا، ولتصوير حال

الإنسان الخاضع لها، والمغتر فيها؛ فاسم المفعول يدل على وقوع الحدث، ويصور الذي وقع عليه الفعل دون الاهتمام بالفاعل، وقطري في خطبته لا يهتم الفاعل (الدنيا) المعروف بقدر ما يهتم تصوير الضحية ليقنعها بصدق قوله.

ويجمع بين المتضادات السابقة عدم التصريح بالفاعل بين طرفي المقابلة وهو الدنيا، وقد اكتفى قطري بالإشارة إليها بضميرها في الطرف الأول، وبصيغة اسم المفعول في الطرف الثاني؛ لأن الفاعل (الدنيا) بات معروفا للمتلقي، وهو في الأحوال جميعها نفسه لا يتغير، وإن غاب بلفظه فهو حاضر بفعله ودلالته. ولم يصرح قطري بالفاعل في الطرف الأول ليسلط الضوء على الحدث في الطرف الثاني للمقابلة، وهو على التوالي (مسلوب/ مغلوب/ منكوب/ محروب) فالفكرة تكمن في تصوير سوء حال مَنْ يُسلب ملكه، ويُسلب ما جمعه، وهكذا، فالمهم هنا أنه فقد كل مظاهر قوته وعزته وسلطته. فعزیز اليوم هو ذاته ذليل الغد، والمعافى اليوم هو ذاته مريض الغد، وهكذا.

وتتضمن المتضادات السابقة صورتين: الأولى، صورة الشيء الموجود ويحيط به كل مظاهر قوته وأبعته، والمتمثلة في الطرف الأول من المقابلة (مليكتها، عزيزها، سليمها، جامعها)، والصورة الثانية المتضادة معها: صورة الفقد والتلاشي لكل هذه المظاهر، والتي تظهر في الطرف الثاني من المقابلة (مسلوب، مغلوب، منكوب، محروب). واستوحى قطري تصويره السابق من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدِرُوا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس: ٢٤.

ولم يغفل عن الإيقاع الموسيقي في جمعه بين المفردات وترتيبها، مراوحا بين

وزني:

مفعول	فعل
مسلوب	ملك
منكوب	سلم
محروب	جامع

وشدّ (جامع) عن وزن فعل؛ لأنه لا يستقيم أن يقول (جميع) حفاظا على الوزن.

التضاد المبني على إيجاز القصر:

تكمّن قيمة إيجاز القصر في قدرته على تكثيف المعنى لأنه يقوم على "تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني"^{٣٥} واتضح هذا الأمر جليا في قوله في وصف الدنيا: (سلطانها دول/ عيشها رونق/ عيشها أجاج وحلوها صبر/ غذاؤها سمّام/ أسبابها رمام). واشتمل قوله (سلطانها دول) على كل مظاهر تقلّب الدنيا، فخلّف هذه العبارة الموجزة تكمن تفاصيل كثيرة يمكن للمتلقّي فهمها واستنباطها.

والتقت المتضادات في النص السابق في الكشف عن جانب من جوانب الحياة الدنيا، وهو قدرتها على الخداع والتضليل، وتالت التشبيهات الدالة على ذلك، فهو شبه نعيم الدنيا (الفاني) بالماء الذي يبدو في ظاهره عذبا، وهو في الحقيقة أُجّاج، مستوحيا تصويره السابق من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجّاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فاطر: ١٢. واستمد التشبيه في قوله (حلّوها صبر) من عالم النبات، بتشبيهه نعيم الدنيا (الزائل) الذي تعطيه الدنيا لمن يُقبل عليها بالنبات المر الطعم، فحلّوها في ظاهره خير وفي باطنه شر.

وتابع رسمه للصور المنفرةً للدنيا، وذلك بتشبيهه لنعيمها المؤقت في قوله (غذاؤها سمّام) بالسم الذي سرعان ما يقتل شاربه؛ ولذا شبّه الركون إلى الدنيا في قوله (أسبابها رمام) بمن يصعد على حبال بالية سرعان ما ستقطع، ويهلك الصاعد فوقها. وعلى الرغم من حرصه على المعنى إلا أنه لم يغفل عن الإيقاع الموسيقي في قوله: (غذاؤها سمّام، أسبابها رمام)، ولولا ذلك لما قال سمّام.

وبما أن قطري يسعى إلى تقرير حقيقة مفادها: أن ظاهر الدنيا خير وباطنها شر؛ فقد ختم كلامه بقوله: (قطافها سلع). مشبها قطاف من يسعى إلى الدنيا، ويقبل عليها بالسلع*. ولئن اعتمد إيجاز القصر في المتضادات السابقة فإنه اختار جانباً من جوانب الحياة ليفصل من خلاله في مظهر من مظاهر تقلب الدنيا، وعدم دوامها على حال، في قوله: (حيها بعرض موت/ صحيحها بعرض سقم/ منيعها بعرض اهتضام)؛ وذلك ليكشف القناع عن حقيقة الدنيا التي يسعى إلى تقريرها من خلال هذه المتضادات.

ومما سبق يتضح أنه أطال في رسم صورة منفرةً للدنيا للترهيد بها، بل للتنفير منها، وأوجز في رسم صورة الآخرة، مكتفياً بعبارات موجزة دالة من مثل قوله: (الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد). وجمع بين الإطناب والإيجاز المتكئين على التضاد في سياق واحد للإفادة من دلّالتيهما معاً، فهو أطنب في وصف الدنيا، وأوجز في وصف الآخرة؛ لأنه يرى في واقع الحال الانسياق وراء الدنيا وملذاتها مع أنها فانية، والغفلة عن الآخرة مع أنها دائمة، هذا إذا كان المخاطب بهذا المتلقي العام، الإنسان حيثما كان، وفي أي زمان، أما إذا قصرنا الخطاب هنا على أتباعه من الخوراج، فيكون هدفه تحفيزهم وشحنهم للدفاع عن مبدئهم، ولو كلفهم ذلك أغلى ما يملكون؛ لأنه لا يوجد ما يخسرونه إذا ما غادروا الحياة الدنيا؛ فإنها لا تستحق - من وجهة نظره - التمسك بها. ومع أن كلمة (الخلود) تدل على البقاء وعدم الزوال، إلا أنه أضافها إلى

الأبد زيادة في تقوية المعنى، وتقريره في ذهن المتلقي. ولا يخلو قوله السابق من تضاد محذوف الطرف، فإذا كانت الحياة الآخرة -كما وصف- الحياة الدائمة، وخلود الأبد؛ فإنه ضمنا يصف الدنيا بالفناء والزوال.

النتائج:

اتكأ قطري في خطبته على التضاد إدراكاً منه للقيمة التعبيرية لهذا الأسلوب؛ ولا فحاش الصواب إذا ما سميناها بـ"خطبة التضاد" لكثرة ورودها فيها منذ بدايتها حتى نهايتها، وتنوعت أنماط التضاد التي استعان بها في سبيل إقناع المتلقي. وهو يدرك أنه يخاطب متلقين بمستويات مختلفة؛ لذا لا بد من التنوع في أساليب التعبير؛ ليضمن الإقناع والتأثير في أكبر عدد ممكن؛ لذا عبّر عن المعنى نفسه بعدة صور جمع بينها التضاد. تارة بالتصريح به وتارة بإضماره بترك الفرصة للمتلقي لإعادة إنتاج المضمير، مما يسهم في ترسيخ المعنى وتقويته.

و تميزت الخطبة بأنها ذات موضوع واحد وهدف واحد (ذم الدنيا)، وافتتح خطبته بالتحذير من الدنيا، وهذا من براعة الاستهلال بحيث أفصح عن مراده بمجرد أن واجه المتلقي بكلامه، واختتمها أيضاً بالتحذير من الدنيا، بقوله: (فاحذروا ما حذرکم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله) وبفعله هذا يكون قد ضمّن كلامه "معنى تاماً يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية"^{٣٦}؛ لأنه يدرك أن الخاتمة هي آخر ما سيواجه المتلقي، وآخر ما سيرسخ في ذهنه، وما بين التحذير في مفتتح الخطبة والتحذير في خاتمتها، ما هو إلا أدلة وبراهين قدّمها لتدعم وجهة نظره في ذم الدنيا والتنفير منها.

ولا يفوتنا التذكير بأن قطري يخاطب في هذه الخطبة نوعين من المتلقين: المتلقي العام وهو الإنسان حيثما كان؛ ليقنعه بعدم الإقبال على الدنيا؛ لأنها زائلة. أما المتلقي الخاص وهو أتباعه من الخوراج الذين وجه إليهم هذه الخطبة في سبيل إثارتهم وإقناعهم بزوال الدنيا؛ لذا بالغ في ذمها والتنفير منها، ولعل هذا يفسر شدة الحماس الذي عُرف عن الخوراج، واستعدادهم للدفاع عن معتقدتهم بكل ما أوتوا من قوة، ويقدمون على خوض معاركهم والدنيا وراء ظهورهم.

أما المصادر التي استمد منها خطبته فهي القرآن الكريم والسنة النبوية، والأمثلة من واقع الحياة التي التقت في نتيجتها، وهي التحذير من الدنيا، واستمد كذلك من عالم الطبيعة والنبات والطيور؛ لينوع في أساليب الإقناع والتأثير في خطبته.

وكان حريصا على ختم كل مقطع من مقاطع خطبته بذكر آية من القرآن الكريم لتدعم وجهة نظره، وليثير الحماسة الدينية في نفوس المخاطبين.

خطبة قطري بن الفجاءة^{٣٧}

صعد قَطْرِيُّ بن الفُجَاءة مِنبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحَدَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ وَحُلِّيتْ بِالْأَمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرُتُهَا وَلَا تُؤَمِّنُ فَجَعَلَتْهَا غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ خَوَّانَةٌ غَدَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ بَدَلَةٌ نَقَّالَةٌ لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: " كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ". مع أَنَّ امْرَأً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنْحَتَهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا وَلَمْ تَطْلُغْ غَيْبَةً رَخَاءً إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٍ وَحَرَى إِذَا أَضْحَتْ لَهُ مَتْنَصْرَةً أَنْ تُمَسِّيَ لَهُ خَاذِلَةً مَتْنَكْرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اِعْدَوْدَبَ وَاحْلَوْلَى أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ وَأَوْبَى وَإِنْ آتَتْ امْرَأً مِنْ غَضَارَتِهَا وَرِفَاهَتِهَا نِعْمًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا نِقْمًا وَلَمْ يُمَسْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهُ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفِ غَرَارَةِ غُرُورٍ مَا فِيهَا فَانِيَةٌ فَانٍ مِنْ عَلَيْهَا لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ وَيَطِيلُ حَزَنَهُ وَيُبْكِي عَيْنَهُ كَمِ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ وَذِي اخْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ وَكَمِ مِنْ ذِي أُبْهَةِ فِيهَا قَدْ صَرَّتْهُ حَقِيرًا وَذِي نُخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا وَكَمِ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ سُلْطَانُهَا دُولٌ وَعَيْشُهَا رَنَقٌ وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ وَحُلُوهَا صَيْرٌ وَغَذَاؤُهَا سِمَامٌ وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ وَقِطَافُهَا سَلْعٌ حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتٌ وَصَحِيحُهَا بَعَرَضَ سَقَمٌ وَمَنْعِيهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ مَلِكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيمُهَا مَنَكُوبٌ وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ مَعَ أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَهَوَلُ الْمُطَّلَعِ وَالْوَقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ". أَلَسْتُمْ

في مساكن مَنْ كان أطولَ منكم أعماراً وأوضحَ آثاراً وأعدَّ عديداً وأكثفَ جنوداً
وأعدَّ عُنوداً: تعبّدوا الدنيا أيّ تعبّدوا وآثروها أيّ إثّاروا وظعنوا عنها بالكراهة والصغار
فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بغذية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب
بل قد أرهقتهم بالفواحش وضعضعتهم بالتوائب وعقرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها
لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند هل
زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورّت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا
الندامة فهذه تُؤثرون أم عليها تحرصون أم إليها تطمئنون يقول الله: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الحياةَ الدنيا وزينتها تُوفِّ إِلَيْهِمْ أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبَحِّسُونَ أولئك الذين ليسَ
لهم في الآخرة إلا النارُ وحبطَ ما صنعُوا فيها وباطلُ ما كانوا يَعْلَمُونَ" هود: ١٥
فبُست الدارُ لمن أقامَ فيها فاعلمُوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بُدَّ فإنما هي كما
وصفها الله باللعب واللهو وقد قال الله "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ". وذكر الذين قالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً. ثم قال:

حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكباناً وأنزلوا فيها فلا يُدْعَوْنَ ضيفاناً وجُعِلَ لهم
من الضريح أجنانٌ ومن الثراب أكفانٌ ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعياً
ولا يمنعون ضيماً إن أخصبوا لم يفرحوا وإن أقحطوا لم يَقْتُطُوا جميعٌ وهم آحادٌ وجيرة
وهم أبعاد متناوون لا يُزارون ولا يزورون حلماء قد ذهبَت أضغاثهم وجُهلاء قد
ماتت أحقادهم لا يُخشى فجعهم إلا يُرجى دفعهم وكما قال جلّ وعزّ: "فَتِلْكَ
مَسَاكِينُكُمْ لَمْ تُسَكَّنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ". استبدلوا بظهور الأرض
بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالثور ظلمة فجاءوها كما فارقوها: حُفَاةٌ عُرَاةٌ
فُرادى غير أنّهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد يقول الله: "كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" فاحذروا ما حذرکم الله واتنفعوا
بمواظبه واعتصموا بحبله عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقّه.

الهوامش والتعليقات:

- ١ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، ١٩٩٣، دار الجيل بيروت، ط ٣، ٦ / ٧. والشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٦١.
- ٢ - عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، اعتنى بنشره: إغناطيوس كراتشكوفسكي، مكتبة المثنى، بغداد، ٣٦.
- ٣ - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٧-١٤٨.
- ٤ - الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحري، تحقيق أحمد صقر، ١٩٩١، دار المعارف، مصر، ط ٤، ٢٩٢ / ١.
- ٥ - ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥، المكتبة العصرية، مصر، ٢٦٥ / ٢.
- ٦ - ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تقديم وتحقيق حفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢ / ١ - ٣٥.
- ٧ - ينظر على سبيل المثال: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٦ / ٥ - ٧.
- ٨ - ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شعيثو، ١٩٨٧، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١ / ١٦٠.
- ٩ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ١٩٨٦، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٦٠ / ٢.
- ١٠ - الحافظ جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، ١٠٥.
- ١١ - ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، ١٩٦٨، مكتبة العرفان، كربلاء، ٣٧ / ٢.

- ١٢ - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتني وخصومه، عني بطبعه وشرحه وتصحيحه أحمد عارف الزين، ١٣٣١هـ، مطبعة العرفان، صيدا، ٤٢.
- ١٣ - ابن البناء المراكشي العددي، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون، ١٩٨٥، الرباط، ١١١.
- ١٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ٨٣ / ٥.
- ١٥ - العلوي اليميني، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، ١٩٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٣٣٠.
- ١٦ - مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٨ / ٨٩.
- ١٧ - السابق، ٨ / ١٤٢.
- ١٨ - ابن منظور، لسان العرب (غرر).
- ١٩ - ابن المعتز، البديع، ٣٦.
- ٢٠ - إحسان عباس، شعر الخوارج، ١٩٧٤، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٥١.
- ٢١ - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، ١٩٨٧، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ٤ / ١٧٦٠.
- ٢٢ - الجرجاني، التعريفات، ٥٣.
- ٢٣ - البخاري، الجامع الصحيح، ٤ / ١٦٩١.
- ٢٤ - سامح عبد العزيز الرواشدة، المفارقة في شعر أمل دنقل، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، الجامعة الأردنية، م ٢٢، ع ٦، ١٩٩٥.

- ٢٥- علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، ١٩٨١، دار العروبة، الكويت، ١٣٨.
- ٢٦- نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، م٦، ع٤٣، إبريل - سبتمبر، ١٩٨٦، ١٣٦، نقلا عن Kierkegaard (soren) The Concept of Irony. Translated by Lee. M.Capel, Indiana Univ.Press.
- ٢٧- نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، م٧، ع٤٣، إبريل - سبتمبر، ١٩٨٧، ١٣٣.
- ٢٨- السابق، ١٤٠.
- ٢٩- عبد القادر الرباعي، صور متن المفارقة في شعر عرار، قراءة من الداخل، ضمن كتاب بحوث عربية مهداة إلى الدكتور محمود السمره، تحرير: د. حسين عطوان ود. محمد حور، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٩٨.
- ٣٠- العلوي اليمني، كتاب الطراز، ٢٠٠.
- ٣١- الجرجاني، التعريفات، ١٧٥.
- ٣٢- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنتره، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ١٩٩٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٥١.
- * القوادم: الريش في مقدم الجناح. لسان العرب (قدم)
- ٣٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تقديم عبد القادر الأرناؤوط، ١٩٩٨، دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض، ط٢، ٥٤٤ / ٢.
- ٣٤- الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦٤٢ / ٤.
- ٣٥- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٦، المكتبة العصرية، بيروت، ١٧٥.
- * السلع: شجر مر. لسان العرب (سلع).

٣٦- العلوي اليمني، كتاب الطراز، ٤٨٥.

٣٧- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٩٨، مكتبة الخانجي، مصر، ط٧، ١٢٦-١٢٩.

الحجاج في الخطبة النبوية

د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الباحة

الحجاج في الخطبة النبوية

د. جمعان بن عبد الكريم الغامدي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الحجاج في الخطبة النبوية، ويحتوي على ثلاثة مباحث: مبحث حول الخطابة والحجاج بوجه عام، وقد تم التركيز فيه على دراسة الخطبة النبوية بوجه خاص، يليه مبحث ثان حول المسار الحجاجي للخطبة النبوية، وثالث جرى فيه التحليل الحجاجي، كما وضع البحث في نهايته أنموذجاً مقترحاً للحجاج في الخطب النبوية.

Argumentation in The Sermon of The Prophet

Dr. Jaman Abdalkreem Al-Ghamdi

ABSTRACT

This paper deals with argumentation in the sermon of the Prophet. It is composed of three sections. The first deals with rhetoric and argumentation in general, and has particularly focused on the study of the prophetic sermon. The second traces argumentation in the sermon of the prophet. The third concentrates on argumentative analysis and provides a suggested model for argumentation in the prophetic sermon.

مقدمة

ما تنفك الدراسات اللسانية الحديثة تتطور في شتى الجوانب، ولعل دراسات الحجاج في النصوص اللغوية هي من أحدث الدراسات اللسانية والخطابية التي تحاول الوصول إلى كيف تقوم النصوص بعملية الإقناع؟ ولماذا بعض النصوص تكون مقنعة وأخرى تقل درجة إقناعها عن غيرها؟ وما أهم الوسائل اللسانية والبلاغية التي تستعمل في الحجاج؟. وقد ظهرت نظريات متعددة، ونماذج مختلفة تقارب الحجاج في النصوص...

وفي الحقيقة أن الحجاج تتنازعه البلاغة ونعني بها (البلاغة الجديدة) التي أصبحت مصطلحاً مرادفاً للحجاج...، وكذلك البلاغة حسب المفهوم التأسيسي للتأريخ الغربي للبلاغة عند أرسطو...، ويمكن أن يدخل في ذلك بعض الدراسات العربية¹ التي أشارت إلى الجانب الحجاجي في دراسة عبدالقاهر الجرجاني للاستعارة وخصوصاً دراسة الدكتور طه عبدالرحمن²، كما تتناوشه اللسانيات التداولية التي تنطلق من دراسة الجملة، ومعظم الذين تناولوا الحجاج أشاروا إلى هذين الفرعين العلميين في الحجاج، ولكنهم أغفلوا أن تحليل الخطاب وتحليل الخطاب النقدي يعدّان الحجاج جزءاً أصيلاً من أجزائهما، وقلّما نجد كتاباً غربياً في الدراسات الخطابية إلا ويخصّص جزءاً للحجاج، ويمكن أن يُصنّف الحجاج كفرع علمي ينبثق من اللسانيات التداولية الخطابية بشكل عام غير غافلين عن احتوائه على مكونات لسانية وأخرى بلاغية...

وقد نجمت الدراسات الحجاجية العربية في الفترة الأخيرة وخصوصاً في المغرب العربي وتونس وظهرت بحوث متعددة في هذا المجال...، كما اهتمت بعض

البحوث العربية بدراسة تطبيقات الحجاج على النصوص اللغوية، ومن ذلك الدراسات التي اهتمت بالحجاج في القرآن الكريم^٣، ولم أجد فيما بين يدي من كتب وبحوث دراسات حول الحجاج في النصوص النبوية، وخصوصاً نص الخطبة؛ إذ الخطبة هي موضع من أهم المواضع التي يظهر فيها الحجاج، فكانت هذه الدراسة حول الحجاج في الخطبة النبوية، وتفرعت الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وملحق، وقد دار المبحث الأول حول مفهوم الخطبة والحجاج، وجرى الاهتمام فيه بالخطبة النبوية على وجه الخصوص.

أما المبحث الثاني فقد كان حول المسار الحجاجي في الخطب النبوية، وتمت فيه مقارنة للأيتوس الخطابي والمقابل خطابي، كما تمت فيه الإشارة إلى أهمية التماسك الحجاجي، إضافة إلى دراسة البنية العليا وتوظيفها الحجاجي، وصولاً إلى تناول البنية الحجاجية الشاملة وأقسامها تمهيداً لإجراء التحليل الحجاجي.

تلا ذلك المبحث الثالث وفيه تحليل لبعض الخطب النبوية التي تم اختيارها، بحيث يُتَوَقَّع أن يظهر فيها الجانب الحجاجي أكثر من غيره من الجوانب كخطب البدايات في مكة والمدينة، وكالخطب التي جرى فيها حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بعض متلقي الخطبة من الصحابة الكرام، ثمَّ تمَّ في نهاية البحث وضع أنموذج للحجاج في الخطبة النبوية.

وقد اعتمد البحث على أهم المراجع العلمية المتوفرة حول الحجاج ولسانيات النص وتحليل الخطاب في اللغة العربية، كما أفاد من بعض المراجع الأجنبية. أما أهم الصعوبات التي واجهت البحث فتمثلت في ندرة البحوث التي تناولت الحجاج من جانب تطبيقي نصي...

الخطابة والحجاج

إن من حسن التأتي لهذا البحث أن يقدم بين يديه إشارة إلى عدة مسائل أولية تتعلق بتعريف الخطبة وأهميتها على وجه العموم، ثم يكون الانتقال إلى مقارنة الخطبة النبوية خصوصاً، وأهم ما امتازت في موضوعاتها، وفي أساليبها، يلي ذلك إشارة إلى تعريف الحجاج، وأهميته في الدرس اللساني الحديث.

١, ١ تعريف الخطبة وأهميتها

من البدهي أن الخطبة تُفهم الآن على أنها نص نثري ذو مواضع خاصة تجعله يختلف عن النصوص النثرية الأخرى، وللتعرف على الخطبة بشكل جلي يلزم في البداية أن نشير إلى معناها المعجمي فهي آتية من المادة المعجمية خ/ط/ب/، و"الخطبُ: الشأن أو الأمر، صَعُرَ أو عَظُمَ؛ وقيل هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك... وخطب المرأة يخطبها خطباً وخطبة، بالكسر... وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطبةً، واسم الكلام: الخطبة... وذهب أبو إسحق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع، ونحوه، والخطبة، مثل الرسالة، التي لها أول وآخر. قال وسمعتُ بعض العرب يقول: اللهم ارفع عنا هذه الضغطة كأنه ذهب إلى أن لها مدة وغاية، وأولاً وآخراً؛ ولو أراد مرةً لقال ضغطة، ولو أراد الفعل لقال الضغطة مثل المشية. قال وسمعت آخر يقول: اللهم غلبني فلانٌ على قطعة من الأرض يريد أرضاً مفروزة"

و"الخطبة بالضم: لونٌ كدِرٍّ، مُشَرَّبٌ حُمرةً في صُفرةٍ أو غبرة ترهقها خُضرة. والأخطب: الشَّقراقُ، أو الصُرْد، والصَّقَر، والحِمَار تعلوه خُضرة، أو بمتنه خطُّ أسود، ومن الحنظل: ما فيه خطوط خُضر."

وتدلنا تلك المعاني المعجمية على عدة أمور:

أولاً: يبدو أن الجامع بين تلك المعاني المعجمية هو التغير، فالخطب هو شأن جديد سواء أكان عظيماً أم صغيراً أدى إلى تغيّر ما، وما يحدث في حال نكاح المرأة هو شأن جديد يغيّر من حالها، وما يحدث من تغير في الألوان يسمّى كذلك خطبة، وبعض الحيوانات كالصُرَد وكحمار الوحش، وكالحنظل التي يُلاحظ فيها لون متغير عن سائر لونها.

ثانياً: أن صيغة (فُعلة) بضم الفاء تدل على أن هذا الكلام متميز عن بقية الكلام وأن له بداية ونهاية تختص به.

ثالثاً: أن اقتران الخطبة بالكلام الملقى على المنبر، و الكلام الشفهي المسجوع في الجاهلية يدل على أن (الخطبة) كلام يمتاز عن غيره بأن له أوضاعاً وكيفيات خاصة منها ما هو خارج نص الخطبة، ومنها ما هو داخل نص الخطبة.

والحصول إذن تجعلنا نؤكد على أن الخطبة تعني: نصاً لغوياً مغايراً عن الكلام العادي بمواضع معينة في داخل النص و في مقامه يهدف إلى إحداث تغيير ما عند السامع، ولن يتم ذلك التغير إلا بواسطة النص ومقامه معاً، ووسيلة ذلك إما وسيلة (عقلية) أو (عقلية - عاطفية) وهي الإقناع أو وسيلة (غير عقلية) وهي التهديد بالعنف اللفظي أو الإيذاء الجسدي. ولأجل ذلك فتعريف المعجم الوسيط للخطبة بأنها: "الكلام المنثور يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جمعاً من الناس لإقناعهم" هو تعريف مناسب للخطبة كما أنه يشير إلى ارتباطها بالإقناع الذي يتم عن طريق الحجاج فقط؛ وهذا التعريف للخطبة يكاد يتفق مع التعريف الاصطلاحي الذي يضعه الدكتور عبدالرحيم الرحومني حيث يعرفها بأنها: "فن شفوي أدبي بليغ، يقوم على عنصري

الإقناع والتأثير في الجمهور الذي يخاطبه الخطيب^٧؛ وعليه فإن الخطبة هي نوع من الحجاج بمفهومه العام ونستطيع القول أيضاً: إنها نص حجاجي. أو هي نص لغوي يستعمل الحجاج بهدف الإقناع، أو نص يمتاز بكثرة استعماله للحجاج. والفرق بين الناحيتين تتجلى في أن النظر للنص يكون من جهة المكون الحجاجي نفسه، أو من جهة اللغة وما تحويه من أنواع نصية مختلفة.

أما أهمية الخطبة عند العرب، فتتجلى في ارتباطها بوظيفتها ومكانتها في المجتمع العربي، ويرى شوقي ضيف أن مكانة الخطيب في الجاهلية تتفوق على مكانة الشاعر، وأن ذلك يرجع إلى عدة أسباب متشابكة منها أن الخطابة كانت من لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام... ويضاف إلى هذا السبب في تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية اتساع وظيفته؛ إذ كان يفاخر وينافر عن قومه فيشارك مع الشاعر، كما يشترك معه في الحضر على القتال، ثم ينفرد بمواقف خاصة كالوفادة على الملوك والكنص والإرشاد^٨.

وقد زادت أهميتها بعد ظهور الإسلام؛ إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة في الدعوة إلى دين الله تعالى بالحجة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، كما أنها أصبحت جزءاً من الدين في صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف...

وبناء على كل ذلك فإن أهمية الخطبة اقترنت بأهمية ما تطرقه من موضوعات مهمة لها علاقة بحياة الناس وانتظامها بخلاف الشعر الذي أصبح فناً يقترن بالاستمتاع الإبداعي في الغالب؛ وذلك ما بينه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين حيث ذكر ذلك في قوله: "ومما يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين

والسلطان وعليهما مدار الدار وليس للشعر بهما اختصاص... والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين.. لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين، في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك في كتابه إلى غير ذلك من منافع الخطب^٩

١,٢ الخطبة النبوية

الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، ومعنى ذلك أنه أقدرهم على الإقناع وأملكهم للحجة، ومن المستحسن أن يتطرق البحث باختصار إلى أهم ما امتازت به الخطبة النبوية على المستوى الموضوعي، وعلى المستوى الأسلوبي، ثم ينتقل البحث من بعد إلى تبيان الطريقة التي سيتم بها اختيار الخطب النبوية^{١٠} التي ستكون مدونة لهذا البحث في تحليله للحجاج النبوي.

مما لا اختلاف فيه أن الخطب النبوية لم تصل إلينا جميعها، كما أن بعض أجزائها قد وردت مفرقة في الأحاديث النبوية، ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة عدد ما جمع من الخطب النبوية بعدد خطب الجمعة التي خطبها صلى الله عليه وسلم^{١١} وعدد خطب المناسبات الدينية الأخرى كصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء...

كما يمكن تقسيم أهم المجالات الموضوعية التي اهتمت بها الخطب النبوية إلى عدة مجالات كالتالي: المجال الديني ويشمل الخطب التي كانت تهتم بموضوعات الدعوة إلى دين الله، وموضوعات الوعظ والتذكير والتوجيه والإرشاد، وموضوعات تفصيل وشرح بعض أحكام الدين وتشريعاته التي تنظم حياة الناس...، والمجال السياسي: ويشمل الخطب التي كانت تتعلق بترتيبات الدولة الإسلامية في حال السلم

وحال الحرب...، والمجال الاجتماعي: ويشمل الخطب التي تهتم بأحوال المجتمع الإسلامي ويمكن أن يدخل فيها تلك الخطب التي تحث على نبذ العصبية وإصلاح الخصومات، وخطب النكاح، والخطب التي تتعلق بمناسبات اجتماعية، أو أحداث اجتماعية معينة وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم...

وتتميز خطب الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث المستوى الأسلوبى بأنها خطب قصيرة على وجه العموم، وبأنها واضحة في ألفاظها، بعيدة عن الألفاظ الغريبة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبتدئ فيها بحمد الله والثناء عليه ثم ينتقل إلى موضوع الخطبة ويختتمها بذكر الله، وقد استطاع بذلك أن يؤسس لنمط جديد يختلف عن نمط الخطبة الجاهلية، كما أنه يمثل بذلك قوة حجاجية تتسرب من خلال البنية الخطابية نفسها...، ولعل ابتعاد الخطابة النبوية عن السجع هو جزء أسلوبى مهم أيضاً في التأسيس لخطابة وحجاج جديد كما سنشير إلى ذلك لاحقاً، ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته - كما كان في حديثه - لا يستعين بخلاصة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جيزة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور وترتاح إليها الأسماع والأفئدة^{١٣}

وقد اقتضت طبيعة البحث المتعلقة بالحجاج بعد قراءة أغلب الخطب النبوية في المراجع التي اهتمت بها الاكتفاء بأخذ بعض العينات منها، واختيار أهم الخطب التي تركز فيها الحجاج أكثر من غيرها، وتمثل ذلك في جانبين الأول: خطب البدايات في مكة والمدينة؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الطرف الزمنى الدقيق يهدف إلى إقناع الناس بالدعوة إلى دين الله. والآخر: الخطب التي تهدف إلى الإقناع في مسائل أو أحداث تختلف فيها المواقف وتختلف فيها التقديرات وتكون عرضة لتداول

الرأي، أو للموافقة أو عدمها، أو للقبول والرفض، أو بعبارة أخرى يظهر فيها موضع للنقاش والجدل أكثر من غيرها.

وبناء على ذلك فإن البحث لن يقف على تلك الخطب التي تهدف إلى التعليم أو إلى التوجيه والإرشاد أو إلى الوعظ والتذكير، أو إلى شرح بعض أحكام المعاملات والتشريعات، أو تلك الخطب التي تفسر حدثاً دعت الضرورة إلى تفسيره أو شرحه أو بيانه على المنبر^{١٣}، على الرغم من أننا نعتقد أن المكوّن الحجاجي لا يكاد يخلو منه نص من النصوص...

١,٣ تعريف الحجاج وأهميته

كما تطرق البحث إلى مفهوم الخطبة لابد أن يتطرق كذلك إلى مفهوم الحجاج وأهميته وعلاقته بنص الخطبة. فقد ورد في اللسان " يقال: حاججته أحاجه حجاجاً ومُحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دُفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه مُحاجةً وحجاجاً: نازعه الحجة... واحتج بالشيء: اتخذ حجة؛ قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تُحج أي تُقصد لأن القصد لها وإليها... والحجة: الدليل والبرهان"^{١٤}، ونجد في القاموس "المحجاج: الجدل"^{١٥} وعلى ذلك فإن صيغة المبالغة (مفعال) تدل على نوع من الحجاج هو الجدل ويبدو أن الجدل هو الحجاج المذموم؛ لأن القاموس يفسره بأنه "اللَّدُد في الخصومة، والقدرة عليها"^{١٦}، ولكن المعجم الوسيط ينظر إلى الحجاج والجدل كلفظين مترادفين.^{١٧} ويظهر أن اللفظين قد استقرا على أنهما مترادفان في اللغة الاصطلاحية، فأبو الوليد الباجي، يذكر في مفتتح كتابه (المنهاج في ترتيب الحجاج) أنه أزمع على

جمع كتاب في " الجدل " ^{١٨} فالحجاج إذن هو الجدل، اصطلاحاً ولكننا نجد أن ابن خلدون يذكر مصطلح (الجدال) ويعرفه بأنه: "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم" ^{١٩} أي يصح أن يكون هذا العلم هو علم المناظرة، بيد أنه عند التدقيق في تتبع مسارات تطور العلوم نجد أن الجدل صار جزءاً من (المناظرة) التي أصبحت كما يقول عبد المجيد تركي " لفظة جامعة تشمل ثلاثة أنواع: إن كان في أصول الفقه سمي جدلاً، وإن كان في فروع الفقه سمي خلافيات وإن كان في شروط المناظرة وقواعدها لتجري على أصول سليمة وفي جو مناسب للمقام سمي آداب البحث " ^{٢٠}

أما في هذا العصر، فيكاد يختفي علم المناظرة، ولم يتبق منه إلا فرع الخلافات لارتباطه بالفتوى وما يؤثر فيها من مذاهب فقهية ومن تغير في الأحوال وفي الزمان وفي المكان، في حين ظهر علم الحجاج كعلم لساني أو كأحد فروع التداولية اللسانية، وفي الحقيقة أن الحجاج كان " في صلب التصور القديم للخطابة (كما جاءت عن أرسطو) وأعيد تأسيس الدراسات الحجاجية في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقاً من أعمال ش. برلامان ول. ألبراخت - تيتكا، وس. تولمان " ^{٢١}، وهو يختلف كلياً عن المنطق البرهاني ^{٢٢} عند المناطقة. ويختلف عن جدل القدماء في التراث العربي أيضاً، وإن كان من صلة وصل بينهما فهو ما يتعلق بآداب البحث التي تعد جزءاً من علم الحجاج اللساني الذي لا يختص فقط بالمناظرة ^{٢٣}، بل يشمل كل كلام يهدف إلى التأثير في المتلقي سواء كان على سبيل المناظرة أم كان على غير سبيلها، وبذلك يمكن أن يشمل جميع النصوص اللغوية، بل يمكن أن يستعان فيه بما هو سيميائي من حركات وصور وإشارات، وقد صار الحجاج فرعاً علمياً يحتوي على عدة نظريات ومنها ما هو ذو منزع أسلوبية أو لساني تداولي، ومنا ما هو ذو منزع أسلوبية بلاغية...

أما أقرب شيء في الجهد اللغوي العربي القديم للحجاج اللساني الحديث، فهو ما كان يسمى بأداب البحث والمناظرة، وما أُطلق عليه المذهب الكلامي في البلاغة العربية، بالإضافة إلى البحوث الدلالية عند الأصوليين، ويمكن أن يدخل في ذلك بعض النظرات التداولية عند النحويين والبلاغيين القدامى... ولكن الحجاج الحديث يشمل الكلام العادي، والكتابة الأدبية، والكتابة القانونية، وغير ذلك من الأشكال اللغوية ولا يقتصر على النصوص الدينية أو الأدبية...

وعلى ذلك فإن المقصود بالحجاج هو علم يدرس أشكال ووسائل التأثير في المتلقي التي تتم في إطار النص اللغوي أو في الإطار السيميائي العام بهدف الإقناع بفكرة ما، أو الدفاع عن فكرة ما، أو الهجوم على فكرة ما، للوصول إلى الاقتناع أو الإفحام.^{٢٤}

أما إذا انطلقنا من العملية الحجاجية نفسها لتعريف الحجاج، فسيصبح تعريفه كالتالي: "الحجاج هو أن يقدم المتكلم قولاً ق ١ (أو مجموعة من الأقوال) موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولاً آخر ق ٢ (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان ق ٢ صريحاً أم ضمناً، وهذا الحمل على قبول ق ٢ على أنه نتيجة للحجة ق ١ يسمى عمل الحاجة؛ فالحجاج إذن هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل الحاجة"^{٢٥}، وليس الحجاج مقصوراً على المناقشات أو الحوارات كما قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس، بل هو يشمل كل قول يهدف إلى الإقناع بما في ذلك النصوص التعليمية والتوجيهية، وتعد الخطابة من أهم أنواع النصوص الثرية التي تحفل بالحجاج، كما أن الحجاج ذو مرجعية اجتماعية، أي أنه يتكون ضمن اللغة الطبيعية للنشاط اللغوي للمجتمع^{٢٦} وبذلك يفترق فرقاً بائناً عن الدرس المنطقي للقضايا، وعن اللغة الصورية للمنطق.

وتتمثل أهمية هذا العلم اللساني في أن اللغة برمتها مبنية على الحجاج^{٢٧} ثم إن الحجاج يعد جزءاً من نظام الخطابة بصفة عامة^{٢٨}، لأن هدفها الرئيس هو الإقناع.

المسار الحجاجي في الخطب النبوية

لكل حجاج مساره الخاص به الذي تتنامى فيه الوسائل الحجاجية بطرق مختلفة، وليس بالضرورة وفق طريقة واحدة، أو أسلوب واحد، ويتأثر المسار الحجاجي بقدرات المتكلم اللغوية والحجاجية...، كما يتأثر بمقدار معرفة المتكلم لذهنية المخاطب وللسياق النفسي والاجتماعي للمخاطب، والمسار الحجاجي هو في الحقيقة ما يشكل في المقام الأول تفرد النص الحجاجي وتميزه عن بقية النصوص الحجاجية الأخرى؛ إذ إن البنية العميقة لأنواع الحجج قد تكون متشابهة أو متماثلة في كثير من النصوص الحجاجية، ولكن يبقى لكل نص حجاجي مساره الخاص به في عرض تلك الحجج وفي تنظيمها، وفي تماسكها، وفي القدرة على الملاءمة بين النص الحجاجي وسياقه الحجاجي للوصول إلى الإقناع، وبناء على ذلك فإن المسار الحجاجي لا يقل أهمية عن أنواع الحجج وعن الروابط الحجاجية في النص.

وسندرس في هذا المبحث كل ما له علاقة بتشكّل الحجاج في الخطب النبوية من خلال تتبع ما يتعلق بالآيتوس، ومن خلال دراسة التماسك الحجاجي، مع التركيز على البنية الجديدة للخطبة النبوية من حيث بنيتها الهيكلية العليا، ومن حيث بينتها الدلالية الكبرى وعلاقتها بالروابط الحجاجية كما سيشار إلى تغير الأسلوب بوصفه مكوّناً حجاجياً لا مكوّناً جمالياً فحسب...

١, ٢ مقارنة للأيتوس الخطابي والمقابل خطابي في الخطب النبوية

إن الإيتوس Ethos الخطابي هو جزء من السياق الحجاجي على وجه العموم، في حين أن هذا المصطلح اليوناني يعني في الأساس صورة المتكلم التي تكون لدى السامع، ويجعله أرسطو من الحجج التقنية التي يصنعها الخطيب وتجعل خطابه إقناعياً^{٢٩}.

وتتجلى علاقة اللوقوس Logos ويعنى به الحجج الماثلة في النص اللغوي بالأيتوس في "تشكل مجال تكوين صورة الخطيب ممثل القيم... حتى لا ينشق جانبها الخطابي والخطابي. ومبتدأ طرحه للقضية مكمّن اختلافه مع المخاطب. فالخطاب في هذه المرحلة يجلي صورة المتكلم، ويوجّه الحجج بحسب القصد وجهة معينة".^{٣٠} وهذه التجلية لصورة المتكلم التي تظهر في النص تسمى (حالة الخطاب (تلفظ الخطيب)^{٣١} وهي تظهر من خلال الإحالات بشكل عام: الاسم العلم، و"الضمائر، والمحددات الزمانية والمكانية، والألفاظ والأساليب المعبرة عن مواقف والألفاظ والأساليب المتضمنة لأحكام القيمة ويترك بها المتكلم صورة عن نفسه، وبذلك تقلص المسافة بينه وبين ملفوظه^{٣٢}

وتنقسم بعض الدراسات الأيتوس إلى ما قبل خطابي وإلى خطابي، "ويتعلق

الأيتوس المقابل خطابي بجملة من العوامل أهمها:

- الدور الاجتماعي الذي للخطيب (الوظائف المؤسساتية / الموقع والسلطة).
- ما يشاع عن الخطيب من ادعاءات سلبية كانت أم إيجابية.
- إن تحديد صورة ذات الخطيب ومعالها تستدعي في دراستها وتحليلها في مستويين اثنين:

- ١ - موقع الباث المؤسساتي... الموقع الذي يمنح الكلام مشروعيته.
- ٢ - الصورة التي يقدمها الخطيب عن نفسه: التمثيل الاجتماعي / العقائد التي يدين بها.

أما المستوى الخطابي فتدرج ضمنه:

- ١ - الصورة التي يقدمها الخطيب عن نفسه ويجعلها متجلية في ملفوظه، وكذلك في عملية تلفظه والطريقة التي يعيد بها الخطيب هيكله المعطيات ما قبل الخطابية.
- ٢ - الصورة النابعة من اللحظة الخطابية.. فللمقام وملابساته وظروفه ومكوناته والفاعلين فيه مكانة في تحليل الخطاب وتأويل المحادثات^{٣٣}

وتتجلى أهمية الأيتوس حجاجياً في أن صورة الذات التي تتجلى في ما قبل الخطاب أو في الخطاب تمنح الخطيب: "السلطة والمصادقية في عيون جمهوره، فهي بهذا المعنى وداخل هذا السياق المحدد تهيكل حدث الخطاب الحجاجي وتظرفه".^{٣٤}

ولو حاولنا تتبع ما تكون عند المجتمع في مكة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فإننا نجد أنه بالإضافة إلى كرم المحتد؛ إذ إنه حفيد عبد المطلب بن هاشم سيد قريش صار مثالا للنبل ومكارم الأخلاق، وقد اشتهر أكثر ما اشتهر بين مجتمع القرشيين (التجاري) بخصلي الصدق والأمانة، وقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستثمر صفاته الذاتية التي اشتهر بها في أول خطبة صدع بها في مكة، ويضمّنها في ملفوظه الخطابي بطريقة تثير التشويق، كما أنها في الوقت نفسه حجة نصية ذات وقع كبير، وقد صرح لهم كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بحبه الشديد لهم، وكان ذلك ليعرض عليهم الدين الجديد ويقنعهم به، ويتجلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله أحمد، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن الرائد لا يكذب أهله^{٣٥}، فقد استعان بالمثل العربي الذي فيه إشارة إلى وظيفة الرائد الذي ينقذ أهله من العطش ومن الجوع بالبحث لهم عن الماء والكلأ. هذا الرائد عادة لا يكون إلا أصدق القبيلة لساناً وأكثرها حكمة وحذبا على قومه. والرسول هو بمثابة ذلك الرائد الذي أتاهم بالصدق والنجاة، ولا يكتفي الرسول بذلك، بل يجعلهم وجهاً لوجه أمام صدقه صلى الله عليه وسلم فيبتدئ به الخطبة حيث روي: "عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لما نزلت "وأُنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" صعد صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد..."^{٣٦}

وهو في أول خطبة جمعة في المدينة يقدم ذاته ويرسخها للمسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد في وصل رسالته بالرسالات السابقة؛ مما يقوي الجانب الحجاجي في كل ما يقدمه للمسلمين فهو رسول الله وحسبك بهذا حتى تكون حجته سماوية ملزمة، يقول صلى الله عليه وسلم في أول الخطبة:

"الحمد لله، أحمدُه وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من أجل من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً."^{٣٧}

ولا يكتفي بذلك، بل هو في نهاية هذه الخطبة يجعل للمجتمع الجديد هوية جديدة تتواشج مع ما يقدمه من عقيدة ودين جديد، وهو يمهّد بذلك لسلطة خطابية سماوية تعيد تشكيل المجتمع العربي وتسميته يقول في نهاية الخطبة: "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين"^{٣٨}

إذن فمكانة الخطيب صلى الله عليه وسلم هي مكانة خاصة تتصل بالله خالق الناس أجمعين وهو قبل البعثة ذو صفات خلقية أبرز خلالها الصدق، هذه المكانة تجعل للحجج التي يقدمها الرسول قوة إقناعية عظيمة لا يستطيع المستمع إلا الاقتناع بها، ويلفت النظر هنا أن إستراتيجية الرسول صلى الله عليه وسلم لم تبدأ بالهجوم على أصنام قريش، بل بدأت بالدعوة إلى الدين الجديد، وهذا يجرّنا إلى مقارنة هذه الإستراتيجية في الإقناع بطريقة إبراهيم عليه السلام في البدء بالهجوم الحجاجي على أصنام قومه كما حكاهما القرآن سواء في دعوة أبيه أم في دعوة قومه^{٣٩}. ويبدو أن ذلك قد كان مناسباً للسياق الحجاجي مع قوم إبراهيم، فاتخذ الخطاب من "ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها حجة"^{٤٠}.

والذي يظهر أن الرحمة المهداة للعالمين كان أحرص ما يكون على استمالة قومه في البداية، واكتساب عدد من المناصرين، فلم يبدأ بالحجاج الهجومي على الأصنام، بل صار إليه فيما بعد وأصبح الحجاج الإبراهيمي ((وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه))^{٤١} جزءاً تالياً من حجاج الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه الذين هم جزء من ذرية إبراهيم عليه السلام. بيد أن الملفت للنظر حقاً أن الأسلوب الحجاجي بدأ استفهامياً عند إبراهيم عليه السلام، وعند النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان استفهامياً إنكارياً مصوغاً على شكل حجة عند إبراهيم عليه السلام، واستفهامياً تشويقياً مصوغاً على شكل حجة. وسنفصل الحديث حول ذلك عما قريب.

والرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً عن فصاحته وقوة عارضته الحجاجية لم يكتف بذلك، بل هو يقدم صورة الخطيب الناجح بإجادته للغة الجسد في أثناء الخطبة ليكمل التأثير في المخاطبين وليبلغ مداه، فجابر بن عبد الله يخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا "خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش..."^{٤٢}، وكان يستعمل أحياناً الإشارة بيده لتمثيل المعنى حسياً فهو يقول في خطبته: "بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى"^{٤٣}، بل إن ابن عمر يخبرنا ما هو أكثر من ذلك حين قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "ياخذ الجبار سماواته وأرضه بيده (وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها) ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" قال: وَيَتَمَيَّلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن يساره حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم"^{٤٤}

إن التمثل العاطفي لمضامين الخطاب، واستعمال لغة الجسد لتصديق ذاك التمثل بحيث يؤدي إلى التأثير في المخاطب بالاعتماد على انتقال العاطفة من الخطيب إلى المستمعين إذ اتسق مع الحجج النصية، واتسق مع مكونات الأيتوس الما قبل خطابي والأيتوس الخطابية، فإن ذلك يمثل الوصول إلى اقتناع المخاطب اقتناعاً تاماً بنتائج الحجاج، أو انتفاء القدرة على الرد على تلك الحجاج ويكون قصارى الجاحدين هو العناد والاستكبار والمعاداة...

ونخلص مما سبق أنه في ضوء تحليل الأيتوس الخطابي نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم عن نفسه وضعاً اجتماعياً فريداً هو كونه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتلقى الوحي من الله، وبذلك يستمد الخطاب النبوي سلطته من الخطاب الإلهي فيكتسب قوة حجاجية لا مجال للوقوف أمامها.

أما صورة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حرص هو على تذكير كفار قريش بها من خلال أول خطبه فيهم لتكون عوناً له في الاحتجاج لما يقول، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قادراً على الإفادة من معطيات اللحظة الخطابية (السياق النفسي والاجتماعي للمخاطبين وسياق المقام) إلى أقصى حدٍّ ممكن؛ وبذلك فقد اجتمعت له الفصاحة والخطابة والحجاج لتكون النتيجة أنه لا مجال لرد رسالته أو حججه إلا بطرق أخرى غير الطريق الحجاجية كالقيام بمنع خطابه أو تشويهه أو محاربته وقتاله.

٢, ٢ التماسك الحجاجي

إن التماسك الحجاجي يمثل جزءاً لا يتجزأ من تماسك النص كما تدرسه لسانيات النص، ويُعرّف التماسك في لسانيات النص^{٤٥} بأنه: ترابط النص^{٤٦} على مستوى (نحو ما فوق الجملة) وعلى المستوى الدلالي وعلى المستوى التداولي وعلى المستوى الأسلوبي.

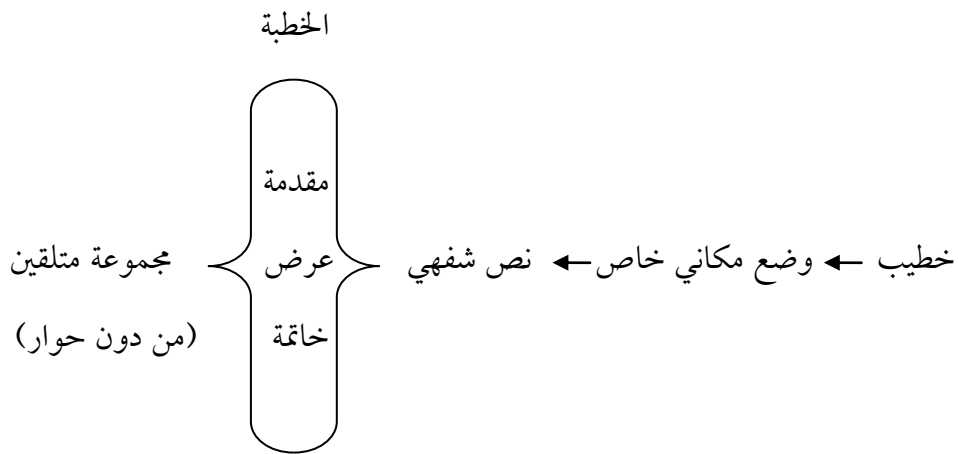
وللتماسك أدوات لفظية وأدوات دلالية وأدوات تداولية متعددة يتحقق في ضوئها التماسك الذي يظهر في اكتمال البنيتين النصيتين: البنية العليا للنص والبنية الدلالية الكبرى للنص... وكل توظيف لنوع من أنواع تلك الأدوات في الحجاج يؤدي من ثم إلى التماسك الحجاجي، ويتحقق التماسك الحجاجي للخطبة من خلال عناصر المستوى الحجاجي داخل النص وخارج النص ويمكن مقارنته - على سبيل المثال - في ضوء الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والسلام الحجاجية في النص، وعلى ذلك فالتماسك الحجاجي يدل على نجاح العملية الحجاجية برمتها، كما هو مؤشر وجزء مهم من أجزاء التماسك الكلي الذي يدل على اكتمال نصوصية النص بصفة عامة.

١, ٢, ٢ البنية العليا وتوظيفها الحجاجي

تُعرّف البنية العليا بأنها " المخطط المجرّد الذي يحدّد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تتركز إمكاناتها التأليفية على قواعد عُرفية^{٤٧} أي أن بنية النص العليا هي ذلك النظام المتحقق في نص ما، ويمكن الاستنتاج منه أن هذا النص هو شعر أو حكاية أو خطبة... إلخ ويؤثر في تشكيل هذه البنية العليا عدة عوامل منها عوامل شكلية أو دلالية تتحقق في النص ومنها عوامل تداولية تتعلق بسياقات النص من سياق مقامي وسياق ثقافي كل ذلك قد يجعل من نوع نصي خطبة أو مقالاً أو قصة قصيرة ولا يجعل منها شيئاً آخر...

ولأن البنى العليا للنصوص هي عبارة عن تصنيف لنوع النص في المقام الأول نشأ عن أعراف نصية وأعراف اجتماعية وثقافية؛ فإن تلك البنى النصية ليست ثابتة قارة، بل هي خاضعة للتحويل والتغير، فإذا صُنّف نص ما على أنه حكاية شعبية ثم ظهر تصنيف لنص آخر على أنه قصة قصيرة فما ذلك إلا لتغير اشتراطات البنية العليا واختلافها ما بين الحكاية الشعبية والقصة القصيرة، بل إن البنية العليا لنوع نصي كالخطبة على سبيل المثال قد تتغير بعض سمات بنيتها العليا بين فترة وأخرى، وعلى ذلك يختلف تصنيف الخطبة في العصر الأموي والخطبة في العصر العثماني، أو الخطبة الدينية والخطبة السياسية، ليس لظهور فوارق أسلوبية وفوارق في الموضوعات فحسب، بل لعوامل أخرى متعددة منها ما يتعلق بالسياقات ومنها ما يتعلق بعملية التلقي والإدراك، بل قد تتداخل بعض الأنواع في بناها العليا كالخطبة والمحاضرة والموعظة...، ويحتاج حينئذٍ إلى تفريق دقيق بين بنياتها العليا لتتضح إحداها من الأخرى.

والناظر في جنس الخطبة بشكل عام يرى أن بنيتها العليا تتشكل من خطيب، ووضع مكاني خاص (منبر أو مكان مرتفع... إلخ) ونص شفهي ذي مواضع تتألف من (مقدمة وعرض وخاتمة) ومجموعة من المتلقين الذي يستمعون للخطبة دون حوار. ويمكن وضع تصور لمخطط البنية العليا للخطبة على النحو الآتي:



شكل إيضاحي رقم (١) البنية العليا التقليدية للخطبة

إن التغيير في بعض خصائص البنية العليا للخطبة قد يخرجها عن كونها خطبة فتتحول إلى نوع نصي آخر، في حين أن التغيير في بعض الخصائص قد يميز بين أنواع الخطب و قد يضيف خصيصة معينة تظل ركيزة في تصنيف نص الخطبة في مجتمع من المجتمعات دون مجتمعات أخرى...

ولندرك الفرق بين البنية العليا للخطبة النبوية والخطبة في العصر الجاهلي وأثرها في تشكيل المسار الحجاجي وفي التماسك الحجاجي يمكن أن نعقد المقارنة التالية بين بعض خصائص البنيتين وفق الجدول التالي:

الحِجَاجُ فِي الْخُطْبَةِ النَّبَوِيَّةِ

ملحوظات	البنية العليا للخطبة النبوية	البنية العليا للخطبة الجاهلية
يُذكر أن النبي ترك الاعتماد على العصا لما عمل له المنبر (انظر: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٤).	خطيب ' وضع مكاني الاعتماد على عصا أو قوس	خطيب ' وضع مكاني الاعتماد على عصا أو قوس، (انظر البيان والتبيين ١/ ٣٧٠، ٣٨٣، ١)
الخطبة النبوية بمجملها كانت تهدف إلى إقناع الناس بالدين الجديد والمقدمة هي تذكير حجاجي مستمر بالانتقال إلى دين جديد وقيم جديدة ونص جديد.	نص شفهي مقدمة دينية حجاجية ثابتة 'عرض 'خاتمة حجاجية دينية	نص شفهي مقدمة تنبيهية مثل: أيها الناس يا معشر كذا، 'عرض - خاتمة
	مدة الخطبة تتميز بالقصر	مدة الخطبة تتميز بالقصر
	موضوعات تتوافق مع الحياة الإسلامية الجديدة	موضوعات تتوافق مع الحياة الجاهلية
إمكانية الحوار هي التي أوجدت ميزة مضافة أو خاصة لم تتكرر في غير الخطبة النبوية وهي خاصية البنية العليا المفتوحة لنص الخطبة، وقد استمرت هذه الميزة في عهد الخلفاء الراشدين ثم اختفت بعد ذلك	خطبة ذات بنية عليا جديدة تتميز بفتح إمكانية الحوار	خطبة تقليدية ليس فيها حوار مع الخطيب
	تمايز أسلوبى يتمثل في قلة استعمال السجع وادم السجع	أسلوبياً الاعتماد في الغالب على السجع

إن هذا الجدول حول البنية العليا للخطبة الجاهلية تتوافق مع ما ثبت وصوله إلينا من خطب جاهلية أشار شوقي ضيف إلى أنه يمكن الاطمئنان إليها على الرغم من أنه يذكر أن ما ورد حول نصوص الخطب الجاهلية لا يمكن الوصول من خلاله إلى نتائج قاطعة حول خصائص الخطبة الجاهلية^{٤٨}، ولا شك أنه يعني بالخصائص الخصائص الأسلوبية، أما خصائص البنية العليا فهي خصائص (لسانية - نصية)، وهي على الراجح تتوافق مع الجدول الآنف، وعلى كل حال فإنها بأية صورة كانت لا يمكن أن يجري تماثل بينها وبين البنية العليا للخطبة النبوية التي قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوظيفها حجاجياً؛ لتمثل نقلة في هيئة الخطبة تترافق مع النقلة الكبرى مع الدين الجديد، ويظهر ذلك فيما يلي:

١ - إيجاد مقدمة وخاتمة ثابتتين تمثلان نوعاً من القطيعة مع نط الخطب الجاهلية، كما تمثلان حجاجاً ثابتاً يرسخ لمركزية الدين الجديد، ومن المؤكد أن المقدمة والخاتمة في الخطبة النبوية قد أدتا وظيفة حجاجية غاية في الأهمية هي إيجاد المبادئ الحجاجية وترسيخها، والتذكير بها دائماً، فوجود الروابط والعوامل الحجاجية مع التركيبية الحجاجية المتمثلة في الرمز الآتي: ح [— ن]^{٤٩} " لا تكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا تكفي أيضاً لقيام العلاقة الحجاجية، إذ لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية"^{٥٠} والمبادئ الحجاجية تعني: "مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة"^{٥١} أما كلاوس برينكر فيسمي هذه المبادئ بالأساس القيمي المفترض الإجماع عليه ويتقاسمه الباث والمتلقي وكثيراً ما يوجد في النص بصورة ضمنية^{٥٢}؛ وبناء على ذلك فقد مُثِّلَت تلك المبادئ من خلال مقدمة الخطبة النبوية وخاتمتها التي تتجلى في التحميد والثناء في بداية الخطبة،

والسلام وذكر الله في نهاية الخطبة^{٥٣}، واستمر هذا النمط الجديد، وأصبحت العرب تحرص على البدء بالحمد في كل خطبتها^{٥٤}، وكانت تسمي كل خطبة لا يذكر فيها اسم الله في أولها من بعد بالبترء^{٥٥} إشارة إلى النقص المعيب الذي يلحقها، ولم يقف محمد العمري كثيراً حول أهمية المقدمة الجديدة في نظام الخطابة في القرن الأول، بل أشار مجرد إشارة إلى الإلحاح على الاستهلال الديني^{٥٦} دون الحفر العميق في أبعاد توظيف تلك المقدمات، ومحاولة ربطها بالانتقال الحجاجي إلى القيم الجديدة للحياة التي تحاول ترسيخ منظومة الدين الجديد في بداية كل خطبة، ولم يتطرق محمد العمري كذلك في تعداد له وظائف المقدمة والخاتمة في الخطابة إلى ما قد تمثلانه من وظيفة حجاجية، بل اهتم متابعة لبعض الباحثين الغربيين بكونهما موضعاً لمستوى العواطف والاستهواء والاستمالة أو تمهيداً تقسيمياً لما سيأتي بعد المقدمة وتلخيصاً مركزاً لما يكون قبل الخاتمة.^{٥٧}

والحقيقة أن المقدمات التي تصدرت الخطبة النبوية، وأصبحت تقليداً خطابياً بعد ذلك هي مقدمات حجاجية "تعمل على شد السامع وأسر كيانه عقلاً وعاطفة"^{٥٨}.

ثم إن موضع الافتتاح والغلق هما موضعان يمثلان جسراً أو قنطرة للانتقال، وهذا الفضاء المكاني الذي يتوافق في وظيفته مع ما تمثله المقدمة والخاتمة يعد من أهم الفضاءات المكانية إذ هو الموصل لما يليه، والحافظ لما خلفه، وبناء على هذا النطاق فإن تأسيس مقدمة فيها تكثيف شديد لكل المحتوى الحجاجي العام (المرتبط بقيم الدين الجديد)، وربطه بالتفريعات الحجاجية مهما كانت تلك التفريعات، يؤدي إلى قوة حجاجية مضاعفة تزيد من احتمالات اقتناع المتلقي، وهو ما أدته المقدمة والخاتمة في الخطبة النبوية.

٢- فتح إمكانية الحوار في الخطبة النبوية، وهذه الإمكانية الحوارية يمكن ملاحظتها من خلال تتبع الخطب النبوية، وتكاد تكون خصيصة تميز بها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبه، كما أنها تمثل إحدى وسائل الاختلاف مع الخطبة الجاهلية بحيث تؤسس لنمط من القطيعة مع وضع خطابي وحجاجي سابق للانتقال إلى وضع خطابي وحجاجي جديد، فضلاً عن ذلك فإن طبيعة الخطبة الشفهية تتيح إمكانيات مختلفة لتطور بنى النص المختلفة أكثر من النص المكتوب^{٥٩}، وهو ما تحقق بصورة نستطيع القول: إنها ذات وظيفة حجاجية جدّ واضحة في الخطابة النبوية، وتتجلى صور إمكانية فتح الحوار في ما يلي:

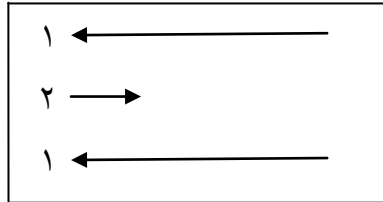
- طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المتلقين الإجابة عن سؤال أو الإدلاء برأي.

- تدخل أحد المتلقين للاستفسار في أثناء الخطبة أو بعد نهاية الخطبة.

وقد وُجد هذا الحوار في عدد غير قليل من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم التي وصلتنا^{٦٠}، وهذا التغيير في البنية العليا بالسماح بإمكانية الحوار يؤسس لنمط البنية العليا المفتوحة في نص الخطبة إلى حوار نمط البنية العليا المغلقة، أو بمصطلحات الحجاج الانتقال من حجاج أحادي إلى حجاج حوار^{٦١}، وذلك يدل على فتح نافذة حجاجية تزيد في القوة الاقتناعية للمتلقى، وعلى إذكاء الصبغة الحجاجية في الخطبة النبوية، والسماح بالحوار ليكون وسيلة قوية تساعد على إضفاء صفة التساوي في مقام الحجاج لتكون الغلبة للحجاج ذي الطابع السجالي الذي يأخذ ثلاث اتجاهات بدلاً من اتجاه واحد يغلب على البنية العليا للخطبة التقليدية، وهذه الحوارية الحجاجية تؤدي إلى ما يطلق عليه

جاكوبس السمة التعاونية بحيث لا يكون الحجاج سلسلة من الحجج المتنامية فردياً في سياق المتحدث المفرد بل تنتج العملية الحجاجية في إطار تناوب حوارى يسمح باستنتاج السند المرغوب لخلق الوفاق... وبدعيم مقدمات الحجة بالنتائج المحصل عليها خلال الحوار^{٦٢}، وقد يكون هذا النمط الحوارى في الخطبة النبوية نوعاً جديداً من أنواع الخطب التي تفتح إمكانية الحوار، ولا نكاد نجد له مثيلاً وإن استمرت تأثيراته في عهد الخلفاء الراشدين ثم اختفى بعد ذلك، واستمرت الخطبة كنص أحادي يتجه من مُلقٍ إلى مُتلقٍ مستمع فقط.

ومع السماح بإمكانية الحوار في الخطب النبوية إلا أنه يظل حواراً جزئياً حتى لا تفقد الخطبة بنيتها العليا؛ فتتحول إلى شكل آخر كالمناظرة أو المحاوره، كما تم في الوقت نفسه الاحتفاظ بالبنية العليا للخطبة التقليدية بشكل عام لتكون ذخيرة حجاجية قديمة في المسار الحجاجي الجديد، ولتمثل شكلاً من أشكال المروحة بين الأنماط؛ مما يؤدي إلى مزيد من الفاعلية في نقل الخطاب إلى مختلف المتلقين ومراعاة لما يألّفونه من نصوص أو أوضاع.



شكل إيضاحي رقم (٢) البنية العليا المفتوحة للخطبة النبوية ذات الحوار الجزئي

٣- التأسيس لنمط أسلوبى جديد يتمثل في الابتعاد عن السجع الذي كان سمة أسلوبية سائدة في الخطب الجاهلية^{٦٣} وفي نصوص الكهان، إلى الكلام المرسل الخالي من التكلف، ومن السجع، وإن حدث واستعمل السجع، فهو يُستعمل

على نحو قليل ومن غير تكلف ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنكر صراحة تكلف السجع، حيث قال لما سمع كلاماً مسجوعاً: "أسجع كسجع الكهان"^{٦٤} وقد حاول الجاحظ أن يجعل ذلك مخصوصاً بنأية الإسلام أي بداية الإسلام^{٦٥} وقال: "وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم... كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع"^{٦٦}

وعلى ذلك فقد استطاعت الخطبة النبوية أن توجد مساراً حجاجياً بامتياز، مساراً حجاجياً معجزاً غير في البنية العليا للخطبة بما يحقق نقلة حجاجية إقناعية كبرى.

٢,٣ البنية الحجاجية الشاملة

تظهر مدى حجاجية أي نص من النصوص من خلال بنيته الحجاجية الشاملة وتشكل هذه البنية الحجاجية من مستويين:

المستوى الأول: مستوى الحجاج داخل النص

يتم في هذا المستوى تحليل الحجاج من خلال تتبع الإستراتيجيات الحجاجية داخل النص، ومحاولة الإفادة من النماذج الحجاجية^{٦٧} بما يتناسب والنص المقصود بالتحليل، أو القيام بإتباع نموذج حجاجي معين،.... وسوف نقوم في هذا المستوى من التحليل بالتركيز على الجوانب اللسانية في تحليل عملية الحجاج، كما سنحاول الإشارة إلى بعض الإستراتيجيات البلاغية، ولأجل ذلك سوف نفيد من تتبع الروابط الحجاجية، ومن دراسة السُّلم الحجاجي^{٦٨}، ثم نقوم بتحليل بعض النواحي البلاغية تحليلاً حجاجياً، إضافة إلى القيام بالإشارة فيما بعد إلى أهم أنواع الحجج التي ظهرت في الخطبة النبوية.

المستوى الثاني: مستوى الحجاج بالنص

ويتمثل هذا الحجاج بكون النص بكامله يؤدي إلى النتيجة الكلية للحجاج ويمكن الترميز لهذا المستوى كالتالي^{٦٩}: النص — ن

وتتكون البنية الحجاجية الشاملة من مكونين الأول منهما هو: الوظيفة الحجاجية للبنية العليا للنص، وقد دُرست هذه البنية في الخطبة النبوية في الفقرة السابقة من البحث، والثاني منهما هو المعنى الحجاجي الكلي للنص، وهو يماثل البنية الدلالية الكبرى في النص غير الحجاجي، وإن كان يختلف عنها بما يتضمنه من توجه حجاجي، أو نستطيع القول: إنه البنية الدلالية الكبرى مصوغة صوغاً حجاجياً، ويتم الوصول إلى المعنى الحجاجي الكلي للنص بوساطة ثلاث خطوات كالتالي:

أولاً: محاولة اكتشاف من خلال النظر إلى مجمل حجج النص، والنظر إلى الكلمات المفتاحية في النص، وإلى التكرار لبعض الحجج أو الكلمات، والنظر أيضاً إلى الروابط الحجاجية، مع أخذ السياق أو الأيتوس في الاعتبار عند هذه المحاولة وينتج عن هذه المحاولة الوصول إلى معنى حجاجي كلي حدسي.

ثانياً: القيام بالتغريض لحجة من الحجج لتكون هي الحجة الرئيسة وربط باقي الحجج بها، وقد يكون التغريض في الغالب للحجة الأولى أو الحجة الأخيرة من النص. ولربما تظهر بعد بعض الروابط الحجاجية القوية أو بعد السلم الحجاجي في داخل النص...

ثالثاً: التعميم وهو إحلال تصور إجمالي محل تصور مفصل، بحيث تحل قضية جديدة محل عدة قضايا تكون متضمنة في تلك القضية الجديدة^{٧٠} فيصبح النص كاملاً فعلاً كلامياً شاملاً مؤداه (أحجاجٌ عن س) عن طريق إحلال حجة إجمالية محل الحجج التفصيلية في النص.

التحليل الحجاجي للخطب النبوية

ينطلق التحليل الحجاجي للخطب النبوية من مراعاة مستويي الحجاج بداخل النص، والحجاج بالنص؛ إذ من خلال هذين المستويين تتضح القيمة الحجاجية الكاملة للنص، وكما هو معلوم فإن التحليل الحجاجي للنصوص، وليس للجمل يكاد يكون قليلاً جداً حتى في النظرية الحجاجية الغربية فكل تطبيقات الحجاج إنما كانت في إطار الجملة^{٧١}، ويظل الدكتور أبو بكر العزواي من أوائل من حاولوا القيام بتحليلات حجاجية لنصوص لغوية كاملة، كما حاول ربط تحليله الحجاجي بانسجام النص، وهو يشير إلى أن المشكلة التي قد تظهر في بعض النصوص أننا قد نجد بعضها متوفراً على كثير من الروابط الحجاجية في حين نجد في بعضها الآخر قلة لتلك الروابط أو حتى غيابها^{٧٢}، ولكن ذلك لا يعني اختفاء الحجاج من النص، وبناء على ذلك فإننا سنقوم بتحليل لكل نص من النصوص المختارة من الخطب النبوية؛ لنحاول أن نتبع من خلاله كل المؤشرات الحجاجية في النص.

١, ٣ تحليل الخطبة الأولى^{٧٣}

بدأت هذه الخطبة بالمقدمة الجديدة التي تعلن صراحة خطاباً جديداً وانتقالاً جديداً، ويمكن هيكلة هذه المقدمة حجاجياً كالتالي:

المعطي: أقدم بالحمد والاستعانة والإيمان والتوكل على الله والشهادة بأنه الإله الواحد لا شريك له.

قانون العبور: بناء على هذه المقدمة هنالك خطابة جديدة، ودين جديد، وقيم

جديدة

ن [—] الاستماع والاقتناع بنص الخطبة وحججها.

ثم انتقلت الخطبة إلى حجتها الرئيسة وهي إثبات الرسالة للرسول صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من خلال ثلاث خطوات حجاجية متصاعدة بدأت الاحتجاج بالاستشهاد بالمثل العربي "الرائد لا يكذب أهله".

ويمكن صياغة الحجة الرئيسة للخطبة كالتالي:

المعطى: أنا مثل الرائد الذي لا يكذب أهله.

قانون العبور: تعلمون أنني صادق وأنني أحبكم لأنكم أهلي.

ن — [تصديقي فيما أقول.

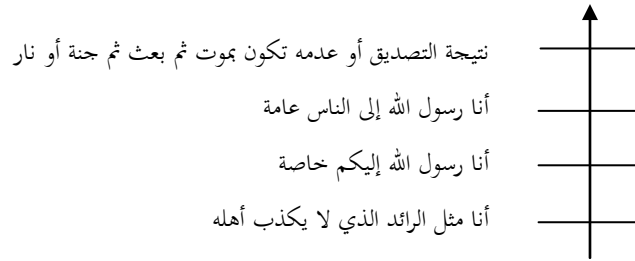
ثم انتقلت الخطبة إلى التصريح بالحجة الرئيسة وهي "والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة" وفي المستطاع تغريضها لتكون الحجة الرئيسة بربطها بسياق المقام، فهي مدار الخطبة بأكملها إذا تمّ التصديق بها فسيتمّ التصديق بكل شيء يرتبط بها... وفي المعتقد أن القَسَمَ في بداية الحجة إضافة إلى وظيفته التأكيدية التوجيهية الإثباتية^{٧٤} يحمل وظيفة نصية أخرى هي وظيفة الربط الحجاجي النصي القوي، بما يؤكد الحجة السابقة التمهيدية، كما تضمنت صيغة القسم التصريح بالمرسل في الوقت نفسه وهو (الله تعالى)، وجرى ربط كل ذلك بالمعطى للحجة الذي هو جواب القسم ويمكن هيكله هذه الحجة كالتالي:

المعطى: إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة.

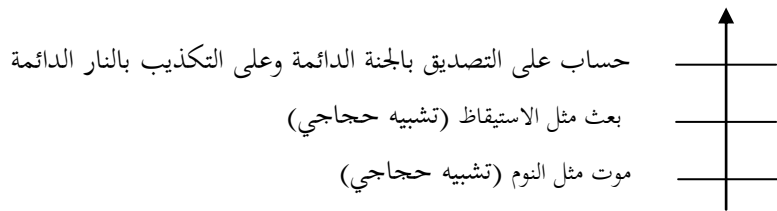
قانون العبور: صدقوا أني رسول الله إليكم

ن — [في حالة تصديقكم أو في حالة عدم تصديقكم استمعوا لما سيحدث لكم تصاعدت الحجة في سلطة إقناعية هائلة تمثل إثباتاً للبعث بعد الموت، وللحساب

وللجنة الدائمة للمصدقين، وللنار الدائمة للمكذّبين، وقد رُبطت هذه الحجة المتصاعدة بالرباط الحجاجي الإثباتي القوي ألا وهو لفظ القسم "والله" وقد اشتملت الحجة إضافة إلى كونها حجة سُلّمية متصاعدة على سُلّم حجاجي في داخلها؛ مما يذهب بالحجة إلى أقوى حالتها من خلال السُلّم الحجاجي الرئيس



والحجة الثالثة في السُلّم الحجاجي السابق التي أتت على شكل سُلّم حجاجي تصاعدي أيضاً تثبت حجة الموت بتشبيهه بالنوم وحجة البعث بتشبيهه بالاستيقاظ، وبناء على هاتين الحجّتين المركبتين يكون هنالك حساب بعد الموت ثم دخول أبدي إلى الجنة أو دخول أبدي إلى النار، ويمكن رسم السُلّم الحجاجي كالتالي:



و هذا التصاعد في السُلّم الحجاجي الأول متلوّاً بتصاعد حجاجي في السُلّم الحجاجي الثاني يبلغ بالحجاج أقوى ذروة؛ فلا مجال بعد ذلك إلا للتصديق أو للاستكبار والرفض من غير قدرة على دحض الحجاج النبوي أو قدرة على رده

بحِجَاجٍ آخَرَ فِي مَسْتَوَاهُ، هَذَا سِوَى مَا يَحْفَلُ بِهِ النَّصُّ مِنْ مُؤَكَّدَاتٍ هِيَ (إِنَّ - وَاللَّهِ -
إِنِّي - وَاللَّهِ - لَ - نَّ - لَ - نَّ - لَ - نَّ - إِنَّهَا - أَبَدًا - أَبَدًا)

كَمَا احْتَوَى النَّصُّ عَلَى الْحِجَاجِ بِالِاسْتِشْهَادِ بِالْمَثَلِ الَّذِي يُمَثِّلُ قُوَّةَ حِجَاجِيَّةٍ؛ إِذْ هُوَ مُرْتَبِطٌ بِالْبَيْئَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى صَدَقِ الرَّائِدِ حِينَمَا تَرْسُلُهُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمَاءِ وَالْكَأَلِ لِنَقْذِهَا مِنَ الْهَلَاكِ، وَهَذَا الْاسْتِشْهَادُ بِالْمَثَلِ تُمَثِّلُ قِيَمَتَهُ أَيْضًا فِي أَنَّ الْمَثَلَ يَعْدُ مَبْدَأً حِجَاجِيًّا؛ لِأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى الْأَفْكَارِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ أَفْرَادِ مَجْمُوعَةٍ بَشَرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، كَمَا يَتَسَمَّى بِالْعُمُومِيَّةِ وَالتَّدرِجِيَّةِ وَالنَّسْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ سِمَاتٌ لِلْمَبَادِئِ الْحِجَاجِيَّةِ غَالِبًا، هَذَا إِضَافَةً إِلَى أَنَّ الْأَمْثَالَ لَهَا بَنِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ مَنْطِقِيَّةٌ مِنْ قَبِيلِ (إِذَا أ فِإِنْ ب)، وَلَكِنْ الْمَثَلُ إِضَافَةٌ إِلَى كَوْنِهِ مَبْدَأً حِجَاجِيًّا، فَإِنَّهُ حِينَمَا يُوظَّفُ فِي الْخُطَابِ؛ فَهُوَ يُوظَّفُ بِاعْتِبَارِهِ حِجَّةً، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ حِجَّةً عَادِيَّةً، إِنَّهُ حِجَّةٌ قَوِيَّةٌ وَحِجَّةٌ جَاهِزَةٌ^{٧٥} وَهُوَ فِي النِّهَايَةِ حِجَاجٌ بِسُلْطَةِ الْاسْتِشْهَادِ بِالْقَوْلِ الْمَثَلِيِّ الْمُنْبَثِقِ مِنَ الذَّهْنِ الْجَمْعِيِّ.

كَمَا نَجِدُ قُوَّةَ حِجَاجِيَّةٍ أُخْرَى بِاسْتِعْمَالِ عِلَاقَةِ التَّشْبِيهِ، أَوْ مَا يُسَمَّى الْحِجَاجِ بِالتَّشْبِيهِ لِإِثْبَاتِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِتَشْبِيهِ الْمَوْتِ بِالنَّوْمِ، وَتَشْبِيهِ الْبَعْثِ بِالِاسْتِيقَاضِ، وَمِثْلَ هَٰذَيْنِ التَّشْبِيهِينِ اللَّذَيْنِ يَكُونُ فِيهِمَا الْمَشْبَهُ بِهِ غُطًّا أَوْ أَكْثَرُ غُطِّيَّةٍ مِنَ الْمَشْبَهُ هِيَ مَا أَجْمَعَتْ عَلَى قُوَّتِهِ النَّظَرِيَّاتُ الْبَلَاغِيَّةُ الْقَدِيمَةُ وَالنَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيثَةُ^{٧٦}؛ إِذْ إِنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الْمَشْبَهُ وَاسْتِيعَابِ أَحْوَالِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَاسْتِعْمَالُ التَّشْبِيهِ هُنَا ذُو وَظِيفَةٍ حِجَاجِيَّةٍ تُوْدِي إِلَى الْاِقْتِنَاعِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشْبَهُ مِنْ أَحْكَامٍ^{٧٧}.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الرُّوَابِطُ الْحِجَاجِيَّةُ الَّتِي فِي هَذَا النَّصِّ الْحِجَاجِيُّ الْبَلِیْغُ ذِي الْقُوَّةِ الْحِجَاجِيَّةِ الْمُضَاعَفَةِ فَتُمَثِّلُ فِي اسْتِعْمَالِ الْقِسْمِ (وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) كِرَابِطَ نَصِي حِجَاجِيٍّ إِثْبَاتِيٍّ يَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ الرِّبْطِ وَالتَّأْكِيدِ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ^{٧٨} كَمَا يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتُ

حجة الألوهية، وتمثل كذلك في استعمال العطف بالواو (ولتبعثن... ولتحاسبن... وإنها) هذه الواو العاطفة المكررة ساهمت في ربط نتيجة الحجاج في النص كاملاً؛ لتوضح أنه بعد الموت يكون هنالك حساب للمصدق، وعقاب للمكذب، وبذلك يمكن صياغة نص الخطبة في عبارة (صدقوا أني رسول الله إليكم فمن صدقني فله الخلود في الجنة ومن كذبي فسيخلد في النار) التي تمثل البنية الدلالية الكبرى للنص وهي تمثل انسجام النص حجاجياً ودلالياً في اللحظة ذاتها؛ إذ الحجاج يمكن صياغته في قضية (إثبات صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم) ويكاد يتماثل المحتوى الحجاجي مع المحتوى الدلالي مما يجعل التماسك الحجاجي يزيد في قوة انسجام النص.

وقد أدى الحجاج بالإضافة إلى ذلك دوراً كبيراً في تماسك النص في مستوى ترابط ما فوق الجملة وفي مستوى الترابط التداولي بربطه بسياق المقام وتمثيله له من خلال الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الضمير المستتر (أحمدته - أستعينه - أو من - أتوكل - أشهد) والضمير الغائب (أهله)، وضمير المتكلم (إني) ونلاحظ تدرجاً في استعمال الضمير من المستتر إلى الغائب إلى المتكلم وهو تدرج يزيد من قوة الحضور وقوة الحجاج أيضاً، كما تجلّى الربط المتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال التصريح بوصفه بالرسالة (رسول الله) ومن خلال الاستبدال (الرائد)، أما المخاطبون فقد تمت الإحالة بكلمة (أهله) في المثل التي هي استبدال (للأهل الحقيقيين)، ثم تمت الإحالة إليهم بكاف المخاطب (إليكم)، وبدخولهم في عموم لفظ (الناس) ثم استمرت الإحالة إليهم بواو الجماعة محذوفة ثم مذكورة ثلاث مرات (تموتن... تنامون، تبعثن... تستيقظون، تحاسبن... تعملون)، وهذا الحذف وإن كان لالتقاء الساكنين وإن كان كذلك يمثل إحدى حالات الحذف النادرة للفاعل في

فعل (تموت) ونائب الفاعل في (تُبْعَثُ)، و(تُحَاسَبُ) في اللغة العربية إلا أنه يمثل اتساقاً معجزاً مع ما يتضمنه من حركة للمعنى بين الموت والبعث والحساب كحالات غياب ومع ذلك تمثل حضوراً قوياً بتأكيدهما بنون التوكيد، وبين النوم واليقظة والعمل الذي يتم الحساب عليه حيث تمثل حالات حضور.

وبالإضافة إلى نص هذه الخطبة المشهورة فقد وردت روايتان صحيحتان إحداهما فيها هذا النص "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت: (تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب)^{٧٩} والأخرى فيها هذا النص "انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى يا بني عبد مناف إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثلي رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه^{٨٠}"

وفي الرواية الأولى تتجلى الإستراتيجية النبوية في تحويل بنية الخطبة العليا لنص الخطبة لتكون بنية عليا مفتوحة رغبة في تقوية الحجاج، وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستفهام ليزيد من جذب المستمعين، ثم حاول أخذ إقرار من المستمعين بأنه صادق بوساطة استعمال الحرف (لو) الذي يدل على ما كان سيقع لوقوع غيره، فلو أنه حذرهم من أن هجوماً سيقع عليهم ماذا ستكون النتيجة تصديق الرسول أو تكذيبه فأقروا جميعاً أنهم سيصدقونه؛ لأنه لم يكذب أبداً، وهنا انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تحذيرهم من عذاب الله - إذا لم يصدقوه - وبناء على ذلك فقد ألزمهم الحجة، ولم يعد لأبي لهب إلا التعدي على الرسول صلى الله عليه وسلم بثتمه؛ فنزل القرآن ليبين أن أبا لهب هو الذي تب أي خسر ولن يغني عنه ماله ولا

ما كسبه في هذه الحياة الدنيا؛ لأنه سيصلى النار لعدم تصديقه برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نلاحظ في هذه الرواية الأولى أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل إستراتيجية الاستفهام الحجاجي، والاستفهام الحجاجي هو كل استفهام يخرج عن غرض الاستفهام الأصلي ليؤدي وظيفة أخرى، فإذا كان في مقام حجاجي زاد من قوة الحجاج وبلغ بها الذروة القصوى، وهذه الإستراتيجية استعملها إبراهيم عليه السلام فأخرج الاستفهام عن وظيفته الأساسية في مقام حجاجي، ولكن إبراهيم عليه السلام أخرج الاستفهام مخرج الإنكار، فبدأ بهجوم حجاجي قوي جداً أدى هذا الهجوم الحجاجي القوي الذي لم يجد قومه له رداً إلا أن يحرقوه في النار لنصرة الآلهة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ باستفهام خرج عن وظيفته الأصلية إلى التشويق، وهذا الاستفهام الخارج عن استفهاميته إلى التشويق تتضاعف فيه قوة الاستفهام؛ إذ الاستفهام محرّك للنفس، والتشويق محرّك لها أيضاً؛ وعلى ذلك فإن الحجاج الذي يأتي بعد هذا النوع من الاستفهام يكون بؤرة ومركزاً للاهتمام الشديد به (أرايتكم لو...) ثم أتى بالاستفهام على حقيقته من بعد؛ ليأخذ من ألسنتهم الجواب (أكنتم مصدقي)، ولكنه لم يبدأ بالهجوم على آلهتهم فقط أخبرهم بأنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد أي أنهم لا بد أن يصدّقوه بأنه رسول الله وأنه لا إله إلا الله؛ وبناء على هذا التصديق تكون الخطوة التالية هي رفض عبادة الأصنام.... فلما لم يؤمنوا كانت حجة إبراهيم الواردة في القرآن الكريم حجة مضافة إلى حجة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مما بلغ بالحجاج النبوي غاية ليس بعدها غاية.

ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل السُّلم الحجاجي في هذه الرواية أيضاً، وهذا يدل على ملكة حجاجية عالية جداً...

ويمكن صياغة الهيكل الحجاجي لهذه الرواية كالتالي:

المعطي: الإخبار بهجوم خيل على قريش على سبيل الافتراض.

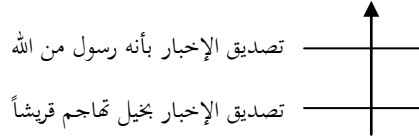
قانون العبور: بناء على الإخبار ماذا يكون موقفكم.

ن [—] تصديقي (بناء على إجابتكم).

المعطي: إنني أحذركم من عذاب الله الشديد.

قانون العبور: بناء على صدقي الذي تعرفونه صدقوا تحذيري.

ن [—] صدقوني



أما في الرواية الأخرى فقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الحجاج بالتمثيل ليوضح لهم خطر الأمر الذي هم بصدده، وقد كانت صورة التمثيل صورة حركية تستحضر مشهد هجوم سريع على قومه، فلما علم به أراد تحذيرهم، ولكنه خاف وصول العدو إليهم قبل أن يصل هو، فما كان منه إلا رفع صوته عالياً ليسمعوا تحذيره ويأخذوا استعدادهم، وفي هذا الحجاج التمثيلي أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم مدى حبه الشديد لقومه ولنجاتهم، كما أوضح خطر ما هم فيه من الاستمرار في عبادة الأصنام وترك عبادة الديان، وأن القضية ليست قضية عادية، بل هي قضية ذات شأن كبير، إذ هي تمثل الهلاك أو النجاة.

إن رسم المشهد بهذه الدقة وبهذه الحركة السريعة، وما يترتب على هذا المشهد؛ ليدل على قوة حجاجية أتت في صورة استعارية؛ تستجلب تفاعل المتلقي... لتزيد من قوة الحجاج وقوة أثره في نفس السامع بما لا يقدر على رده. ويمكن صياغة هيكلية الحجاج على النحو الآتي:

المعطي: أنا مثل رجل يحذركم من عدو فلما خاف أن يصل إليكم العدو حذركم بصوت مرتفع.

قانون العبور: بناء على ذلك صدقوني لأنكم ستهلكون إن لم تصدقوني.

ن — [صدقوني في ما جئت به من الرسالة والإنذار من عذاب الله الشديد.

٢, ٣ تحليل الخطبة الثانية^{٨١}

إن الموقف السياقي لانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستقبال الناس له هنالك بالتصديق والنصر والتأييد يختلف عن الموقف السياقي في مكة الذي كان موقفاً تتحكم فيه قوة عرض الحجة لإثبات الرسالة ولتصديقه في نبوته. فماذا سيقدم من حجاج في هذا الموقف الجديد؟

إن الحجاج الجديد سيتوجه إلى تأكيد إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى ولكن بوجه غير مباشر لا مناص معه إلا تأكيد التصديق وترسيخه في النفوس، والعمل على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تجلى ذلك في:

أولاً: البدء بحمد الله والثناء عليه بمقدمة تمهيدية حجاجية وبخاتمة وظيفتها دعم الحجاج الكلي، وهما ترسخان للقطيعة مع الخطابة التي كانت قبل الخطابة النبوية، كما تهيئان للمبدأ الحجاجي الجديد الذي تدور في فلكه كل الحجج الجديدة...

ثانياً: الحجاج باستعمال القضية الكبرى أو الحقيقة المفجعة التي تواجه الإنسان، ألا وهي حقيقة الموت، وما يترتب عليه من بعث ومن سؤال عن تبليغ الرسول للرسالة، وهنا لا مجال إلا للإيمان أو الكفر، ولا مجال إلا لافتداء الإنسان لنفسه بالعمل الصالح وعمل البر، ولو كان جزءاً من ثمرة أو حتى كلمة طيبة؛ لأن الله يضاعف بالكلمة

الطيبة الأجر عشر مرات إلى سبعمائة ضعف فكيف بغيرها من العمل، فهنالكَ ترهيب وترغيب في الوقت نفسه، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وهنا يحث الحجاج بالموت والبعث على أداء الأعمال والأقوال الصالحة؛ لأن الدنيا ستفنى فجأةً ويتركها الإنسان وهي لم تكتمل ليتقل حيث تكتمل حياته الآخروية من خلال اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه النقلة الحجاجية حول أداء العمل مناسبة للموقف، ولكن ما جعلها تبلغ الغاية في القوة الحجاجية هو ربطها بحجاجية إثبات الرسالة للرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخبر بالبعث ودعا إلى هذه الأعمال، فهي تمثّل حجاجاً خفياً ينسرب إلى النفوس، واستعمال مثل هذا الحجاج الخفي يدل على مقدرة حجاجية فائقة قلّ أن توجد، ويمكن صياغة الهيكلية الحجاجية لنص هذه الخطبة كالتالي:

المعطى: الأمر بالتقديم للنفس.

قانون العبور: لأن التقديم للنفس يقي من النار.

ن — [التقديم للنفس.

ويمكن أن نصل إلى الحجاج الخفي في ترسيخ إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هيكلية الحجاج على النحو الآتي:

المعطى: أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن التقديم للنفس يقي من النار (ألم يأتك رسولي فبلغك).

قانون العبور: يجب التصديق برسالة الرسول لأنه المبلغ بذلك.

ن — [التصديق برسالة الرسول والتقديم للنفس.

أما الأدوات التي أسهمت في تأكيد الحجاج في النص، فهي استعمال القسم كرابط حجاجي نصي بين المعطى وقانون العبور (والله) كما أنه يفيد التوكيد في الوقت نفسه تكرار نون التوكيد ست مرات (تعلمن - ليصعقن - ليدعن - ليقولن - فينظرن - لينظرن)، واقتربت نون التوكيد باللام الموطئة لجواب القسم في الفعل المضارع أربع مرات لتزيد في قوة التأكيد وقوة تحقق ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تسهم في تماسك النص.

٣,٣ تحليل الخطبة الثالثة^{٨٢}

يتجلى في هذه الخطبة ما أسست له الخطبة النبوية من بنية جديدة مفتوحة تتيح الحوار في أثناء نص الخطبة، ومن شأن ذلك أن يقوي جانب الإقناع عند المتلقين، وقد وردت هذه الخطبة في سياق التحذير من التنافس على الحياة الدنيا... وأن النعم قد تكون سبباً في جلب النعمة^{٨٣}

وقد دار الحجاج في هذه الخطبة حول قيام رجل من الصحابة بسؤال مؤداه: هل يمكن أن تؤدي بركات الأرض والمال وزهرة الدنيا التي هي خير ونعم إلى الشر؟ وكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن سكت فترة لزيادة تشويق الناس إلى الاستماع^{٨٤} باستفهام استنكاري حجاجي، وكرره ثلاث مرات محصّله أنه ليس خيراً لأن الخير لا يأتي إلا بالخير

ويمكن صياغة الهيكلية الحجاجية في الحديث النبوي على النحو الآتي:

المعطى: التحذير من زهرة الدنيا والأموال لأنها شر إذا أدت إلى الشر.

قانون العبور: بناء على ذلك يجب الحذر منها.

ن [—] النجاة.

ولكن هنالك حجة تفهم من سياق الحجة الأولى كالتالي:

المعطي: الترغيب في الدنيا واكتساب المال لأنها قد تكون خيراً إذا أدت إلى خير.

قانون العبور: بناء على ذلك يجب أن يأخذ من الدنيا وزهرتها بقدر إذا أدت إلى الخير.

ن [—] النجاة.

ولتقوية نتيجة الحجتين الظاهرة والمضمرة ضرب الرسول مثلاً محسوساً من الحياة الرعوية التي يعرفها كل المتلقين للخطبة، فشبّه المال بالعشب الأخضر الذي تأكله البهائم في الربيع، وأن بعضه قد يقتل الحيوان، أو يقربه من القتل إلا الناقة التي تأكل أكلاً خفيفاً فتتفخ ثم تجتر وتتخلص من الزائد من الطعام، حتى تستريح ثم تواصل طعامها.

وهذا التشبيه كان بمجمله معطي حجاجياً استثمار مبدأ حجاجياً هو الخبرة الرعوية المشتركة للسامعين

وقانون العبور لهذا المعطي: أنه لا ضير في كسب المال الخير، لأنه يكون نعم صاحب المسلم بشرط أخذه بحقه والإنفاق منه في سبيل الله واليتامى والمساكين.

وسوف تكون النتيجة الاستمتاع به في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وبناء على ذلك فقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم السؤال المشكل على الصحابي، وأعلمه أن الخير لا يأتي إلا بالخير وأن الشر لا يأتي إلا بالشر، فالربيع، وإن كان خيراً كما يعرف ذلك الناس، إلا أنه قد يقتل أو يقرب من القتل؛ ولأجل ذلك فإن الناقة التي تأكل منه قدر حاجتها ثم تتخلص من الزائد فلن يؤذيها، لكن الشره في الأكل قد يؤدي بالبهيمة إلى الموت، وكذلك المال الذي أسند إليه الخضره

والحلاوة (إن هذا المال خضرة حلوة) فكأنه هو هو العشب وأن الذي يشره في جمعه ويمنعه عن المستحقين قد حوله بعمله إلى شر؛ فسيؤدي به إلى الشر والعكس الصحيح، فالذي يأخذ منه ما ينفعه، وينفق منه سيتمتع بحلاوته وسيؤدي به إلى الخير، فالمدار في تحويل الأشياء المباحة إلى خير أو إلى شر هو طريقة استعمالها، وقد وصل الإقناع هنا غايته من خلال أمرين: الأول منهما فتح المجال لإمكانية الحوار في الخطبة النبوية، بل سؤال الرسول عن الرجل السائل أمام الناس ليجيبه، والثاني منهما ضرب المثل التقريبي وهو أسلوب قرآني يؤدي إلى الإقناع الشديد كما أن استعمال أسلوب الاستعارة في هذا المثل التقريبي يسهم في تكوثر الحجاج بحسب عبارة د. طه عبدالرحمن الذي يجعل الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربع لكل منها وظيفة خطابية متميزة: الذات المظهرة (بكسر الهاء)، والذات المؤولة (بكسر الواو المشددة)، و(الذات المضمرة) بكسر الميم و (الذات المبلغة) بكسر اللام المشددة... ثم إن الاستعارة هي أبلغ وجوه تقيد اللغة بمقام الكلام... الذي يتكون من المتكلم والمستمع ومن أنساقهما المعرفية والإرادية والتقديرية ومن علاقاتهما التفاعلية المختلفة... فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها^{٨٥}

وذلك يدلنا دلالة واضحة على امتلاك الرسول صلى الله عليه وسلم لوسائل الإقناع الحجاجي، واستعمالها المتميز في الخطبة النبوية.

٤, ٣ تحليل الخطبة الرابعة^{٨٦}

تمثل هذه الخطبة أهمية قصوى؛ لأنها جاءت في ظرف سياسي وظرف عسكري عصيب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي توضح في الرسول صلى الله عليه

وسلم جانباً من مقدرته المتميزة في حل المشكلات الكبيرة؛ لأجل ذلك فقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار سريعاً ليتأكد من مقاتلتهم حينما غضبوا؛ لأن الرسول أعطى قومه من الغنائم فأكثر فيهم ولم يعط الأنصار، وأوضح أنه قد بلغه حديثهم، وأوضح أن السبب هو تأليف بعض الناس على الإسلام، وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمر لا يستدعي ذكر السبب فحسب؛ بل لابد وضع العلاقة مع الأنصار بكاملها أمامهم ليزيد من فاعلية عملية الإقناع الحجاجي.

المعطى: تأليف قلوب بعض الناس ثم العطاء لهم.

قانون العبور ١: تقوية لإسلامهم.

ن [—] أما أنتم أيها الأنصار فإسلامكم قوي بل أنتم مؤمنون.

قانون العبور ٢: لا تحتاجون أن نعطيكم ما يتألفكم على الإسلام.

ن [—] الرضا بعدم الإعطاء.

ولكن الرضا بعدم الإعطاء قد يكون صعباً؛ فلأجل ذلك تتحول النتيجة إلى معطى حجاجي يتم إقناعهم عن طريق شرح علاقة الرسول بهم وفق تقديم تدرج في قانون العبور إلى الرضا يتخذ عدة مستويات على السلم الحجاجي على النحو الآتي:

علاقة الأنصار بالرسول صلى الله عليه وسلم

سأذهب أنا معكم والناس تذهب بالشاء والنعم والبعر	↑
لو سلك الناس وادياً لسلكت واديتكم	—
لولا الهجرة لكنت واحداً منكم	—
خصكم الله بأحسن الأسماء أنصار الله وأنصار رسوله	—
من الله عليكم بالإيمان	—

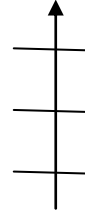
ن — [الرضا؛ وبناء على هذه الحجج التي قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في قانون العبور كان ردُّ الأنصار على الرسول صلى الله عليه وسلم بالرضا، ويمكن أن يُلاحظ أن الصورة البصرية لمقارنة عودة الرسول معهم، وعودة بقية الناس بالشاء والنعم والبعير هي صورة ساعدت كثيراً في اقتناعهم؛ إذ لا مجال للمقارنة أبداً، ويمكن تسمية هذا النمط من المقارنة الحجاجية بمقارنة (انتفاء المقارنة) وهي إحدى أهم الإستراتيجيات الحجاجية التي تؤدي إلى الاقتناع السريع، إذن فليس هنالك إلا الرضا والحبور بخاتم الأنبياء والمرسلين الذي يعود به الأنصار إلى ديارهم دون الناس.

بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتنع منهم بهذه الإجابة؛ إذ كان يريد منهم إجابة تشرح موقفهم بجلاء ليزيدهم إقناعاً، فما كان من الأنصار إلا أن ردوا على الرسول بما يؤكد رضاهم.

المعطى: اقتناع الأنصار بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم.

قانون العبور: يتخذ قانون العبور لهذا الاقتناع شكل سلم حجاجي.

وجدتنا ضاللاً فهدانا الله بك.
وجدتنا على شفا حفرة فأنقذنا الله بك.
وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور.



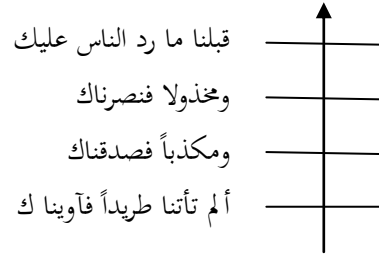
ن — [اصنع ما شئت في أوسع الحل.

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن لهم أنهم إذا أتوا بحجج أخرى تؤيد عدم رضاهم فسوف يصدّقهم أيضاً؛ مما يدل على أنه مدرك لموقفهم وكأنه واحد منهم؛ ولذا فإن الهيكل الحجاجية يمكن أن تتخذ هذا المنحى الافتراضي:

المعطي: عدم الاقتناع بإعطاء الناس من قريش وغيرهم وحرمان الأنصار.

قانون العبور: يتخذ سلماً حجاجياً على الشكل الآتي مع ملاحظة أن من صاغ هذا الحجاج لهم هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وضع بهذه الكيفية ليدل على أقصى حالات الاقتناع بموقفهم ولكن هنالك حالة أهم توجب عليه فعل ما فعل هي تبليغ رسالة ربه والحرص على إسلام بقية العرب.

ويمكن صياغة هذا السلم الحجاجي لقانون العبور على النحو الآتي:



إن السُّلم الحجاجي هو إحدى أكثر وسائل الإقناع قوة، وقد استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ليوضح أنه مقتنع بموقفهم، ولكن الشأن شأن آخر يتعلق برسالة السماء، وبناء على كل ذلك ما كان من الأنصار إلا الاقتناع التام بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم

ن — [بل لله ورسوله المن ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا ثم بكوا فكثروا بكاءً وبكى النبي صلى الله عليه وسلم معهم. إنه اقتناع تام تام فالأمر أمر رسالة للرسول صلى الله عليه وسلم فيها دور المبلِّغ، ولهم دور النصرة والفوز برضا الله.

وقد تبني الرسول في موقفه مع الأنصار ما يسمى بإستراتيجية الحجاج المضاد ولكن هذا الحجاج المضاد لم يستعمل بالطريقة التي تستعمل عادة في الحجاج من تبني وجهة الطرف الآخر المحاجج مؤقتاً للقيام بنقضها، وإنما كان حجاجاً مضاداً من نوع

خاص يهدف إلى تبني وجهة النظر الأخرى وتصديقها تماماً، بل تأييدها مع شرح المانع من العمل بمقتضاها في الوقت نفسه؛ مما يجعل الطرف الآخر يقتنع إذا علم الصدق والإدراك الحقيقي لشعوره ولوجهة نظره، ويجعله يتفهم ويتلمس أسباب القبول لوجهة النظر الأخرى، ويسمى د. طه عبدالرحمن هذا النوع من أنواع الحجاج بالحجاج التقويمي ويرى أنه يأتي في مرحلة أعلى من الحجاج التوجيهي عندما يظهر أن العلاقة الاستدلالية قد لا يوفي بتمامها الحجاج التوجيهي الذي يتضمن فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، أما الحجاج التقويمي فهو يقوم على إثبات الدعوى اعتماداً على قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه^٧، ويلمس د. طه عبدالرحمن هنا مسألة إعداد الحجاج حيث يقوم المستدل بوضع افتراضي لنفسه في مكان الطرف الآخر يجرد من نفسه متلقياً للحجة، وبناء على هذا التجريد يحاول أن يبني حجته بناء أقوى، ولكن ما هو موجود لدينا في هذه الخطبة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بحجة الأنصار المتوقعة مخبراً لهم بموافقة على حجته عارضاً الجانب الآخر لحجته؛ مما جعل الحجاج في هذه الخطبة يصل إلى درجة قصوى من الإقناع.

وتبغى الإشارة هنا مرة أخرى إلى دور البنية الجديدة في فتح إمكانية الحوار في الخطبة النبوية؛ إذ إن هذه الإمكانية تؤدي إلى مزيد من الاقتناع، وتعد تجديداً في بنية الخطبة العربية على وجه العموم، هذا إضافة إلى المكون الحجاجي للمقدمة حيث بدت الخطبة بحمد الله عز وجل.

٥, ٣ أنواع الحجاج في الخطب النبوية.

تظهر في نصوص الخطب التي اتخذها البحث أنموذجاً للحجاج في الخطب النبوية إستراتيجيات حجاجية، وأنواع من الحجج المختلفة، وحتى تكتمل أبعاد

الدراسة الحجاجية لابد من الإشارة إلى تلك الأنواع الحجاجية التي توفرت في النصوص المدروسة.

وبصفة عامة فإن نوعية الحجاج تعتمد على ناحيتين: الناحية الأولى هي قوة الحجة، وهو ذلك الحجاج الذي ينصب على مناقشة احتمالات النتيجة، والناحية الأخرى هي الحجة المعتمدة على الترغيب في النتيجة^{٨٨}، أو الترهيب من العواقب، ولعل هذا النوع هو ما تصنفه بعض الدراسات الحجاجية على أنه من الحجاج التحفيزي أو ما يسمى Motivational argument؛ لأنه يعتمد على العاطفة^{٨٩}، وعلى الرغم من تعدد الحجج واختلاف أنواع الحجاج، فإنه يمكن الإشارة إلى أربع تقنيات رئيسة تتكرر كثيراً في الحجاج، وتلك التقنيات الحجاجية هي كالتالي:

١- تقديم علة أو سبب أو تفسير.

٢- عمل مقارنة أو مشابهة.

٣- تقديم مثال أو شاهد.

٤- تسمية مصدر لسلطة ما^{٩٠}

ولو أنعمنا النظر في نصوص الخطب النبوية التي اتخذها البحث أنموذجاً للدراسة فإننا نجد أنها استعملت نوعي الحجاجي القوي المعتمد على بيان احتمالات النتيجة وفقاً لمقتضيات التفكير المتبصر، ونوع الحجاج التحفيزي المعتمد على الترغيب أو الترهيب، ليتناسب كل نوع مع أنواع المتلقين المختلفين؛ فالمقارنة في الخطبة الأولى بين الإخبار بهجوم خيل على قريش والإخبار بأن الرسول نذير بين يدي عذاب شديد هي مقارنة تستدعي التفكير والتبصر، وحينما يحاجج الرسول الأنصار في مسألة عدم إعطائهم من غنائم معركة حنين هو حجاج يعتمد على المقارنة بين الأنصار وبين غيرهم...

وفي الوقت نفسه فإن الترغيب بثواب الله والتحذير من عقابه في المقدمة الحجاجية في كل نص خطابي، إضافة إلى استعمال هذا الحجاج في أثناء الحجاج داخل النص يؤدي إلى تقوية الحجاج بشكل عام، وإلى شموليته لجميع المخاطبين؛ ولذا فإن الرسول في الخطبة الأولى يشير إلى الجنة والنار، وكذلك في الخطبة الثانية يشير إلى مسألة البعث والحساب، وإلى التقديم للنفس للحصول على ثواب الله والنجاة من عقابه، ومثل ذلك في الخطبة للأَنْصار فهو يشير إلى مكانتهم عنده وعند الله سبحانه وتعالى.

ولو أردنا أن نمثل لتقنيات الحجاج، أو أنواعه من خلال نصوص الخطب السابقة فسنجد حجاجاً بتسمية مصدر سلطة تمثل في التشديد على طاعة الله، والتحذير من مخالفة أمره، ويتضمن كل الحجاج النبوي دائماً التذكير بهذه السلطة الإلهية إن في المقدمة أو في أثناء الحجاج، كما نجد شكلاً من أشكال استعمال الحجاج بسلطة القول في الخطبة الأولى؛ حيث تم استعمال المثل العربي "عن الرائد لا يكذب أهله"، كما نجد الحجاج بذكر النتيجة أو الغاية في الخطبة الأولى "إنها الجنة أبداً أو النار أبداً"، وفي الخطبة الثانية "ثم ليقولنَّ له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه: ألم يأتك رسولي"، وفي الخطبة الثالثة "ويكون عليه شهيداً يوم القيامة"، وفي الخطبة الرابعة "أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والنعم والبعير وتذهبون برسول الله"

ونجد أيضاً حجاجاً بالتفسير أو الشرح في الخطبة الثالثة حين "قام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا يُوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرخضاء فقال: "أين السائل أنفاً أو خيراً هو - ثلاثاً - إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلُّ ما يُنبِت الربيع ما يقتل حَبَطاً، أو يُلْمُ إلا أكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس ثم اجترَّت فكلَّطَتْ؛ حيث أوضح له الرسول صلى الله

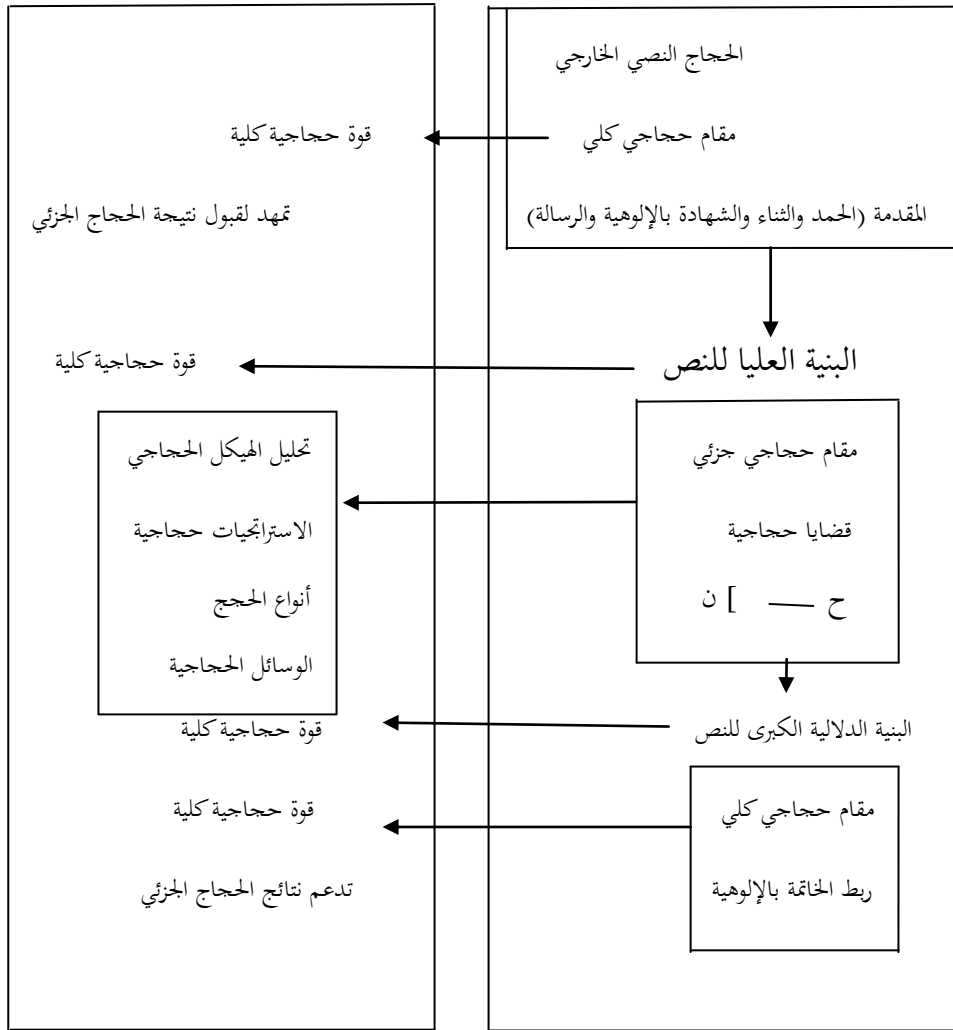
عليه وسلم أن المال قد يكون خيراً، كما قد يكون شراً بحسب استعمال الإنسان له، لكن الخير لا يأتي إلا بالخير، وأخبره أن كثيراً من الأمور قد يتوهم الناس أنها خير ولكن في الحقيقة قد يكون فيها شر، وهنا أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بحجج اعتمد فيه على مضارعة وتشبيه تمثيلي تصويري يستجلب الصورة بعناصرها المتعددة والمتحركة أمام المتلقي وكانت هذه الصورة البليغة أو **الحجج الاستعاري**^٩ أكثر تأثيراً في نفوس المتلقين؛ لأنه مأخوذ من الحياة الرعوية للبهائم التي ترعى من الربيع الذي قد يكون فيه حتفها.

إن الخطبة النبوية قد بلغت الغاية القصوى في المقدرة الحجاجية، ولا غرو في ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وأخطب العرب، كما أن الخطبة النبوية شكلت نموذجها الحجاجي الخاص بها الذي زادها قوة، على قوة وزادها نوراً على نور، ويمكن أن نجمل هذا النموذج بناء على ما تناوله هذا البحث من خلال الشكل الآتي:

أ نموذج الحجاج في الخطبة النبوية

التحليل الحجاجي للخطبة النبوية

التقسيم الحجاجي للخطبة النبوية



الخاتمة

لا ريب في أن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيد بتأييد الله وبوحيه، ولا شك أن النبوة مرتبة عظيمة لها خاصيتها...، بيد أن الخطاب النبوي لا بد وأنه قد استعمل أدوات الخطاب البشري لتبليغ الرسالة وللتأثير في الناس، ومن هنا كانت هذه الدراسة حول الحجاج في الخطب النبوية معتمدة على درس هذا الخطاب النبوي وفقاً لمبادئ وأساليب دراسة اللغة الطبيعية للناس؛ لتحلل الحجاج النبوي، ولتحاول إدراك شيء من سر عظمته وإعجازه...

وقد تطرق البحث للحجاج في الخطبة النبوية إلى الأيتوس الخطابي والمقابل خطابي وأهميتهما في الإقناع، ثم انتقل البحث إلى بيان المسار الحجاجي للخطبة النبوية، ثم قام البحث بتحليل حجاجي لبعض الخطب النبوية... أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي كالآتي:

أولاً: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك قدرة خطابية وحجاجية عظيمة جداً، وكان يملك معرفة بأبعاد السياق الاجتماعي والنفسي للمخاطبين؛ مما جعله يتمكن من إقناع الناس وتبليغ الرسالة.

ثانياً: أن الخطبة النبوية تميزت عن سائر الخطب في أنها رسمت البنية العليا للخطابة الإسلامية عموماً من خلال وضع المقدمة والخاتمة اللتين أدتا في الوقت نفسه وظيفة حجاجية تمثّلت في التذكير بالمبدأ الحجاجي الجديد الذي يختلف عن المبادئ الحجاجية في الجاهلية.

ثالثاً: أن الخطبة النبوية استطاعت أن تجدد في بنية الخطبة العليا وفي نص الخطابة بإدخال إمكانية الحوار مع الخطيب، وهذا التجديد في فتح الحوار الثنائي الجزئي في أثناء الخطبة كان ذا وظيفة حجاجية أسهمت في قوة إقناع الخطبة النبوية.

رابعاً: اتضح من خلال تحليل بعض الخطب النبوية أن الحجاج في الخطبة النبوية قد وجدت فيه أكثر أنواع الحجاج، كما اتضح أنه اعتمد في الحجاج على استعمال السلام الحجاجية؛ مما يعطي الحجاج في الخطبة النبوية قوة حجاجية كبيرة.

خامساً: اتضح من خلال تتبع بعض الروابط الحجاجية في نصوص الخطب المدروسة أن الروابط في الحجاج الذي يهتم بتحليل النص قد تختلف عن الروابط في الحجاج المعتمد على تحليل الجملة، ولأجل ذلك فقد عدنا القسم في بعض حالاته وعند اقترانه باللام الموطئة لجواب القسم رابطاً حجاجياً نصياً في اللغة العربية.

وأخيراً، فإن من المؤكد أن الدراسات الحجاجية في اللغة العربية لما نزل في البدايات، وأن هذه المحاولة البحثية لدراسة الحجاج النبوي لا يمكن أن تحيط بجميع جوانب الحجاج النبوي؛ لأجل ذلك فإن البحث من طموحه أن يكون حافراً ومشجعاً للباحثين في اللسانيات وفي البلاغة على الاهتمام بدراسات الحجاج في التراث العربي، وعلى وضع كثير من التساؤلات وكثير من القضايا أمام ناظرهم.

ملحق

نصوص الخطب النبوية المدروسة

الخطبة رقم (١) أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة:

" الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبُن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً^{٩٣}

الخطبة رقم (٢) أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة:

عن أبي سلمة قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم، تعلمن والله ليُصَعَقَنَّ أحدكم، ثم لَيَدَعَنَّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فَبَلَّغَكَ، وآتيتك مالا، وأفضلتُ عليك، فما قَدَّمتُ لنفسك؟ فينظرونَّ يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرونَّ قُدَّامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته.^{٩٣}

الخطبة رقم (٣)

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: "إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض" ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى... فقام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا يُوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرضاء فقال: "أين السائل آنفاً أو خيرٌ هو - ثلاثاً - إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلُّ ما يُنبِت الربيع ما يقتل حَبَطاً^{٩٨}، أو يُلْمُ إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس ثم اجتَرَّتْ فَتَلَطَّتْ^{٩٩} وبالت ثم رتعت. وإن هذا المال خَضِرَةٌ حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة"^{١٠٠}

الخطبة رقم (٤)

عن السائب بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الفيء الذي أفاءه الله بمجنين من غنائم هوازن فأحسن فأفشى في أهل قريش وغيرهم فغضبت الأنصار، فلما سمع بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أتاهاهم في منازلهم ثم قال: مَنْ كان ههنا من الأنصار فليخرج إلى رحله، ثم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم "فحمد الله عز وجل ثم قال: "يا معشر الأنصار قد بلغني من حديثكم في هذه المغام التي آثرتُ بها أناساً أتألفهم على الإسلام، لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم، وقد أدخل الله في قلوبهم الإسلام."

ثم قال: يا معشر الأنصار: ألم يُنِّ الله عليكم بالإيمان وخصَّكم بأحسن الأسماء: أنصار الله، وأنصار رسوله..، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والنعيم والبعر، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فلما سمعت الأنصار قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: رضينا.. فقال صلى الله عليه وسلم: أجيبوني فيما قلت."

فقلت الأنصار: يا رسول الله: وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضلّالاً فهدانا الله بك، قد رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فاصنع يا رسول الله ما شئت في أوسع الحل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله لو أجبتُموني بغير هذا القول لقلتُ صدقتُم، لو قلتُم: ألم تأتُنَا طريداً فأوينَاك، ومُكَدِّباً فصدقناك، ومُخَذَّولاً فنصرناك، وقبلنا ما رد الناس عليك، لو قلتُم هذا لصدقتم" فقالت الأنصار: بل لله ولرسوله المن، ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا، ثم بكوا فكثر بكاءهم، وبكى النبي صلى الله عليه وسلم معهم^{٩٧}.

الهوامش والتعليقات:

- ١ هذه الطريقة المخصصة التي تحكم مفهوم البلاغة العربية تشق أبواب البلاغة كلها البيان والمعاني والبدیع، فمعظم الوجوه في هذه الأبواب الثلاثة خاضعة لمبدأ العدول " وهذا يجعل البلاغة العربية قريبة من الحجاج كما هو في البلاغة الجديدة وتقنياتها كما يؤكد ذلك د. عبدالله صولة، ولكنه يستدرك على ذلك مجال البلاغة في جمود تقسيماتها وطغيان الهدف التعليمي والشواهد المتكررة عليها منذ الجرجاني مما يجعل الدرس البلاغي درسا متكلساً يكاد يَحْتَفِي فيه العمق الحجاجي لمفهوم البلاغة العربية، انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس، دار مسكيلاني، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٨٦
- ٢ انظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ص ٣٠٤ - ٣١٣.
- ٣ إن تردد مادة (حجج من الحجة) عشرين مرة بصيغ مختلفة في القرآن الكريم وما ذكر فيها من صور للحجاج القرآني يلحظ منه اقتراب مفهوم الحجاج في القرآن من مفهوم الحجاج في الدراسات اللسانية الحديثة، و من أهم الكتب التي تعرضت للحجاج في القرآن الكريم كتاب عبدالله صولة "الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية" وقد ظهرت طبعته الأولى عام ٢٠٠١، أما الطبعة الثانية فقد طبعت في ٢٠٠٧، وصدرت في بيروت عن دار الفارابي، ومكتبة المعرفة، وكلية الآداب بجامعة منوبة بتونس، وللاستزادة حول الحجاج وعلاقته بالبلاغة العربية وعلاقته بالقرآن الكريم، انظر:
 - عبدالله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، بيروت، دار الفارابي - كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة - دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص ١٦، ص ٢٢.
 - صابر الحباشة: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص (حجاجية المفردة القرآنية نموذجاً)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير د. حافظ إسماعيلي علوي، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠، ج ٤، ص ص ١٨٩ - ٢٠٣.
- ٤ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، (خطب)، مج ١، ص ص ٣٦٠ - ٣٦١.

- ٥ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (خطب)، ص ١٠٤.
- ٦ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، (خطب)، ج ١، ص ٢٤٣.
- ٧ عبد الرحيم الرحوني: الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، فاس، ٢٠٠٥، ص ١٣.
- ٨ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م، ص ص ٢٨-٢٩.
- ٩ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحه، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٥٤.
- ١٠ يمكن أن تحضر هنا شبهة رواية الحديث الشريف بالمعنى بشكل عام، والحقيقة أن هذه الشبهة قد تم تفنيدها عند أكثر من باحث وقد عرض لتلك البحوث الدكتور عيد بلبع، وأضاف إليها القيام بعملية مقارنة الهياكل الأسلوبية للأحاديث، وخرج إلى أنها ظاهر جزئية وضآلتها وانعدام أثرها، ولكنه لم يشر في نقده لهذه الشبهة إلى مسألة اختلاف النص وأثره في الرواية في المعنى إذ النص النبوي ليس حديثاً فمنه ما كان حديثاً قدسياً، ومنه ما كان وصايا، ومنه ما كان مواعظ، ومنه ما كان خطباً، ولا ريب أن دراسة البنية الهيكلية العليا لتلك النصوص قد يتضح منها اطراد بنى هيكلية معينة تؤيد الرواية باللفظ والمعنى معاً إضافة إلى أن الخطابة عادة ما يكون الحاضرين فيها أكثر والوضع المعد للتلقي فيها مهيباً للحفظ....، ولتفصل أكثر في هذه القضية انظر: عيد بلبع: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، القاهرة، بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ص ٧٥-١١٥.
- ١١ هنالك من يقدر عدد خطب الجمعة التي خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في عشر سنوات بأكثر من خمسمائة خطبة جمعة، لم يصلنا منها إلا عدد قليل لا يكاد يتجاوز بضعة خطب... انظر:
- فهد عامر الأحمد: أين ذهبت خطب الرسول، جريدة الرياض، ٩ محرم ١٤٣٣هـ - ٤ ديسمبر ٢٠١١م العدد 15868 .
- ١٢ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ٥٧.

١٣ اعتمد البحث في الرجوع إلى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وتتبع موضوعاتها وأعدادها وأساليبها على ثلاثة مراجع هي:

- محمد خليل الخطيب: إتحاف الأنام خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون تأريخ.
- إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

وقد جمع الكتاب الأول الخطب النبوية التي وصل عددها إلى ٥٧٥ خطبة في ستة عشر باباً بدأها بخطب الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد وانتهى بالخطب التي خطبها صلى الله عليه وسلم في مرضه، ويغلب عليه في ترتيب الخطب بعد ذلك ترتيب كتب الحديث فتراها مرتبة في باب للصلاة وآخر للزكاة وثالث لرمضان، ثم جعل أبواباً للإخلاص وللقرآن وللعلم وللتقوى ولصلة الرحم، وباباً سماه الخطب العامة وهي التي لم يجدها موضوع كما يقول، وخطب في المفردات، وخطب في آل البيت والصحابة، وخطب في الساعة وهذه العشوائية في ترتيب الخطب، يضاف إليها عدم الدقة في عزوها فهو يعزوها أحياناً بذكر صفحات المصدر والجزء الذي أخذ منه، وأحياناً يذكر المصدر من غير تحديد للصفحات، وأحياناً أخرى لا تجد عزواً للخطبة، فضلاً عن ذلك فإن توثيق المصادر لا يتبع التوثيق العلمي المتعارف عليه وليس في الكتاب أي فهرس للمصادر والمراجع كما يلحظ أن عدداً كبيراً منها ليست خطباً وإنما هي أحاديث أو وصايا.

أما الكتاب الثاني لمجدي محمد الشهاوي فقد كان أكثر دقة في تتبع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ويظهر أنه أشبه بتهذيب للكتاب الأول؛ إذ جمع ٢٥٤ خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر حرصاً في أن تكون خطباً لا أحاديث ولا وصايا، ولكنه لم يبينها على ترتيب محدد فقد بدأها بأول خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم في مكة، ثم أول خطبة في المدينة، ثم خطبته في أول جمعة، ثم حاول بعد ذلك أن يجعل عنواناً لكل خطبة دون الإشارة إلى مستند في ترتيب الموضوعات مثل: ذم الدنيا، الموت قادم، هدايا العمال غلول، تحريم زواج المتعة، الخلافة ثلاثون عاماً، اللسان والفرج... إلخ. وقد كان أكثر دقة في العزو وتوثيق المصادر إلا أن الكتاب خلا من فهرس للمصادر والمراجع.

ويأتي الكتاب الثالث لإبراهيم أبو شادي مركزاً على ناحية تتبع الصحيح من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وجه نقداً شديداً لمحمد خليل الخطيب، أخرج فيه من خطبه حوالي ٢١٨ خطبة، كما أوضح فيه خلطه بين ما كان خطبة وما كان حديثاً كما أوضح فيه قيمة كثير من الخطب من حيث درجة الصحة أو غير ذلك، واقتصر فيه فقط على الخطب الصحيحة والحسنة (انظر المقدمة ص ص ٦- ١٨)، وقد بلغت الخطب التي جمعها بحسب ترتيبه ٣٣٥ خطبة، ولكننا بعد حذف المكرر وحذف الأحاديث وجدناها تبلغ ٢٢١ خطبة فقط ومن الملاحظات الأخرى على صاحب الكتاب أنه لم يحسن ترتيب خطبه وكرر الخطب بأرقام مختلفة مع أنها خطبة واحدة من طرق متعددة، وأخطأ في الترقيم ما بعد الرقم ٩ جعله ١١ كما أدخل في الخطب بعض الأحاديث وبعضها أحاديث فيها (يا أيها الناس) أو (يا معشر اليهود) ونحو ذلك، انظر الخطبة رقم ٢٢ ص ٥٦، وانظر ص ٧٧، ص ٧٨، ص ٩١، ص ٩٢ وص ٩٤، ص ١٥١ وص ١٥٢ وص ١٥٣ وص ١٥٤، وص ١٥٥ وص ١٥٦ وص ١٥٨ إضافة إلى أنه يذكر أن الرسول خطب كما في صلاة الاستسقاء ويجعلها في تعداد الخطب دون أن يذكر نص الخطبة، انظر كذلك ص ٧٣، وص ٧٤، وص ٧٦، كما أنه يكرر بعض الأحاديث وبعض الخطب انظر ص ١٠٦، وص ١٢٣ كما أن كثيراً من الخطب إنما هي أجزاء أو جمل من خطب انظر ص ص ١٢١.

١٤ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، مرجع سابق، (حجج)، مج ٢، ص ٢٢٨.

١٥ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (حجج)، ص ٢٣٤.

١٦ المرجع السابق، (جدل)، ص ١٢٦١.

١٧ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مرجع سابق، (حجج)، ج ١، ص ١٥٦.

١٨ أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١، ص ٣١.

١٩ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، بدون تأريخ، ص ٥٠٦.

٢٠ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي: كتاب المعونة في الجدل، تحقيق وتقديم: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، المقدمة ص ٦٠.

ويبدو أن ما ذهب إليه د. عبدالمجيد صحيح من حيث اختصاص الجدل بأصول الفقه، وإلا فإنهم حتى في أصول الفقه يعرفونه بأنه: "الفتل للخصم عن مذهب إلى مذهب بطريق الحجة". انظر: - أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي ت ٥١٣: كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تأريخ، ص ١. وللإطلاع على مسائل الجدل وعلى لمحة تاريخية موجزة عن الجدل والمناظرة، انظر: ابن البناء المراكشي ت ٧٢١هـ: رسالة في الجدل بمقتضى قواعد الأصول، تحقيق د. محمد رفيع، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢١ باتريك شارود و دومينيك منغون: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠٠٨، ص ٦٨.

٢٢ للنظر في الفرق بين الحجة والبرهان المنطقي يمكن الاطلاع على: عبدالسلام عشير: الكفايات التواصلية (اللغة وتقنيات التعبير والتواصل)، المغرب، منشورات Top Editin، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م، ص ٢٢٠، وص ٢٢٨.

٢٣ يشير د. هـو النقاري إلى إمكانية تأسيس نظري للحجاج اعتماداً على المناظرة وآداب البحث عند الأصوليين؛ إذ يقول: "هي مادة صالحة اليوم لأن تستثمر في أعمال أصيلة تساهم في الاجتهادات المعاصرة التي تشرف على الحوار وعلى التواصل اللغوي بصفة عامة بمنظار منطقي" ينظر: هـو النقاري: منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، الرباط، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م، ص ٤٩٨.

٢٤. يمكن مقارنة تعريفات أخرى مختلفة للحجاج، انظر على سبيل المثال:

- طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٣٩٣.

- مليكة غبار وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦، ص ٣٩.

- أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص ٢١-٢٢.

- علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسكيلياني للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م، ص ١٥.

- محمد العبد: النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير: د. حافظ إسماعيلي علوي، عمان، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٤.
- ٢٥ شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف همودي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م، ص ٣٦٠.
- ٢٦ يمكن أن نجد هذه الإشارة إلى مرجعية الحجاج الاجتماعية، وإلى أنه يشمل المتلقين للنص اللغوي دون اشتراط أن يكون ذلك النص حوارياً في تعريف الحجاج بأنه "ممارسة لغوية اجتماعية عقلانية تهدف إلى تأييد رأي من الآراء أو دحضه، ويتألف من مجموعة من المضامين التي توجه لإقناع المتلقين"، انظر:
- Frans H. van Eemeren, Rob Grootendorst and Tjark Krugier: Handbook of Argumentation Theory, Foris Publications Holland - Foris Publications USA, 1987, p7
- ٢٧ إذا اعتبرنا الحجاج ظاهرة خطابية أمكن الاختيار بين أمرين: الأول أن كل كلام حجاجي حتماً؛ لأنه نتيجة ملموسة للتلفظ في مقام، وكل ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه... وتبديل نسق فكره... وتكون دراسة الحجاج دراسة نفسية لسانية أو اجتماعية لسانية. والثاني: أن بعض الخطابات فقط حجاجية، وينبغي البحث عن الحجاجية في طريقة تنظيم الخطابات، وهذا الموقف هو موقف النظريات الكلاسيكية للحجاج. ويتنقد د. عبدالرازق بنور الاتجاه الأول الذي يتبناه ديكر وبلانتين ويذهب إلى تأييد بيرلمان في أن للغة وظائف أخرى غير الوظيفة الحجاجية، انظر:
- كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، تونس، المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، ٢٠٠٨، ص ٣٤.
- عبدالرازق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨، ص ٤٦-٤٨.
- ٢٨ للنظر في علاقة الحجاج بالخطابة، وتطورات النظريات الحجاجية عند الغرب تاريخياً يمكن الاطلاع على: كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، مرجع سابق، ص ١٧-٢٦.

- ٢٩ انظر علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسيكلاني للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٨٨، ص ٣١، وقد رجعت إلى ترجمة عبدالقادر قنيني لخطابة أرسطو فلم أجده ذكر المصطلح بلفظه اليوناني ولكنه تطرق إلى صورة الخطيب وأخلاقه في أكثر من موضع، انظر:
- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨، ص ص ١٥ - ١٦ من قوله: "وقد يحصل الإقناع بالسّمات والطباع... إلى قوله: لأن الطباع أو السمت إذا جاز هذا التعبير، هو الذي يكاد يشكل الجزء الأنفع في الأدلة" وفي ص ص ٨٧ ٨٩ وهذه الصفحات هي الفصل الأول من المقالة الثانية وعنوانها (كيف تؤثر على فكر المخاطبين). ويمكن أن يكون ذلك عند الإشارة إلى أنواع التصديقات (الحجج)، وهو موجود أيضاً في ترجمة عبدالرحمن بدوي عند قوله: "فأما التصديقات التي نحتاج لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته..."
 - أرسطو: الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩، ص ١٠.
- والحاصل أن أرسطو إنما كان ينطلق في الخطابة من الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع، ويتوقف الإقناع عنده على ثلاثة أركان هي أولاً: أخلاق القائل وهو ما يسمى بحجة الإيتوس Ethos، وثانياً: تصدير السامع في حالة نفسية ما وهو ما يسمى بحجة الباتوس Pathos، وثالثاً: القول من حيث يثبت أو يبدو أنه يثبت وهي حجة اللوقس Logos أي الكلام و/أو العقل. انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات مرجع سابق، ص ٧١.
- ٣٠ أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٢.
- ٣١ البشير اليعكوبي: القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصان الحكائي والحجاجي نموذجاً)، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٦، ص ٢٢٨.
- ٣٢ المرجع السابق: الصفحة نفسها.
- ٣٣ علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، مرجع سابق، بتصرف، ص ٣٦.

٣٤ المرجع السابق: ص ٣٨.

٣٥ انظر الملحق: خطبة رقم (١)، ص ٤٥.

٣٦ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٢. وانظر بألفاظ متقاربة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ، ج ٨، ص ٧٣٧.

٣٧ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٧، وللتفصيل في تخريج هذا الحديث ما خرج به ابن كثير الذي أشار إلى أن في السند إرسالاً عن ابن جرير، ثم ذكر رواية أخرى مرسلة أيضاً ثم ذكر أنها مقوية للرواية الأولى، ومما يقوي هذه الرواية أنها أتت عن طريق حفاظ ثقات كابن كثير والبيهقي... أما مسألة التشريك في الضمير في لفظة (يعصهما) فقد ورد النهي الصريح عنها في حديث في صحيح مسلم، ولكنها جاءت باللفظ نفسه في حديث آخر صحيح وقد حاول النووي الجمع بين النهي والورود باحتمالات السياق واختلافها بين الأحاديث، انظر: أبو الفداء الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، الطبعة الأولى ١٩٦٦، ج ٣، ص ٢١٣، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨ م، مج ٦، ج ١١، ص ص ١٥٩ - ١٦٠.

٣٨ المرجع السابق، ص ٨.

٣٩ سعدية لكحل: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير مخطوطة في كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، بدون تاريخ، ص ص ٥٠ - ٥٣.

٤٠ المرجع السابق، ص ٥٤.

٤١ سورة الأنعام: آية ٨٣.

٤٢ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٩٨، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٢٠، وانظر كذلك: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج ٣، ج ٦، ص ١٥٣.

٤٣ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، الصفحة نفسها، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٥٤ و ١٣٤.

- ٤٤ المرجع السابق، ص ١٢٠، وانظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٣٥.
- ٤٥ هنالك عدة تعريفات للتماسك النصي يمكن الاطلاع عليها في المراجع الآتية:
- Hallidy, M.A.K., and R. Hasan. 1976. Cohesion in English. Longman, p4.
 - Ronald Carter and David Nunan: Introducing Discourse Analysis, Penguin Books, London, 1993. P21. P24.
 - فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٣٧.
 - شحدة فارح وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٢٠١.
 - محمد مفتاح: التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ص ٤٠ - ٤١.
- ٤٦ الترابط مصطلح لساني نصي يقصد به: ما ينتج من عمليات الربط المختلفة، وفيه يتحقق التماسك الشكلي والتماسك الدلالي تمهيداً للوصول إلى التماسك الكلي، انظر:
- إشكالات النص: جمعان بن عبد الكريم، المركز الثقافي العربي - النادي الأدبي في الرياض، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٥١.
- ويشير جمعان بن عبد الكريم ٢٠٠٩م إلى أن الترابط يحتاج ليتحقق كاملاً إلى عوامل خارج النص، وقد تم تلافي ذلك هنا بإدخال الترابط التداولي المتعلق بسياق النص ليكون جزءاً من مفهوم التماسك في هذا البحث.
- ٤٧ تون أ. فن دايك: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٢١٢.
- ٤٨ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ص ٣٣-٣٤.
- ٤٩ هذا الرمز - [هو رمز لعملية التركيب الحجاجي وتعني (ح) حجة أما (ن) فتعني نتيجة، وهذا الرمز يختلف عن علامة الاستلزام المنطقي التي يرمز لها بالرمز ->.

- ٥٠ أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٩، ص ٣٧.
- ٥١ انظر المرجع السابق، ص ٣٩.
- ٥٢ انظر كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ص ١٠٣-١٠٦، وقد جعل برينكر الأساس القيمي جزءاً من هيكلية الحجاج بشكل عام، وأضافه إلى مخطط تولمين في الحجاج، لأنه يعتقد أن الحجاج برمته يرتكز عليه، وعلى ذلك يمكن أن نقترح هنا أساسين قيميّين أحدهما عام كالمعتقد أو المذهب أو النظرية، والآخر أساس قيمي خاص يتعلق بعلاقة القضية الحجاجية بالأساس القيمي العام، فالإسلام أساس قيمي عام، والتولي يوم الزحف - على سبيل المثال - أساس قيمي فرعي أو خاص... وهلم جرا.
- ٥٣ انظر في ما ثبت من بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد والثناء في كل خطبه، والصيغة الصحيحة عنه في ذلك: إبراهيم أبو شادي، صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١١٩-١١٨، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج ٣، ج ٦، ص ١٥٦.
- ٥٤ انظر: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ١، ص ٤٠٤.
- ٥٥ انظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨ (بتر).
- ٥٦ محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.
- ٥٧ انظر المرجع السابق، ص ١٣٩.
- ٥٨ علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- ٥٩ أشار باختين إلى هذه الخاصية في النص الشفهي، وذكر أن النص الشفهي يتميز بثناء وتنوع غير محدود في جورناته (أنواع النصية وبناء العليا)؛ لأنه يحتوي على كل النشاطات البشرية التي لا تنضب، ولأن كل مجال من النشاطات يحتوي ويجمع تصانيف مختلفة من أنواع النصوص التي تستمر في الاختلاف وتنمو كمجال خاص يتطور ويصبح أكثر تعقيداً، انظر:

- M.M. Bakhtin: The Problem of Speech Genres

The Discourse Reader, Edited by Adam Jaworski and Nikolas Coupland, Routledge, London and New York, p 98.

٦٠ بتتبع الخطب الواردة في محمد خليل الخطيب (إتحاف الأنام) وفي كتاب إبراهيم أبو شادي (صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم) يمكن الإشارة إلى الحوارات الآتية:

أولاً: في كتاب إتحاف الأنام

- ١ - رأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً... ج ١، ص ١٨، ٢ - يا معشر قريش ما ترون أنني فاعل بكم... ج، ص ٢٦، ٣ - فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا فقال: إلا الإذخر... ج ١، ص ٣٠، ٤ -... فناده رجل نعجب منهم يا رسول الله... ج ١، ص ٣٠، ٥ - قيل يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال... ج ١، ص ٣١، ٦ - فقام رجل فقال: يا رسول الله أرايت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي... ج ١، ص ٣٢، ٧ - قال يا رسول الله كيف نصنع... ج ١، ص ٤١، ٨ -... قال: ألا تحيوني؟ قتلوا وماذا نجيبك يا رسول الله... ج ١، ص ٤٩، ٩ - قالوا: وم يا رسول الله... ج ١، ص ٧٥، ١٠ - أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون... فقام رجل... ج ١، ص ٧٥، ١١ - قالوا يا رسول الله أليس كلنا لا نجد ما يفطر الصائم... ج ١، ص ٨٢، ١٢ -... فقال رجل أكل عام يا رسول الله... ج ١، ص ٨٦، ١٣ - ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد... ج ١، ص ٩٠، ١٤ -... أتدرون أي يومكم هذا... أتدرون أي شهركم هذا... أتدرون أي بلد بلدكم هذا... ج ١، ص ٩٣، ١٥ -... فقال من شاء أن يقول: كيف تنقيه وهو أخفى من ديب النمل ج ١، ص ١٠١، ١٦ -... فقال بعض المجلس فكيف يا رسول الله بالمؤمنين والمؤمنات... ج ١، ص ١١٥، ١٧ -... قال فأتينا أعرابيا فرشونا برداء... ثم قلنا له سل النبي صلى الله عليه وسلم... ج ١، ص ١١٧، ١٨ -... فقام رجل فقال: يا رسول الله: أي الإسلام أفضل... ج ١، ص ١٤٢، ١٩ - فناديت رسول الله وكنت جريئة على كلامه، فقلت: يا رسول الله لم... ج ١، ص ١٦٤، ٢٠ -... فقام رجل، فقال إن فلانا ابني... قالوا: وما الأثلب... ج ١، ص ١٧٩، ٢١ - قال ك أتدرون ما الرقوب... قال أتدرون ما الصعلوك... قال: أتدرون ما الصرعة... ج ١، ص ١٩٠، ٢٢ - فقال رجل يا رسول الله إنا لنستحي... ج ١، ص ٢٠١، ٢٣ -... فقال أعرابي يا رسول الله ما بال الإبل...؟ ج ٢، ص ٩٧، ٢٤ - فقال ابن حوالة يا رسول الله إن أدركني الزمان... ج ٢، ص ٩٨، ٢٥ - قال: أيها الناس أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله... ج ٢، ص ١١١، ٢٦ -... ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم... ج ٢، ص ١٤٠.

ثانياً: في كتاب صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

- ١ - ... ألا هل بلغت قالوا: بلى يا رسول الله... ص ٦٣، ٢ - فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار...، قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين... ص ٨٠، ٣ - ... قال فقام الأقرع بن حابس فقال في كل عام يا رسول الله...، ص ٨٥، ٤ - أتدرون أي يوم هذا وأي شهر هذا وأي بلد هذا... ص ٨٥، ٥ - أتدرون أي يوم هذا قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه... ص ٨٧، ٦ - فقال يا رسول الله عندي جذعة خير من مستنة... ص ٨٨، ٧ - فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله خبرنا خبر قوم كأنما ولدوا اليوم... ص ٨٩، ٨ - قال رجل ورسول الله على المنبر ما يليس المحرم... ٩ - جاء رجل إلى النبي وهو يخطب على المنبر: أرأيت إن قتلت في سبيل الله... ص ٩٥، ١٠ - هل بلغت فقلنا نعم... ص ٩٦، ١١ - فقام إليه أبو بردة بن نيار... ص ١١٠، ١٢ - فقام رجل فقال: يا رسول الله أي الإسلام أفضل... فقال الرجل أو غيره أي الهجرة أفضل؟... ص ١١٣، ١٣ - فقال له رجل: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟... ص ١١٤، ١٤ - فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ألا تخبرنا ما هما؟... ص ١١٥، ١٥ - فقال رجل: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع... ص ١١٦، ١٦ - فقالوا: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع... ص ١١٨، ١٧ - أتى رجل النبي رجل وهو يخطب فقال: يا رسول الله رأيت البارحة فيما يرى النائم... ص ١١٨، ١٨ - فقال العباس إلا الإذخر... ص ١١٩، ١٩ - ... فقلت وإن زنى وسرق يا رسول الله... ص ١٣٠، ٢٠ - فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال يا رسول الله اكتب لي... ص ١٣٠، ٢١ - قالوا بم ذاك يا رسول الله... ص ١٣١، ٢٢ - فقال ها هنا أحد من بني فلان... ص ١٣٢، ٢٣ - ... وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل... ص ١٣٣، ٢٤ - ما تعدون الرقوب فيكم... قال فما تعدون الصرعة... ص ١٣٨، ٢٥ - ثم.. قال يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة... ص ١٣٩، ٢٦ - فقال الرجل: إنما قالها متعوذا... ص ١٤١، ٢٧ - أن أبا طلحة أتى النبي وهو على المنبر فقال... ص ١٤٦، ٢٨ - ...أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بالوادي... ص ١٥٢، ٢٩ - فقام رجل من الأنصار أسود كأني أنظر إليه فقال يا رسول الله اقبل عني عملك... ص ١٦٢.

٦١ انظر: باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة د. أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

- ٦٢ انظر: محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.
- ٦٣ انظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص ٣٤، وانظر أيضاً نماذج من خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي يغلب عليها السجع ومنها خطبته التي رواها الرسول صلى الله عليه وسلم في: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ص ٣٠٨ - ٣٠٩.
- ٦٤ وردت هذه العبارة في روايات كثيرة بألفاظ مختلفة منها ((إنه من أخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع))، ومنها سجع كسجع الأعراب، وكسجع الجاهلية، انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، مج ٦، ج ١، ص ١٧٧، وص ١٧٩، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، مصورة عن دار الطباعة العامة باستنبول، بدون تاريخ، مج ٣، ج ٧، ص ص ٢٧، ٢٨.
- ٦٥ انظر: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٨٧.
- ٦٦ المرجع السابق، ج ١، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
- ٦٧ قام د. محمد طروس بتقديم عرض موجز لستة عشر نموذجاً حجاجياً تتوزع ما بين نماذج بلاغية ومنطقية ولسانية، وتبلغ النماذج اللسانية منها أحد عشر نموذجاً... انظر: المرجع السابق: ص ص ١٤ - ١٦٦.
- ٦٨ تعد الروابط الحجاجية والسلام الحجاجية من أهم أركان نظرية أو نموذج ديكر و أنسكومبر، والروابط الحجاجي لا يقتصر على حروف العطف بل قد يشمل الظروف وأدوات الاستثناء وأدوات القصر وكل ما يربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة أو بعبارة أخرى هي التي تجعل دلالة الجمل في خدمة المقاصد الحجاجية... وهناك عدة أنماط من الروابط وهي: الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...)، والروابط المدرجة للنتائج، مثل: (إذن، لهذا، وبالتالي)، والروابط التي تدرج حججاً قوية، مثل (حتى، بل، لكن، لاسيما)، والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة، وروابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لا سيما...)، ويجب التفريق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية من ظروف وأدوات استثناء أو حتى أداة ربط يكون العامل الحجاجي هو ما كان داخل القول نفسه أو الحجة نفسها، ووظيفة العوامل الحجاجية هي القيام بمحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية لقول ما. أما السلام الحجاجية فنشأت عن أن القيمة الحجاجية

للمقول لا تنتج فقط من المعلومات التي يحملها، وإنما يمكن للجملة أن تستخدم صُرفاً أو عبارات أو صيغاً أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول... والسلم الحجاجي ركن أساسي عند ديكر و أنسكومبر لأنه يطبق التدرج في الجمل مما يسمح بالتلطيف أو بتعميق تصورنا لبعض الروابط؛ وبناء على ذلك فإن نظام الحجج القائم على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف يجعل الفئة الحجاجية منتظمة في سلم حجاجي، وبعبارة أوضح يمكن القول إن نظرية السلام الحجاجية تُبنى على تدرج الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج. ولم تسلم هذه النظرية من النقد العنيف، وقد أوضح د. عبدالرزاق بنور جوانب مهمة من ضعف هذه النظرية وإن أقر لها بالتميز في جانب السلام الحجاجية... وللمزيد حول هذه النظرية، وحول الروابط الحجاجية، والسلام الحجاجية انظر:

- أبو بكر العزواي: اللغة والحجاج، مرجع، سابق، ص ص ٣٢-٣٦.
- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مرجع سابق، ص ص ٩٤-١٠٦
- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مرجع سابق، ص ص ٣٦٣-٣٧٠، وص ٣٧٦.
- عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس - تونس، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ص ١٥-٣٥ وص ص ١٢١-١٢٩.
- عبدالرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص ٩١، وانظر النقد الموجه للنظرية بشكل كامل ص ص ٨٣-٩٦.
- جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠، ص ص ١٨٥-٢٠٩، وص ص ٢٩٣-٣٤٦.
- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأردن - إربد، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ص ٣٥-٣٨.
- ٦٩ انظر: أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠، ص ٥٩.
- ٧٠ انظر: تون. أ. فان دايك: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، مرجع سابق، ص ٨٤.

- ٧١ انظر: عبدالرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص ٦١، وص ٧٥، هامش رقم ٧٣، أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ١٧، وص ٢٩.
- ٧٢ انظر: أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ٢٩.
- ٧٣ انظر الخطبة الأولى في الملحق.
- ٧٤ يصنف عبدالله صولة القسم ضمن التوجيهات (Modalite) الإثباتية التي لها دور حجاجي يتمثل في توجيه المقول والقول معاً، ويقصد بالمقول موضوع الكلام، وبالقول مدى حضور الذات القائلة في كلامها... ويرى أن القسم حينما يثبت القضية ويوجبها يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها. انظر: عبدالله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ٣١٦، وص ٣٢٠.
- ٧٥ انظر: أبو بكر العزواي: الخطاب والحجاج، مرجع سابق، ص ص ٨٢-٨٧.
- ٧٦ عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ١٤٣.
- ٧٧ يطلق على التشبيه الذي يكون ذا وظيفة حجاجية مصطلح التشبيه الخطابى أو التشبيه التفسيري وهو كما يقول فرانسوا مورو: "يعتمد على مشابهة موضوعية وواقعية وعقلية قابلة لوضعها موضوع رقابة حواسنا وفكرنا، في حين أن التشبيه الشعري العاطفي... يعتمد على مشابهة ذات قيمة توحى بها إحساسنا وذاتيتنا"، بيد أنه يمكن القول إن التشبيه الخطابى لا يخلو من دفع عاطفي؛ إذ عادة ما يتم إدراك العلاقة بين المشبه والمشبّه به بالتعرف ثم الألفة أو عدمها ثم الدهشة والعجب كل ذلك يختلط بالفكر وعمل العقل. انظر: فرانسوا مورو: البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٣، ص ٥٥.
- ٧٨ يحسن هنا أن نشير إلى أن تصنيف القسم كرابط نصي وحجاجي في الوقت نفسه وذلك أن القسم يتميز في اللغة العربية برابطيته في ضوء النص لأن واو القسم فيها شيء من واو العطف، إضافة إلى أن تركيب القسم في اللغة العربية من أداة القسم الجار والمجاور أو حتى مع الجملة الفعلية وما يتعلق به من جواب للقسم أو لام موطئة للقسم تؤدي عملية ربط نصية أي ربط لما فوق الجملة، ومن المعلوم أن تركيب القسم لا يوجد في الغالب إلا في مقام حجاجي، لكل ذلك نرى أن القسم يؤدي إلى ربط حجاجي في إطار النص، وهذا التصنيف للقسم كرابط نصي حجاجي يأتي بناء على تقسم الروابط على النحو الآتي:

- الروابط الجملة، وهي روابط تعمل داخل الجملة.
- الروابط النصية وهي روابط تعمل داخل النص للربط بين الجمل وللربط بين الفقرات، وقد يكون بعض هذه الروابط مما يعمل في داخل الجملة ويعمل خارج الجملة للربط بين الجمل، وقد يكون مختصاً بالربط بين الجمل والفقرات فقط.
- الروابط المنطقية وهي تلك الروابط التي يحصرها المنطقيون للربط بين القضايا المنطقية ويقسمونها إلى رابط السلب^٥، ورابط الوصل^٦، ورابط الفصل^٧ ورابط الشرط^٨، وسوى ذلك من الروابط المنطقية، ولكن الروابط المنطقية لها وضع خاص تختلف فيه عن الروابط في اللغة الطبيعية، إذ قد يكون هنالك عدة روابط في اللغة الطبيعية يعبر عنها برابط الفصل في إطار تحليل القضايا المنطقية كما أن بعض الروابط لا يمكن أن تعد من الروابط المنطقية حتى وإن كانت ربطت بين جملتين فعلى سبيل المثال فإن جملة (١) ذهب خالد إلى البقالة لأن علياً بقي في المنزل، وجملة (٢) ذهب خالد إلى البقالة أو بقي علي في المنزل لا يمكن عد الربط ب (لأن) وب (أو) هنا ربطاً منطقياً؛ إذ في (١) لا تتحقق فيها قيمتا الصدق والكذب عن يمين ويسار الرابط لتحقيقاً منطقياً؛ فلو كانت الجملة (١) تعد حقيقة فيما قبل الرابط وحقيقة فيما بعد الرابط لكنها لا تحتاج لتكون حقيقة لذهاب خالد بسبب بقاء علي في البيت، أما في المثال (٢) فإن القضية غير كافية للتأسيس الحقيقة على هذا التركيب.
- الروابط الحجاجية بين الجمل وقد أشرنا إليها في الهامش رقم ٥٥، وهي التي تمحور حولها درس الحجاج اللساني وخصوصاً في اللغة الفرنسية في نموذج ديكر و أنسكومبر^٩، ويحسن التأكيد على أنها روابط في اللغة الطبيعية وليست في اللغة المنطقية، ولا تحلل بالطريقة ذاتها التي تحلل بها الروابط المنطقية بل يشار إلى دورها في ضوء الهيكلية الحجاجية وتقاس بناء على ذلك قوتها ودورها في قيمة الحجاج.
- الروابط الحجاجية النصية، وتشمل هذه الروابط الروابط الحجاجية بين الجمل والروابط الحجاجية بين عدة جمل أو بين الفقرات إذا كانت في نص حجاجي وتحمل توجهات حجاجية، وهذه الروابط لم تدرس درساً كافياً حتى الآن، وللاستزادة حول الروابط يمكن الاطلاع على المراجع الآتية:
- جمعان عبدالكريم: إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، بيروت، المركز الثقافي العربي - نادي الرياض الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ٢٠٠٩ م، ص ٢٥٩ - ٣٠٨.
- عادل فاخوري: المنطق الرياضي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، ص ١٥ - ٢٥.

- جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠، ص ص ١٨٥-٢٠٩.
- Ernest Lepore with Sam Cumming: Meaning and Argument (An Introduction Logic Through Language, Wiley-Black Well, Second Edition, 2009, p32.
- ٧٩ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٢.
- ٨٠ المرجع السابق: ص ١٥٣.
- ٨١ انظر نص الخطبة في الملحق.
- ٨٢ انظر نص الخطبة في الملحق.
- ٨٣ انظر: عاصم شحادة علي: علم اللغة النصي ودوره في شرح الحديث وفهمه: أحاديث الجهاد والسير في صحيح البخاري نموذجاً، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع ٢٩/٣٠، محرم ١٤٣٣هـ / ديسمبر ٢٠١١م، ص ٢٥.
- ٨٤ نلاحظ أن الرسول استعمل هذه الاستراتيجية في غير هذا الخطبة، وقد استعملها مرات عديدة، وهذه الاستراتيجية تجعل السامع مرتبطاً ارتباطاً قوياً بالمتكلم كما تجعله يتشوق لما بعد فترة الصمت مركزاً قواه الفكرية لفهمه واستيعابه... انظر على سبيل المثال في خطبة يوم النحر حين توالى فترات السكوت وطالت قليلاً عن المعتاد في المدة الزمنية للوقوف بين الجمل يقول الصحابي أبو بكر رضي الله عنه: "فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه..." ويكررها أكثر من مرة. انظر: إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٨٧.
- ٨٥ انظر: طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٢٣٢، و ص ص ٣١١-٣١٢.
- ٨٦ انظر نص الخطبة في الملحق.
- ٨٧ انظر: طه عبدالرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص ٢٢٨.
- ٨٨ انظر: Jan Renkema: Introduction Discourse Studies, 2004, John Benjamins B.v., Amsterdam, p 212

٨٩ انظر: Frans H. van Eemeren, Rob Grootendorst and Tjark Kruiger: Handbook Of Argumentation Theory.p187.

٩٠ Jan Renkema: Introduction Discourse Studies, 2004,p 212

٩١ تنشأ حجاجية التمثيل الاستعاري وقوته من التفاعل الحادث بين طرفي التمثيل وحدوث التقارب بينهما، بل يصل الأمر إلى حدوث التداخل بينهما الذي يؤدي إلى إكساب طرفي الموضوع قيمة إيجابية أو سلبية بحسب نوع التمثيل، وما يميز التمثيل الاستعاري حجاجياً أنه ليس علاقة مشابهة بل هو تشابه علاقة... انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٦١

٩٢ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٥. وانظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تأريخ، ج ٨، ص ٧٣٧.

٩٣ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٦. وانظر: عبدالرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ج ٤، ص ٢٣٩.

٩٤ الحبط: وجع بطن البعير من كلاً يستوبله أو من كلاً يكثر منه فتتفخ منه، فلا يخرج منها شيء، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٨٥٤ (حبط).

٩٥ الثلط: هو السلق الرقيق، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٨٥٣ (ثلط).

٩٦ إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١١٤، مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٩، محمد خليل الخطيب: إتحاف الأنام، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٩. وانظر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، مج ٣، ج ٧، ص ١٧٣.

٩٧ مجدي محمد الشهاوي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق ص ص ١٣٤-١٣٥. محمد خليل الخطيب: إتحاف الأنام، مرجع سابق، ج ١، ص ص ٤٩-٥٠. إبراهيم أبو شادي: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ١٥٦، وانظر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، مج ٢، ج ٥، ص ص ١٠٤-١٠٧.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والكتب المترجمة

- القرآن الكريم
- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م.
- أرسطو: الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م.
- الباجي، أبو الوليد: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة: صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، مصورة عن دار الطباعة العامة باستنبول، بدون تأريخ.
- برينكر، كلاوس: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ترجمة د. سعيد حسن مجري، القاهرة، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- بلاتان، كريستيان: الحجاج، ترجمة عبدالقادر المهيري، تونس، المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، ٢٠٠٨م.
- بلع، عيد: مقدمة في نظرية البلاغة النبوية (السياق وتوجيه دلالة النص)، القاهرة، بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.
- بنور، عبدالرزاق: جدل حول الخطابة والحجاج، تونس، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
- الحباشة، صابر: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص (حجاجية المفردة القرآنية نموذجاً)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير د. حافظ إسماعيلي علوي، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠م.

- الخطيب، محمد خليل: إتحاف الأنام خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، بدون تأريخ.
- الدهري، أمينة: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م، ١٤٣٢ هـ.
- الرحومني، عبدالرحيم: الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، فاس، ٢٠٠٥.
- سليم، عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- السهيلي، عبدالرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- أبو شادي، إبراهيم: صحيح خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- شارودو، باتريك: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة د. أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- شارودو، باتريك و دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠٠٨ م.
- الشبعان، علي: الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، تونس، مسيكلاني للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
- الشهاوي، مجدي محمد: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة، المكتبة التوفيقية، بدون تأريخ.
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي: كتاب المعونة في الجدل، تحقيق وتقديم: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- صولة، عبدالله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، بيروت، دار الفارابي - كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة - دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- صولة، عبدالله: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس، دار مسكيلياني، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م.
- طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- العبد، محمد: النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تحرير: د. حافظ إسماعيلي علوي، عمان، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ٢٠١٠م.
- عبدالرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت - الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- عبدالكريم، جمعان: إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، بيروت، المركز الثقافي العربي - نادي الرياض الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ٢٠٠٩م.
- العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
- العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح القدير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تأريخ.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- عشير، عبدالسلام: الكفايات التواصلية (اللغة وتقنيات التعبير والتواصل)، المغرب، منشورات Top Editin، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

- ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣): كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تأريخ.
- عمران، قدور: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأردن - إربد، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- غبار، مليكة وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.
- عادل فاخوري: المنطق الرياضي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- فارح، شحدة وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- فان دايك، تون أ.: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة د. سعيد حسن مجيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- فان دايك، تون أ.: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - بيروت، ٢٠٠٠م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
- المبخوت، شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م.
- المراكشي، ابن البناء: رسالة في الجدل بمقتضى قواعد الأصول، تحقيق د. محمد رفيع، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، طبعة مصورة عن طبعة مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- مفتاح، محمد: التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- موشر، جاك وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين مجدوب، تونس، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، ٢٠١٠م.
- مورو، فرانسوا: البلاغة (المدخل لدراسة الصور البيانية)، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٣م.
- الناجح، عز الدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس - تونس، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- النقاري، حمو: منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، الرباط، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- اليعكوبي، البشير: القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصان الحكائي والحجاجي نموذجاً)، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٦م.

ثانياً: الكتب العربية المخطوطة

- لكحل، سعدية: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير مخطوطة في كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، بدون تاريخ.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

- M.M.: The Problem of Speech Genres Bakhtin, The Discourse Reader, Edited by Adam Jaworski and Nikolas Coupland, Routledge, London and New York, Second edition 2006
- Carter, Ronald and David Nunan: Introducing Discourse Analysis, Penguin Books, London, 1993
- Eemeren, Frans H. van, Rob Grootendorst and Tjark Kruiger: Handbook of - Argumentation Theory, Foris Publications Holland - Foris Publications USA, 1987
- Hallidy, M.A.K., and R. Hasan. 1976. Cohesion in English. Longman
- Lepore, Ernest with Sam Cumming: Meaning and Argument (An Introduction Logic Through Language, Wiley-Black Well, Second Edition, 2009, p32.
- Renkema, Jan: Introduction Discourse Studies, 2004, John Benjamins B.v., Amsterdam

رابعاً: الدوريات

- الأحمدي، فهد عامر: أين ذهبت خطب الرسول، جريدة الرياض، ٩ محرم ١٤٣٣هـ - ٤ ديسمبر ٢٠١١م، العدد ١٥٨٦٨.
- علي، عاصم شحادة: علم اللغة النصي ودوره في شرح الحديث وفهمه: أحاديث الجهاد والسير في صحيح البخاري نموذجاً، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع ٢٩ / ٣٠، محرم ١٤٣٣هـ / ديسمبر ٢٠١١م.

Part III –Social Factors

	Never	Seldom	Some-times	Often	Always
30. My society encourages reading English books	1	2	3	4	5
31. I see my classmates reading English books and am encouraged to do so	1	2	3	4	5
32. Financial difficulties cause me to neglect my study	1	2	3	4	5
33. Frequent visitors (friends/relatives) interrupt my study	1	2	3	4	5

Acknowledgement:

The authors of this paper would like to thank the Deanship of Scientific Research at King Khalid University for funding this study under research number (KKU-LIN-11-009).

		Never	Seldom	Some-times	Often	Always
	20. When reading, I can distinguish readily between important and unimportant points	1	2	3	4	5
	21. I try to organize information in a systematic way	1	2	3	4	5
G. Effort	22. If I have trouble understanding material in the course, I ask my teacher	1	2	3	4	5
	23. If I have trouble understanding material in the course, I seek other material to help me	1	2	3	4	5
	24. If I have trouble understanding material in the course, I try to ignore it	1	2	3	4	5
H. Preparation for exam	25. I start to prepare for the exams right from the beginning of the term	1	2	3	4	5
	26. I start cramming just a few hours before the exam	1	2	3	4	5
	27. I usually get a good night's rest prior to a scheduled exam	1	2	3	4	5
	28. I understand the structure of different types of tests and am able to prepare for each type	1	2	3	4	5
	29. When I realize that tests are easy to pass, I don't study that much	1	2	3	4	5

Please read these questions carefully and tick the appropriate answers.

		Never	Seldom	Some-times	Often	Always
C. Punctuality and Participation	10. I come to my classes regularly	1	2	3	4	5
	11. I always come to my classes on time	1	2	3	4	5
	12. I volunteer answers to questions posed by instructors in the class	1	2	3	4	5
D. Concentration	13. I am satisfied with my level of concentration required for a task	1	2	3	4	5
	14. I attend my class without being attentive	1	2	3	4	5
	15. I read aloud to concentrate and understand	1	2	3	4	5
E. Memorization	16. I use the newly learnt words/structures in speech and writing	1	2	3	4	5
	17. I say the new words orally/aloud again and again to learn/ memorize them (not used in context)	1	2	3	4	5
	18. I memorize grammatical rules and definitions of terms without understanding them	1	2	3	4	5
Materials	19. I often study in a haphazard, disorganized way under the threat of the next test	1	2	3	4	5

- b. In the afternoon d. After mid-night

• **Time wasters/ Distracters**

6. How many hours do you spend with your friends every day for fun?
- a. None c. 3 hours-4 hours
b. 1 hour- 2 hours d. More than 4 hours
7. How many hours do you watch TV every day?
- a. I do not watch TV c. 3 hours- 4 hours daily
b. 1 hour- 2 hours daily d. More than 4 hours daily
8. How many hours do you surf the internet and use mobile phone for non-academic purposes?
- a. None c. 3 hour – 5 hours
b. 1 hour – 3 hours d. More than 5 hours a day

B. Preferred location

9. Where do you spend most of your time studying?
- a. At the library /university c. At a friend's house
b. Home d. Other places

Appendix

Dear Student,

The attached questionnaire has a number of questions related to your study habits. Please read the questions carefully before writing down your answers. We assure you that your answers will be treated confidentially and will be used for research purposes only.

Part I - Personal Information:

Please fill in the form below.

Student's Name (optional)

1. Sex:: ☐ Male ☐ Female
2. GPA (at university) a. Below 2 c. 3- 3.99
 b. 2 – 2.99 d. 4 - 5
3. Level: a. 3 & 4 c. 7 & 8 b. 5 & 6

Part II- General Study Habits:

Please circle the answer that best applies to you.

A. Time management:

- **The number of hours you spend studying per week**
4. How many hours do you study every day?
- a. Less than 1 hour c. I study only on the day before the exam
- b. More than 1 hour d. I study only in the week prior to the exam
- **Preferred time for studying**
5. At what time do you usually start your studies at home?
- a. Early in the morning c. In the evening

- Nonis, S.A. & Hudson, G.I. (2010). Performance of college students: impact of study time and study habits. *Journal of Education for Business*, 85, 229-238
- O'Hara, S. (2005). *Improving your study skills*, NJ: Wiley publishing, Inc.
- Okpala, A. O. & Comfort O. & Richard E.(2004). Academic efforts and study habits among students in a principles of macroeconomics course. *Journal of Education for Business*, 75(4), 219-224.
- Real, R. (2011). *Your quick guide to improving your learning ability*. Available at: eBook Lulu.com
- Vazquez, F. M. (2000). *Learning and study habits of United Arab Emirates sstudents*. (doctoral dissertation). Pennsylvania State University, USA.
- Wood, G. (2000). *How to study, use your personal learning style to help (second ed.)* New York: LearningExpress, LLC.
- Zimmers, P. J. (1917). *Teaching boys and girls how to study*. Wiscosin: The Parker Educational Co.

- Gliem, J. A., & Gliem, R. R. (2003). *Calculating, interpreting, and reporting Cronbach's Alpha reliability coefficient for Likert-Type scales*. 2003 Midwest Research to Practice Conference in Adult, Continuing, and Community Education. Columbus, OH: The Ohio State University.
- Harmer, J. (2003). *The practice of English language teaching*. Edinburgh: Pearson Education Limited.
- Hogan, T. P. & Hendrickson, E. (1983). *The study habits of adult college students* (a project funded by The Metropolitan Life Foundation), University of Wisconsin-Green Bay, Wisconsin 54301-7001.
- Hopper, C. H. (2010). *Practicing college learning strategies*. Belmont: Wadsworth Cengage Learning.
- Igun, S. E., & Adogbeji, O. B. (2007). Study Habits of Postgraduate Students in Selected Nigerian Universities. Abraka, Nigeria, *Library Philosophy and Practice* .
- Kaur, S. & Thiagarajah, R. (2000). *The English reading habits of ELLS students in University Science Malaysia*. Retrieved March 20, 2012 from: <http://ultibase.rmit.edu.au/Articles/may200/thyiag1.htm>.
- Kornhauser, A. W. (1993). *How to study—suggestions for high school and college students*. Chicago and London: The University of Chicago Press.
- Magno, C. (2010). Predicting grades in mathematics and English through study habits. *The international Journal of Research and Review*, 5, 40-50.

Universities, The Open University of Hong Kong, Hong Kong SAR, China

- Chaudhry, A. H. (2006). Effect of guidance services on study attitudes, study habits and academic achievement of secondary school students, *Bulletin of Education and Research*, 28 (1),35-45
- Çolak, A. (2008). *Attitudes, motivation and study habits of English Language learners: the case of Başkent University second year students*, M.A. Thesis, Graduate School of Social Sciences, Middle East Technical University.
- Cook, C., & Heat, F. M. (2001). Users' Perceptions of Library Service Quality: *A LibQUAL+ TM Qualitative Interview Study*. *Library Trends* , 548-84.
- Crede, M. & Kuncel, N. R. (2008), Study habits, skills, and attitudes: the third pillar supporting collegiate academic performance. *Perspectives on Psychological Science*, 2 (6),425-453.
- Ellis, R.(1986). *Understanding second language acquisition*. Oxford: Oxford University Press.
- Franklin, F. A.(2006), *Study habits of undergraduate education students*, M.A. Thesis, College of Education, University of Houston.
- Garcia, E. (2006). *Supplemental instruction, study habits, and the community college student*. (doctoral dissertation). Florida International University, USA.

References:

- Afful-Broni, A. & Mawusi, H. (2010). Study habits as predictors of academic performance: a case study of students at Zoin Girls Senior High School, Winneba, Ghana. *Global Journal of Educational Research*, 9 (1-2),57-63.
- Aquino, L. B. (2011). Study habits and attitudes of freshmen students: implications for academic interventions programs. *Journal of Language Teaching and Research*, 2(5),1116-1121.
- Azikiwe, U. (1998). Study approaches of university students. *WCCI Region II Forum. Vol. 2, Lagos*. p.106-114.
- Bailey, P. D. & Onwuegbuzie, A. J. (2001), Unsuccessful study habits in foreign language courses, *Paper Presented at the Annual Meeting of the Mid-South Educational Research Association* , Little Rock, AR, November14,2001.
- Bajwa, N. & Gujjar, A.A. & Shaheen, G. & Ramzan M. (2011) A comparative study of the study habits of the students from formal and non-formal systems of education in Pakistan. *International Journal of Business and Social Science*, 2 (14),157-168
- Chan, M. S.C. & Yum, J.C.K. & Fan, R. Y. K. & Jegede, O. & Taplin, M. (1999) Comparison of the study habits and preferences of high achieving and low achieving open university students, *Paper Presented at the 13th Annual Conference of the Asian Association of Open*

but a little unconventional, way to motivate the students would be encouraging them read beyond and around the syllabi. If a student grows the flair for reading he would probably naturally start developing his study skills and would also be able to practically apply the suggestions of the teacher into practice regarding study skills and proper habit towards study. Another way would be giving tests, both surprise and announced. However, the teacher should be careful regarding this since too many tests may rather create a mechanized environment and might create disinterest/boredom towards learning. Once the students build up effective study habits, learning or achievement becomes easy for them; they start to work smarter for a specific period rather than studying harder all the time.

study habits and how to improve study habits and academic performance.

It is normal that different students will have different study habits. If the teachers give their students guidelines about how to study well and in the most effective way, the students surely would be able to improve their level of achievement. Humanistic teaching could be a solution in this regard. Teachers should try to find out the students' strengths and weaknesses in their studies through student counseling. When a teacher finds a student getting bad grade in the exam or admitting having trouble preparing properly for the tests, he/she can arrange a special appointment with the particular student to enquire about the student's study habits. The teacher can give necessary suggestions as to how the student can improve his/her level of achievement by cultivating effective study habits and later should observe whether the suggestions are being followed or not. Also, the two interdependent factors, motivation and attitude can play a vital role in fostering effective study habits in the students. According to Rod Ellis, "Motivation and attitudes are important factors, which help to determine the level of proficiency achieved by different learners." (1986:118) Jeremy Harmer states, "The motivation that brings students to the task of learning English can be affected and influenced by the attitude of a number of people." According to him, "The society we live in", "Significant others", "The teacher", "The method", are the "sources of motivation". (2003: 51, 52) Apart from the motivation, extrinsic or intrinsic, provided by others the students should also have positive attitude; they should always aspire for achieving success in language learning. One easy,

authors of this paper would like to suggest the following: First, to increase the number of hours students study every day and to engage them in studying activities; it is advisable to give students quizzes and assignments on weekly basis. Second, this study shows that peers encouragement has a positive correlation with effective study habits; therefore teachers can involve students in collaborative learning activities which can be implemented through the use of the e-learning facilities provided by the university. Third, teachers have to use a variety of teaching techniques and encourage students to participate in classroom activities and help them become autonomous learners. Fourth, this study also shows that society encouragement has a positive correlation with effective study habits; therefore the college can start extracurricular activities which can be achieved by establishing partnership with parents and influential communities. And students can also be appointed to different roles in community services. Parents should also be involved into extended extracurricular activities so that the bonding between the community and the university grows and parents feel engaged in the endeavours of their sons and daughters. Fifth, the university, through the Deanship of Students' Affairs, should provide the financial assistance to students who face serious financial difficulties in their domestic affairs. Sixth, it is important to focus on the role of libraries in establishing effective study habits, and it is also the responsibility of faculty members to motivate their students for the effective use of the library. Finally, as it is the case with other studies (Afful-Broni and Mawusi, 2010 & Aquino, 2011), it is necessary to provide students with counseling and guidance services through open forums, workshops and seminars on

that “your brain needs to sleep properly for the memories to be encoded in your neurons. You need to reduce your mental stress.” (Real, 2011). Second, 28.9% of the students sometimes ask their teacher when they have trouble understanding material in the course and 30.5% sometimes seek other material to help them if they have trouble understanding the material in the course. Third, students who come to their classes regularly on time and volunteer to participate in classroom activities were better achievers than their counterparts. Fourth, concerning the relationship between study habits and social factors, the results indicate that there is a negative correlation between the number of hours students study everyday and financial difficulties. In addition, a highly significant correlation exists between peers encouragement and the number of hours students study every day. Fifth, there is a highly significant correlation between punctuality and participation, memorization, effort, preparation for exam and society and peers encouragement.

Sixth, regarding the use of the library, Cook & Heat (2001) state that libraries play a particularly important role, serving as a home away from home for the length of the academic day. The present study shows that the overwhelming majority of students (88.9% Table-5) prefer to study at home whereas only 1.8% of the students use the university library for study. The obtained data analysis is significant and may be interpreted in two ways. Either the library is not an ideal place for study or the students are not properly familiarized to its use.

Based on the findings of this study and keeping in mind the significance of improving students' study habits, the

Concerning the relationship between study habits and social factors, the results indicate that there is a negative correlation between the number of hours students study everyday and financial difficulties. This means that financial difficulties have a negative effect on the number of hours students study a day. Also, there is a significant correlation between frequent visitors (friends/relatives) and the number of hours students spend with friends for fun every day. In addition, a highly significant correlation exists between peers encouragement and the number of hours students study every day.

Furthermore, there is a highly significant correlation between society and peers encouragement and certain study habits such as punctuality and participation, memorization, effort and preparation for exam.

Conclusion and Suggestions:

The importance of study habits stems from the fact that a high positive correlation exists between study habits and academic achievement. Furthermore, knowing the study habits of students is a helpful tool in predicting students' performance. Teachers and academic advisers can develop a plan for the purpose of helping students change their study habits and subsequently enhance their academic performance.

This study came to a number of conclusions: First, only 23.9% of the students study more than one hour a day. This means that the majority of students study in a haphazard, disorganized way and they study just a day or a week before exams. Real (2011) states that cramming the night before the exam will put the brain at a big disadvantage . He maintains

GPA, number of hours students spend with friends for fun every day, punctuality and participation, concentration, effort and preparation for exam. Therefore, it can be safely said that the consistency of female students towards their study behavior resulted in their higher achievement in contrast to the male students. Female students surf the internet and use mobile phone for non-academic purposes more than the males. Male students study a day before the exam, whereas female students study on regular basis. Nonis & Hudson (2010) came to a similar conclusion in terms of quantitative management of time by male and female students for study but they have further argued that studying may not simply be a quantity issue; there are qualitative techniques, such as good study habits, that can make study time more effective for students.

Regarding the relationship between students' GPA and their general study habits, it is established in the present study that there is a high correlation between punctuality, participation and GPA. This means that students who come to their classes regularly on time and participate in classroom activities were better achievers than other students. It is significant to mention that Chaudhry (2006), Eileen Garcia (2006), and Crede & Kuncel (2008) found a positive relationship between study habits and academic success. However, Fuente et. al. (2009), who measured study habits from a behavioral and organizational perspective (place, type of room, study conditions, aloneness, library usage) and study planning habits (fixed schedule, study plan, minimum amount of study time per week) agreed that behaviors referring to study habits and academic performance are interdependent.

Responses about punctuality and participation show that 43.6% of the students are always interested in attending the classes regularly, 42.7% always come to classes on time and 45.9% sometimes volunteer to answer questions posed by instructors in the class. Also, the results of this study show that there is a positive correlation between achievement, punctuality and participation. It is, therefore, the responsibility of the English teacher to introduce such interactive activities in the classroom that ensure students' participation and subsequently pave the way for their punctuality.

The response of the highest percentage of students to 'effort' shows that 28.9% sometimes ask their teacher when they have trouble understanding material in the course, 30.5% sometimes seek other material to help them if they have trouble understanding the material in the course.

Concerning preparation for the exam, results indicate that 27.5% of the students (23.6% less than an hour a day regularly and 23.9% more than an hour a day regularly) sometimes start to prepare for the exams right from the beginning of the semester. 29.3% sometimes start cramming just a few hours before the exam. 42% sometimes understand the structure of different types of tests and are able to prepare for each type and 29.1% don't study that much probably because they believe that exams are not challenging and therefore easy to pass.

In contrast to female students, male students study for more hours every day. Male students watch TV for more hours every day in contrast to their female counterparts. There was also a significant difference in favor of female students in

5. Discussion:

Responses of participants reveal that the GPA of 42.5% of the students is below the average. This can be attributed to the students' bad study habits. For instance, only 23.9% of the students study more than one hour a day while majority of them study just a day or a week before exams. Furthermore, 51.6 % of the students prefer to study in the evening. Concerning this issue, Real (2011) mentions that “by starting your studies early, and reviewing what you’ve learned, you have a much better chance of remembering and understanding what you need to know when you face a big exam.” Also, Hopper (2010) states that “an hour of study during the day may take an hour and a half at night.” (Hopper,2010, 3)

As for time wasters, data analysis shows that 42.5% of the students spend 1-2 hours daily with friends for fun. 49.3% watch TV for 1-2 hours a day and 46.4% surf the internet and use mobile phone for non-academic purposes for 1-3 hours a day. Concerning the preferred location for study, the results show that 88.9% of the students study at home. His research shows “that students who study with someone routinely make better grades. Yet studying in a group or with a partner can sometimes become too social. It is important to stay focused. (Hopper,2010, 3).

Regarding concentration, participants responses indicate that 37.7% of the students sometimes attend their classes without being attentive. It is important to use various techniques in the classroom such as comprehension checks, conversational activities and discussions in order to draw the attention of the students and help them focus on the learning tasks.

English books and am encouraged to do so], and factor 3 [financial difficulties cause me to neglect my study].

Table 19: The relationship between study habits and selected social factors (Part –B)

Factor		Punctuality and Participation	Concentration	Memorization	Course materials Organization	Effort	Preparation for exam
Factor 1***	Pearson Correlation	.204**	.064	.099*	.038	.215**	.202**
	Sig. (2-tailed)	.000	.181	.039	.426	.000	.000
	N	440	440	440	440	440	440
Factor 2***	Pearson Correlation	.188**	.132**	.097*	.032	.197**	.183**
	Sig. (2-tailed)	.000	.006	.042	.506	.000	.000
	N	440	440	440	440	440	440
Factor 3***	Pearson Correlation	-.054-	.071	.029	.061	.160**	.161**
	Sig. (2-tailed)	.255	.137	.539	.204	.001	.001
	N	440	440	440	440	440	440
Factor 4***	Pearson Correlation	.011	-.035-	.189**	.056	.014	-.095*
	Sig. (2-tailed)	.821	.462	.000	.242	.774	.046
	N	440	440	440	440	440	440

*Correlation is significant at 0.05 level

**Correlation is significant at 0.01 level

*** Factor 1, 2, 3 and 4 mean the students' responses to the following questionnaire items:

Factor 1: My society encourages reading English books.

Factor 2: I see my classmates reading English books and am encouraged to do so.

Factor 3: Financial difficulties cause me to neglect my study.

Factor 4: Frequent visitors (friends/relatives) interrupt my study.

Table-19 below shows relationships between social factors and some other aspects of study habits. There is a highly significant correlation between punctuality and participation and factor 1 [my society encourages reading English books] and factor 2 [I see my classmates reading English books and am encouraged to do so] ($P < 0.01$).

- Concentration has a highly significant correlation with factor 2 [I see my classmates reading English books and am encouraged to do so] ($P < 0.01$).
- Memorization has significant correlation with factor 1 [my society encourages reading English books] and 2 [I see my classmates reading English books and am encouraged to do so] ($P < 0.05$).
- Effort has a highly significant correlation with factor 1 [My society encourages reading English books], factor 2 [I see my classmates reading English books and am encouraged to do so], and factor 3 [financial difficulties cause me to neglect my study] ($P < 0.01$).
- Preparation for exam has significant negative correlation with factor 4 [frequent visitors (friends/relatives) interrupt my study], and a highly positive significant correlation with factors factor 1 [my society encourages reading English books], factor 2 [I see my classmates reading

Table 18: The relationship between study habits and selected social factors
(Part –A)

			Factor 1***	Factor 2***	Factor 3***	Factor 4***
Spearman's rho	Study hours	Pearson Correlation	-.080-	-.090-	-.098*	.041
		Sig. (2-tailed)	.096	.061	.041	.395
		N	440	440	440	440
	Study time	Pearson Correlation	.036	.085	.143**	-.005-
		Sig. (2-tailed)	.457	.076	.003	.922
		N	440	440	440	440
	With friends	Pearson Correlation	.133**	.124**	.063	.099*
		Sig. (2-tailed)	.005	.009	.186	.038
		N	440	440	440	440
	TV	Pearson Correlation	-.183**	-.024-	-.018-	-.001-
		Sig. (2-tailed)	.000	.621	.699	.981
		N	440	440	440	440
	Internet/ Mobile	Pearson Correlation	.011	-.035-	.028	.070
		Sig. (2-tailed)	.823	.470	.556	.145
		N	440	440	440	440
	Location	Pearson Correlation	.033	-.012-	.078	.059
		Sig. (2-tailed)	.493	.798	.103	.218
		N	440	440	440	440

Item		GPA
Course materials Organization	Correlation Coefficient	.012
	Sig. (2-tailed)	.800
	N	440
Effort	Correlation Coefficient	.089
	Sig. (2-tailed)	.063
	N	440
Preparation for exam	Correlation Coefficient	.041
	Sig. (2-tailed)	.387
	N	440

* Correlation is significant at 0.05 level

** Correlation is significant at 0.01 level

The fourth research question is about the relationship between study habits and social factors, table-18 below shows the following results:

- There is a negative correlation between study hours and factor 3 ($P < 0.05$). (financial difficulties cause me to neglect my study) . This means that financial difficulties have a negative effect on the number of hours students study a day.
- There is a significant correlation between number of hours students spend with friends for fun every day and factor 4 (frequent visitors (friends/relatives) interrupt my study) ($P < 0.05$) and a highly significant correlation with factor 2 (I see my classmates reading English books and am encouraged to do so) ($P < 0.01$).

The General Study Habits of Major EFL Students ...

	Punctuality	Concentration	Memorization	Organization of Course materials	Effort	Preparation for exam
Mann-Whitney U	1.359E4	2.069E4	2.224E4	2.370E4	1.596E4	1.951E4
Wilcoxon W	3.768E4	4.478E4	4.633E4	4.824E4	4.005E4	4.360E4
Z	-8.075-	-2.664-	-1.484-	-.376-	-6.249-	-3.537-
Asymp. Sig. (2-tailed)	.000	.008	.138	.707	.000	.000

The third research question is about the relationship between students' GPA and their general study habits. It is evident from table-17 below that there is only a correlation between punctuality and GPA (at 0.01 level of significance).

Table 17: Correlation coefficient between GPA and general study habits

Item		GPA
Punctuality	Correlation Coefficient	.252**
	Sig. (2-tailed)	.000
	N	440
Concentration	Correlation Coefficient	.089
	Sig. (2-tailed)	.063
	N	440
Memorization	Correlation Coefficient	.005
	Sig. (2-tailed)	.920
	N	440

Table 15: The differences in study habits between male and female students (Part- B)

	Sex	N	Mean Rank	Sum of Ranks
Punctuality and Practice	Male	219	172.03	37675.50
	Female	221	268.53	59344.50
	Total	440		
Concentration	Male	219	204.47	44779.00
	Female	221	236.38	52241.00
	Total	440		
Memorization	Male	219	211.56	46332.50
	Female	221	229.36	50687.50
	Total	440		
Course materials Organization	Male	219	222.76	48784.50
	Female	221	218.26	48235.50
	Total	440		
Effort	Male	219	182.89	40052.00
	Female	221	257.77	56968.00
	Total	440		
Preparation for exam	Male	219	199.10	43602.00
	Female	221	241.71	53418.00
	Total	440		

Table 16: The differences in study habits between male and female students (Part- B)

Table 14: The differences in study habits between male and female students (Part- A)

	Study hours	Study time	With friends	TV	Internet/ Mobile	Location
Mann-Whitney U	21081.500	2.400E4	20630.500	1.745E4	21520.000	2.404E4
Wilcoxon W	45612.500	4.853E4	44720.500	4.198E4	45610.000	4.813E4
Z	-2.417-	-.160-	-2.834-	-5.451-	-2.148-	-.214-
Asymp. Sig. (2-tailed)	.016	.873	.005	.000	.032	.831

Also, as shown in tables 15 and 16 below, the following differences appear between male and female students:

- There is a significant difference in favor of female students (at 0.01 level of significance) in punctuality and participation. The mean rank for female students is 268.53 whereas the mean rank for male students is 172.03.
- There is a significant difference in favor of female students (at 0.01 level of significance) in concentration. The mean rank for female students is 236.38 whereas the mean rank for male students is 204.47.
- There is a significant difference in favor of female students (at 0.01 level of significance) in effort. The mean rank for female students is 257.77 whereas the mean rank for male students is 182.89.
- There is a significant difference in favor of female students (at 0.01 level of significance) in preparation for exam. The mean rank for female students is 241.71 whereas the mean rank for male students is 199.10. Male students study a day before the exam, whereas female students study on regular basis.

Table 13: The differences in study habits between male and female students (Part –A)

Variable	Sex	N	Mean Rank	Sum of Ranks
Time for study	Male	219	234.74	51407.50
	female	221	206.39	45612.50
	Total	440		
Preferred time for study (Time of the day)	Male	219	221.40	48486.00
	female	221	219.61	48534.00
	Total	440		
Number of hours students spend with friends for fun every day.	Male	219	204.20	44720.50
	female	221	236.65	52299.50
	Total	440		
Number of hours students watch TV every day	Male	219	251.32	55040.00
	female	221	189.95	41980.00
	Total	440		
Number of hours students surf the internet and use mobile phone for non-academic purposes	Male	219	208.26	45610.00
	Female	221	232.62	51410.00
	Total	440		
Preferred location	Male	219	219.79	48134.00
	female	221	221.20	48886.00
	Total	440		

Table 12: Difference in GPA between male and female students

Sex	N	GPA Mean Rank	Mann-Whitney U	1.413E4
male	219	174.54	Wilcoxon W	3.822E4
female	221	266.04	Z	-8.133-
Total	440		Asymp. Sig. (2-tailed)	.000

Also tables–13 and 14 below, the following differences between male and female students:

- There is a significant difference in favor of male students (at 0.05 level of significance) in the number of hours they study every day. The mean rank for the male students is 234.74 whereas the mean rank for the female students is 206.39. On the other hand, there is a significant difference in favor of female students (at 0.01 level of significance) in the number of hours they spend with friends for fun every day. The mean rank for the female students is 236.65 whereas the mean rank for the male students is 204.20.
- There is a significant difference in favor of male students (at 0.01 level of significance) in the number of hours students watch TV every day. The mean rank for the male students is 251.32 whereas the mean rank for the female students is 189.95.
- There is a significant difference in favor of female students (at 0.05 level of significance) in the number of hours students surf the internet and use mobile phone for non-academic purposes. The mean rank for the female students is 232.62 whereas the mean rank for the male students is 208.26.

different types of tests and are able to prepare for each type. 4.8% opted for never and 14.5% opted for always. 29.1% (the highest percentage) of students sometimes do not study much if they realize that tests are easy to pass. 24.5% opted for never and 9.5% opted for always.

Table 11: Preparation for exam

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
I start to prepare for the exams right from the beginning of the term	23.6	23.0	27.5	13.9	12.0
I start cramming just a few hours before the exam	13.9	11.8	29.3	27.5	17.5
I usually get a good rest at night prior to a scheduled exam	11.1	15.0	35.2	23.4	15.2
I understand the structure of different types of tests and am able to prepare for each type	4.8	12.7	42.0	25.9	14.5
When I realize that tests are easy to pass, I don't study that much	24.5	18.6	29.1	18.2	9.5

Concerning the second research question, Mann-Whitely Test was used to study the differences in study habits between male and female students. Table-12 below shows that there is a statistically significant difference between GPA of male and female students (at 0.01 level of significance) in favor of female students.

Table 10: Effort

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
If I have trouble understanding material in the course, I ask my teacher	13.2	19.5	28.9	21.4	17.0
If I have trouble understanding material in the course, I seek other material to help me	11.4	14.8	30.5	23.2	20.2
If I have trouble understanding material in the course, I try to ignore it	28.6	26.8	25.9	10.9	7.7

H. Preparation for Exam

As shown in table-11 below 27.5% (the highest percentage) of students sometimes start to prepare for the exams right from the beginning of the semester. Those who never make such preparation are 23.6% and those who always prepare from the beginning are 12%. Furthermore, 29.3% (the highest percentage) of students sometimes start cramming just a few hours before the exam. Those who opted for never in response to cramming just a few hours before the exam are 13.9% and 17.5% opted for always. 33% (the highest percentage) of students sometimes get a good night's rest prior to an exam. 11.1% opted for never and 15.2% opted for always. Their response to the fourth item shows that 42% (the highest percentage) sometimes understand the structure of

Table 9: Course materials organization

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
I often study in a haphazard, disorganized way under the threat of the next test	18.4	17.7	37.3	18.9	7.7
When reading, I can distinguish readily between important and unimportant points	4.1	12.7	31.6	31.4	20.2
I try to organize information in a systematic way	3.2	7.5	23.9	38.2	27.3

G. Effort

It is clear from table-10 below that 28.9% (highest percentage) of students sometimes ask their teachers while having trouble understanding the course material. Those who never do so are 13.2% and those who always do so are 17%. Furthermore, 30.5% (the highest percentage) of students sometimes seek other material if they have trouble understanding the text. Those who never do so are 11.4% and those who always do so are 20.2%. 28.6% (the highest percentage) of students never try to ignore the course material if they have trouble understanding it.

Table 8: Memorization

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
I use the newly learnt words/structures in speech and writing	3.9	17.5	35.5	28.9	14.3
I say the new words orally/ out loud again and again to learn/ memorize them (not used in context)	9.1	13.6	33.9	21.6	21.8
I memorize grammatical rules and definitions of terms without understanding them	30.0	22.7	24.3	15.5	7.5

F. Course Materials Organization

As shown in table -9 below 37.3% (the highest percentage) of students often study in a haphazard, disorganized way under the threat of the test. In contrast, those who never do so are 18.4%. The students who always study under the threat of an exam are only 7.7%. 31.6% (the highest percentage) of students can sometimes readily distinguish between important and unimportant points while reading. 4.1% never succeed in making such distinctions and 20.2% can always make distinctions between important and unimportant points. Responses to the third item shows that 38.2% (the highest percentage) of students often try to organize information in a systematic way whereas those who never do so are 3.2% and those who always do so are 27.3%.

Table 7: Concentration

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
I am satisfied with my level of concentration required for a task	6.1	16.1	39.1	27.5	11.1
I attend my class without being attentive	19.1	22.0	37.7	15.2	5.9
I read aloud to concentrate and understand	9.1	15.0	33.0	22.5	20.5

E. Memorization

Table-8 below shows that 35.5% (the highest percentage) of students sometimes use the newly learnt words/structures in speech and writing whereas those who never use such words/structures are 3.9%. Those who always use such words/structures are 14.3%. Also, 33.9% (the highest percentage) of students sometimes say the new words orally/ out loud again and again to learn/memorize them whereas those who never do such practices are 9.1%. Those who always do this drilling are 21.8%. In addition, 30% (the highest percentage) of students never memorize grammatical rules and definitions of terms without understanding them while only 7.5% always memorize without understanding.

Table 6: Punctuality and participation

Statement	Percentages of Responses				
	Never	Seldom	Sometimes	Often	Always
I come to my classes regularly	3.6	9.1	19.1	24.5	43.6
I always come to my classes on time	1.6	3.6	16.8	35.2	42.7
I volunteer answers to questions posed by instructors in the class	7.0	20.2	45.9	20.7	6.1

D. Concentration

Regarding concentration, table 7 below shows that 39.1% (the highest percentage) of students are sometimes satisfied with their level of concentration while dealing with a certain task whereas those who are never satisfied with their concentration are 6.1%. Students who are always satisfied with their concentration for achieving a task are 11.1%. Furthermore, 37.7% (the highest percentage) of students sometimes take their classes without being attentive. Students who attend their classes attentively are 19.1%. Those who always attend their classes and do not pay attention are 5.9%. Also, 33% (the highest percentage) of students sometimes read aloud to concentrate and understand. Those who opted for never in response to 'read aloud to concentrate and understand' are 9.1% and those who opted for 'always' are 20.5%.

B. Preferred Location

As for the preferred location for studying, table-5 below shows that 88.9% (the highest percentage) prefer to study at home. Also, only 1.8% of the students study in the university library and there is no significant difference between male and female students in terms of the preferred location for study.

Table 5: Preferred location for studying

Preferred location	Frequency	Percentage
At the library /university	8	1.8
Home	391	88.9
At a friend's house	12	2.7
Other places	29	6.6
Total	440	100.0

C. Punctuality and Participation

As shown in table- 6 below, 43.6% (the highest percentage) of the students always come to their classes regularly while 42.7% (the highest percentage) always come to their classes on time. Concerning participation, 45.9% (the highest percentage) of the students sometimes volunteer to answer questions posed by instructors in the class whereas those who never volunteer to answer are 7% and those who always volunteer are 6.1%.

As for time wasters/distracters, table-4 below shows that 42.5% of the students spend 1-2 hours daily with friends for fun. In contrast to this percentage only 17.3% of the students spend more than 4 hours a day with their friends. Concerning watching TV, 49.3% watches it for 1-2 hours a day. In contrast, 10.2% of the students spend more than 4 hours a day watching TV. Regarding surfing the internet, 46.4% browse the internet and use mobile phones for non-academic purposes for 1-3 hours every day. In contrast, only 25.7% spend more than 5 hours a day browsing internet and using mobile phones.

Table 4: Time wasters/ distracters

Time wasters/ distracters	Frequency	Percent
Time spent with friends for fun every day		
None	48	10.9
1 hour- 2 hours	187	42.5
3 hours-4 hours	129	29.3
More than 4 Hours	76	17.3
Total	440	100.0
Watching TV		
None	83	18.9
1 hour- 2 hours	217	49.3
3 hour- 4 hours	95	21.6
More than 4 hours	45	10.2
Total	440	100.0
Surfing internet and using mobile phone for non-academic purposes		
None	34	7.7
1 hour- 3 hours	204	46.4
3 hours- 5 hours	89	20.2
More than 5 hours	113	25.7
Total	440	100.0

A. Time Management

Concerning the preferred time for study, table-3 below clearly indicates that only 29.1% (the highest percentage) of students study only a day before the exam. We must also mention that only 23.9% of the students study more than one hour a day. Regarding the preferred time for study, 51.6 % (the highest percentage) of students study in the evening.

Table 3: Time management

	Frequency	Percent
Time for study		
Less than 1 hour	104	23.6
daily (regularly)	105	23.9
More than 1 hour	128	29.1
daily (regularly)	103	23.4
Only a day before the exam (any number of hours/day)		
Only a week before the exam (any number of hours/day)		
Total	440	100
Preferred time for study (Time of the day)		
Early in the morning	57	13.0
	103	23.4
In the afternoon	227	51.6
In the evening	53	12.0
After midnight		
Total	440	100

To interpret the output, we followed the rule of George and Mallery (2003) as given in (Gliem & Gliem, October 8-10, 2003):

> .9 (Excellent), > .8 (Good), > .7 (Acceptable), > .6 (Questionable), > .5 (Poor), and < .5 (Unacceptable)

Sample:

As shown in table-2 below, the sample consists of 440 respondents (219 male students and 221 female students). Male respondents were randomly selected from students of level 3-8 of the Department of English, Faculty of Languages and Translation, and female respondents were randomly selected from level 3-8 students of the Department of English, Faculty of Letters and Education.

Table 2: Description of the study sample

	Variable	Frequency	Percentage
Sex	Male	219	49.8
	Female	221	50.2
GPA	Less than 2	13	3.0
	2 - 2.99	174	39.5
	3 - 3.99	184	41.8
	4 – 5	69	15.7
Level	3 – 4	147	33.4
	5 – 6	146	33.2
	7 – 8	147	33.4

4. Findings:

Regarding the first research question related to the general study habits of students at the Department of English the following frequencies and percentages were calculated:

3.1. Validity and Reliability of the Questionnaire:

3.1.1. Validity:

The questionnaire was given to five distinguished referees for testing its validity, and it was modified in the light of their feedback as follows:

- Certain items of the questionnaire were rephrased and some others were deleted.
- The social factors were limited to encouragement from the society, encouragement from peers, financial difficulties and frequent visitors at home.

3.1.2. Reliability:

Then the questionnaire was given to 37 students in order to judge its reliability. Alpha was calculated by the use of the Statistical Package for Social Sciences (SPSS) and the result is shown in table -1 below:

Table 1: Reliability of the questionnaire

S. No.	Part	Alpha
1	Part 1	.71
2	Part 2	.75
3	Part 3	.80
Average		.75

The obtained data score is 0.75 which indicates that the scale has an acceptable internal consistency reliability. So it is not necessary to delete any of the items to improve the reliability score of this scale.

more encouragement to read consistently from their families than from their schools. Only 41% reported that reading for pleasure was often or always encouraged at school versus 59% who stated that it was never, rarely or sometimes encouraged. At the same time 54% of the participants said that reading for pleasure was often or always encouraged at home. Only 45% of the respondents reported that their parents never or rarely encourage it. Our study seeks to represent the real situation regarding the general study habits of the selected population of students. It also compares the study habits of male and female students and explores the relationships between study habits, achievement and certain social factors. In order to get a comprehensive view both male and female students have been selected from three different levels of the English program at KKU, and they are given almost equal representation in the population of this study. Though students' general study habits are also influenced by many psychological factors, they are not included in this study as they can constitute the subject of another independent research.

3. Methodology

This research uses the descriptive analytical method. A questionnaire is developed and circulated to randomly chosen male and female respondents at level 3, 4, 5, 6, 7 and 8 of the English Department at KKU for the purpose of data collection. This questionnaire is divided into three parts (see appendix). The first part of the questionnaire is related to certain variables, namely, sex, level, and GPA. The second part consists of questions related to students' general study habits and the third part has four items related to social factors.

to read and reading environment at home. The research findings showed that students who receive more encouragement from their parents were more exposed to reading habits. This study also supported the theory that emphasizes the importance of conducive environment to develop good reading habits. The research established that family factors influence pupils' reading habits strongly and positively.

Afful-Broni & Mawusi (2010) stated in their study that “students perceive and learn in different ways likewise they study in different ways” and they “may have different learning styles. Some prefer to learn alone while others learn better in groups. They will also prefer to use specific study habits or skills while others may not.” (Afful-Broni & Mawusi, 2010, 58) They ended their study with some recommendations emphasizing that “Guidance and Counseling Coordinators should endeavor to organize programs such as open forums, workshops and seminars on study habits and how to learn for teachers and particularly for students to improve their academic performance in the school.”

Aquino (2011) stated that “students generally do not approve teachers’ methods and classroom management. Also, high achievers have better study habits than low achievers.” He ended his study with a number of suggestions of which the most important is: creating classroom environment which is conducive to learning. Aquino also suggests that academic counselling must be enforced among teachers.

Bendriss (2011) in his study on “early reading habits and its effects on the reading literacy of Qatari undergraduate students” came to the conclusion that the students received

learning English. Also, there was a statistically significant correlation between students' grades and their attitudes towards learning English. The findings showed that most students had moderate level of motivation to learn English. The general study habits included getting help outside school, watching films, using the internet, attending classes, taking notes, revising just before the exams, speaking to native speakers and studying from a variety of exercise books. The results of the general study habits showed that highly motivated students had higher levels of study habits. In addition, highly motivated students displayed higher levels in reading, speaking to native speakers, studying from a variety of exercise books including grammar, vocabulary and reading exercises.

Fuente et al (2009) in "Research on Action–Emotion Style and Study Habits: Effects of Individual Differences" used the Study Habits Inventory. This instrument evaluates study habits from a behavioral and organizational perspective (place, type of room, study conditions, aloneness, and use of library material) and study planning habits (fixed schedule, study plan, minimum amount of study time per week). The findings showed that behaviors referring to action-emotion styles, study habits and academic performance are interdependent.

Study habits involve a lot more than an individual student's study behaviour and the influence of the educational institution he/she is studying in. Yusof's study (2010) highlighted the influence of family factors (social factors) on reading habits among primary school students in Malaysia. The family factors considered in the study, in addition to other elements, included parents' educational qualification, parents' encouragement

listed the following unsuccessful study habits which students with the lowest levels of foreign language performance reported: (1) they frequently included a lot of irrelevant or unimportant information in their notes; (2) when they had difficulty with their assignments, they did not seek help from their instructor; (3) they put their lecture notes away after taking the test and never consulted them again; (4) they tended to daydream when they were trying to study; (5) they did not look up the meaning of words they did not understand in a dictionary. (Bailey, and Onwuegbuzie, 2001).

Students are in need of guidance with regard to study habits. Chaudhry (2006) studied the effect of guidance services on study attitudes, study habits and academic achievement of secondary school students in Lahore, Pakistan. The results of the study showed that guidance services had significant effect on students' attitude, study habits and academic achievement.

Other studies are also available that dealt with ineffective study habits. Franklin's study (2006) described the study habits of undergraduate education students. Thirty volunteers participated in this study and they were asked to complete a 15-item questionnaire. The results showed that students do not always practice effective study habits. Most responded that they study with the TV or radio on. Moreover, the majority of the students spend hours cramming the night before an exam. Also, they spent most of the time for studying at home.

Çolak (2008) investigated second-year university students' attitudes towards English and their general study habits with respect to their motivation levels. The results demonstrated that participants had moderately positive attitudes towards

show that on weekdays high achievers used the office by 18%, whereas low achievers by 12%. 51% of high achievers and 57% of low achievers spent less than 5 hours studying during the week. Also, 9% of high achievers and 7% of low achievers read material without taking notes. In addition, high achievers utilize their weekend to study for longer periods than the low achievers. High achievers also used strategies to deepen their learning.

Duration of studies plays a vital role as it directly impacts the achievement of students. There are other studies which also dealt with the same issue. Kaur & Thiyagarajah (2000) studied the reading habits of students enrolled for the Bachelor of Arts in English Language and Literature Studies (ELLS) programme at the School of Humanities in Malaysia. The results revealed that many students preferred spending as much as 3-5 hours per week on reading. The responses of students indicate that 69.8% spent 3-5 hours per week on reading literary works (i.e. poetry and drama) and ELT books, 28.6% newspapers, 25.4% novels, and 25.4% responded 'non-applicable' regarding the frequency of reading novels. Also, it was revealed during the structured interviews that students faced tremendous problems in reading literary texts. These problems were caused by their inability to recall information, new terminology, inability to concentrate, and regressive reading habits. The findings of this study concluded that ELLS students need to improve their reading habits.

However, duration is not the only factor. There are study habits which are considered as unsuccessful by some researchers. In 2001, Bailey and Onwuegbuzie's study 'Unsuccessful Study Habits in Foreign Language Courses'

1.3.Study Questions:

This research aims to answer the following questions:

- 1.3.1. What are the general study habits of female and male students at the English Department, King Khalid University?
- 1.3.2. What are the differences, if any, between the study habits of male and female students?
- 1.3.3. Is there a relationship between students' grade point average (GPA) and their general study habits?
- 1.3.4. What is the relationship between study habits and certain social factors such as encouragement from the society and peers, financial difficulties and frequent visitors?

1.4.Scope and Limitations of the Study:

This study describes the general study habits of EFL students at KKU. Concerning male students, the sample was drawn randomly from the English Department, Faculty of Languages and Translation in Abha, while the sample of female students was drawn randomly from students of the English Department, Faculty of Letters and Education in Khamis Mushayt. In both cases, first year students (Level 1 and 2) were not included in the study. The social factors in this study are limited to encouragement from the society and peers, financial difficulties and frequent visitors.

2. Review of Related Literature:

Chan et al (1999) conducted a study at The Open University of Hong Kong to compare the study habits and preferences of high and low achieving students. The results

- 1.2.2. Understanding students' study habits is the first step towards promoting the formation and enhancement of effective study habits.
- 1.2.3. Understanding the study habits of the students would help teachers to choose or write textbooks suitable for the students' needs.
- 1.2.4. Understanding of study habits will help decision-makers in the field of language planning to take the appropriate decisions regarding teaching English as a foreign language.
- 1.2.5. It is of profound importance to understand the relationships between the study habits of students and encouragement from the society and peers, financial difficulties and frequent visitors. "Experts are agreed that great success in the field of knowledge is attributed to good and consistent study habits." (Bajwa et al., 2011, 175)
- 1.2.6. The findings will help us to pinpoint positive study behaviors of the student and will also help identify the negative aspects that hinder learning. Since no research, to the best of our knowledge, has been done on this particular topic in relation to the context of Saudi Arabia, we believe that the findings of this study will be a valuable addition towards the improvement of study habits of EFL students in this country.
- 1.2.7. The results of the present study can be used in academic counseling and orientation programmes.

addition, academic difficulties may be caused by lack of good study habits “students at colleges and universities may experience academic difficulties not due to lack of ability, but rather due to the lack of effective study behaviors.” (Garcia, 2006, 5). Furthermore, time wasters need to be avoided and students should be trained on using time effectively.

1.1.Statement of the Problem:

As teachers we noticed that some of the undergraduate university students excel in English whereas others find learning English a daunting task. In addition, many students are well organized, punctual, attend their classes regularly, and follow a study plan. On the other hand, there are students who miss many classes, are always late, rarely do their assignments, and cram immediately before the exams. "Moreover, a positive relationship between study skills and academic performance has been reported consistently in the literature." (Bailey and Onwuegbuzie, 2001). This study aims at describing the general study habits of students enrolled in the English Department at King Khalid University (KKU) in Saudi Arabia, and exploring the relationship between students' study habits, achievement, gender, and certain social factors such as encouragement from the society and peers, financial difficulties and frequent visitors.

1.2.Significance of the Study:

The significance of the present study stems from the following factors:

- 1.2.1. The student is the center of the teaching-learning process and understanding the variables related to the learner would help teachers to improve the quality of language learning in KKU.

1. Acquire information about the subject from a variety of sources.
2. Tie the new information to the old bodies of knowledge.
3. Make new information personal.
4. Actively use the new knowledge.

The main task of educators is to teach their students how to study and not to encourage them to memorize only. When students learn how to study they learn how to think. "In learning to study, you are learning to think and to live. When students do not learn how to study, the biggest job of their education is left undone." (Kornhauser, 1993,10). Garcia quotes Gettinger & Seiber (2002) as she points out that to have good study habits "a student should first learn how to study, decide about the use of various study skills, and take charge of his/her own learning." (p. 8)

A "positive example" of effective study habits, as Eileen Garcia (2006) asserts by quoting Woolfolk (2004), is that "it might be a student first deciding to study every night and then employing a combination of mnemonics for memorizing key terms, skimming text material to ascertain organizational patterns and jotting down answers to possible exam question." (2006: p 7)

Bad Study Habits:

In general, some factors are considered to have negative effects on study habits. These negative social and academic factors can be resolved by helping students understand and improve their study habits. As study habits improve, a positive change in the students' achievement can be expected. Chaudhry comments: "better study habits and study skills lead to better achievement scores." (Chaudhry, 2006, 36). In

Nonis & Hudson state that "the ability to concentrate always influenced student performance in a positive way. Also, study time had more of an influence on student performance when students were able to concentrate." (Nonis & Hudson, 2010, 236) Although study time is an important factor in learning, we have to keep in mind that study time is not a quantity issue. Nonis & Hudson further comment that "truly studying may not simply be a quantity issue; there are qualitative techniques, such as good study habits, that can make study time effective for students." (2010, 236). The authors of this paper have noticed that many college students fail to use time properly or simply cannot decide on the amount of expected study time to elicit high or moderate achievement. "Generally it is expected that students spend two hours on self study for every hour spent in class." (Bajwa et al., 2011, 176). Students whose command on English is not up to the mark should study longer to make up for the dearth.

Good study habits also involve avoiding distractions. The student's study area should be cleared of all sorts of distractions such as TVs and game systems. Some students would argue that they prefer to study with their favorite music or TV on although as teachers we believe that one should study in a quiet, well-lighted place, free from distractions. It is advisable to place the study area away from the entertainment area or to make sure that all of the modes of entertainment are switched off. (O'Hara, 2005, P. 31).

Learning to study effectively requires students to develop a desire to study. To develop an interest in learning students need to follow the following rules: (Kornhauser, 1993,13)

"college students with high levels of overall academic achievement tend to have more effective study habits than do low-achieving students with respect to study techniques, time management, and attitudes towards learning."

(Bailey and Onwuegbuzie, 2001).

A successful study session involves preparation. The student has to get himself/herself ready so that he/she can start off well. This means the student needs to collect and prepare all the things he/she needs for the task. The student also needs an appropriate place to settle down with the task at hand. To further add, Wood (2000), believes that the most important of all the ingredients for an effective and fruitful study session is mental readiness of the student to initiate the study. A student who is disciplined in his adoption and utilization of study habits has higher chances of advancing in the field of knowledge.

The ability to concentrate is one of those effective study habits which can influence the performance of the student. Comprehension is integrally correlated to the ability to concentrate "this requires one not to be hurry in getting through instead sustained concentration is necessary." (Bajwa et al, 2011, 175). We can learn to concentrate by learning to overcome all kinds of distractions and this can be achieved by following these rules: (Kornhauser,1993, 18-19)

1. Study in a quiet place, whenever possible.
2. Make sure that your place of study is properly lighted, heated, and ventilated.
3. Arrange your chair to avoid strain and fatigue.
4. Keep yourself in good physical condition.
5. Get sufficient sleep so that you feel adequately rested.

regularly present in classes and someone who arrives at classes on time, participate in class discussions and asks questions, asks for extra help, does his/her assignments on time and is prepared for tests. In their research, Nonis and Hudson show that "the relationship between ability and student performance was stronger for students who spent more time studying outside of class than for students who spent less." (2010: p. 231) Nonis and Hudson also proposed that "study habits (as one aspect of quality of studying) would also moderate the relationship between study time and student performance. That is, the influence that the quantity of study time has on academic performance was expected to be stronger for students who use good study habits more often compared to those students who use them less often." (2010: p 231)

Some researchers also tend to believe that knowing the study habits of students helps to predict their academic achievement: "although not every learning strategy or study habit produces useful results in terms of academic achievement, it would be expected that students who possess good study habits in general are better performers than are those students with poor study habits." (Nonis & Hudson, 2010, 230). Then, Nonis and Hudson opine that better academic results are related to good study habits.

Good Study Habits:

Good study habits are also called effective study habits. Good study habits tend to have a significant effect on students' academic achievement. "Good study habits are perceived to be the determinants of the academic performance. That is why efforts are made to develop and improve study habits in students." (Chaudhry, 2006, 37). Many researchers state that

number of hours they spend studying per week and organization of course materials. Crede & Kuncel distinguish between the concept of study skills and study habits as they opine:

Study skills refer to the student's knowledge of appropriate study strategies and methods and the ability to manage time and other resources to meet the demands of the academic tasks. Study habits typically denote the degree to which the student engages in regular acts of studying that are characterized by appropriate studying routines occurring in an environment that is conducive to learning. (Crede & Kuncel, 2008, 427)

Garcia (2006) also, to add to the distinction between study skills and study habits, points out that "study skills are the specific techniques that make up the study plan." (P. 7) In contrast, study habits, "constitute the overall approach itself." (P. 7).

The authors of this paper believe that study habits include time management, preferred time for studying, time wasters/distracters, preferred location, punctuality and participation, concentration, memorization, course materials organization, effort, and preparation for exam.

Bajwa noted that sound and persistent study habits have many advantages: "they reduce test anxiety, enhance student's ability, improve his performance and develop confidence in him" (Bajwa et al., 2011, 176). O'Hara (2005) observes that instructors often think of a good student as honest, polite,

Keywords: Study habits, time management, course materials organization, preparation for exam, social factors.

1. Introduction:

The process of learning involves many factors, such as self-confidence, intelligence, aptitude, motivation and learning styles. Furthermore, Thomas et al. mention that “the act of studying involves a complex interaction of different variables that a student may engage in for various purposes.” (in Okpala et al, 2000, p. 219). One of these significant factors is learners’ study habits. The importance of study habits can be gauged from the findings of a number of studies (Hogan & Hendrickson, 1983; Vazquez, 2000; Azikiwe, 1998; Chaudhry, 2006; Garcia, 2006; Igun & Adogbeji, 2007; Crede, 2008).

While discussing the relationship between study habits and academic performance, it should also be noted that high positive correlation can be seen between study habits of students and their academic performance. Nonis and Hudson mention that “... the study habits or strategies that students use to learn, such as paying attention in class, being on time, taking good notes, completing homework in a timely manner, and reading the study material before a lecture, ... are likely to impact their performance.” (2010: p. 230).

Good (1973) defines study habits as "the students way of study whether systematic, efficient, or inefficient etc." (in Chaudhry, 2006, 37). Also Robbins et al. (2002) define study habits as “those activities necessary to organize and complete schoolwork tasks and to prepare for and take tests” (in Magno, 2010, 40). According to Chan et al. (1999), the study habits of students include preferred location, time for studying, the

**العادات الدراسية العامة للطلاب المتخصصين باللغة الانجليزية
في جامعة الملك خالد وعلاقتها بالتحصيل والجنس وبعض العوامل الاجتماعية
د. إسماعيل الرفاعي وآخرون**

ملخص البحث بالعربية

لوحظ أن بعض الطلاب يتميزون في تعلم اللغة الإنجليزية، في حين يتعثر بعضهم الآخر في تعلم هذه اللغة، ويجدها مهمة عسيرة. وقد بينت الأدبيات ذات الصلة أن ثمة ترابطاً إيجابياً بين العادات الدراسية والإنجاز. وتصف هذه الدراسة العادات الدراسية العامة للطلاب المتخصصين باللغة الانجليزية بجامعة الملك خالد في المملكة العربية السعودية وعلاقة تلك العادات الدراسية بالتحصيل والجنس وبعض العوامل الاجتماعية. وقد تألفت عينة الدراسة من (٤٤٠) طالبا (٢١٩ ذكور و ٢٢١ إناث)، حيث قام أفراد العينة بالإجابة عن استبانة تتألف من (٣٣) بنداً. وقد أظهرت النتائج أن غالبية الطلاب يدرسون بطريقة غير منظمة ويلجئون إلى أسلوب الدراسة السريعة قبيل الامتحانات، كما أن الطلاب الذين يواظبون على المحاضرات ويشاركون في الأنشطة الصفية كان إنجازهم أفضل من إنجاز أقرانهم. كما تبين أيضاً أن هناك ترابطاً دالاً إحصائياً بين تأثير المجتمع والأقران وبعض العادات الدراسية، مثل المواظبة، والمشاركة في الأنشطة الصفية، وبذل الجهد والإعداد للامتحانات. وانتهى البحث بعدد من الاقتراحات جاء في مقدمتها حاجة الطلاب الى التوجيه والإرشاد.

The General Study Habits of Major EFL Students in King Khalid University and their Relationships with GPA, Gender and Certain Social Factors

Dr. Ismail Khalil Alrefaai et al.

ABSTRACT

The authors of this paper as teachers at the English Department, King Khalid University (KKU), have observed that some students excel in English, whereas, others find learning English a daunting task. Related literature has shown that there is a positive correlation between study habits and achievement. This study attempts to describe the general study habits of major EFL students in King Khalid University, Saudi Arabia and their relationships with students' GPA, gender and certain social factors. The sample consists of 440 students (219 male and 221 female students). The participants completed a 33-item questionnaire. The results indicate that the majority of students study in a haphazard, disorganized way and they just cram before exams. Students who attend their classes regularly on time and participate in classroom activities were better achievers than their counterparts. Also, there is a highly significant correlation between society and peers encouragement and certain study habits, such as, punctuality and participation, effort, and preparation for exam. This study concludes with a number of practical suggestions, the most important of which is the students' need for guidance and counseling.

The General Study Habits of Major EFL Students in King Khalid University and their Relationships With GPA, Gender and Certain Social Factors

Dr. Ismail Khalil Alrefaai

Assistant Professor, English Department,
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Salahud Din Abdul Rab

Lecturer, Department of English,
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Muhammad Saiful Islam

Lecturer, Department of English,
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

CONTENTS

- **The General Study Habits of Major EFL Students in King Khalid University and their Relationships With GPA, Gender and Certain Social Factors**
Dr. Ismail Khalil Alrefaai & Salahud Din Abdul Rab & Muhammad Saiful Islam 9-63



UMM AL-QURMA UNIVERSITY JOURNAL FOR LANGUAGES & LITERATURE

Aims and Scope

The journal is a referred scientific periodical, issued biannually by Umm Al-Qurma University. It aims at publishing original academic works in the fields of languages & Literature. It accepts book reviews, funded research reports, recommendations of conferences, symposia and academic activities, and dissertation abstracts. Researches in both Arabic and English from Umm Al-Qurma University and elsewhere are accepted, on condition that they have not been published or being presented to be published in another publication. All researches are to be reviewed by the editors and referred by specialists in the fields.

Board of General Supervision

Dr. Bakry bin Matuq Assas

Chancellor, Umm Al-Qurma University

Dr. Hany A. Ghazi

Vice-Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor in Chief

Prof. Abdulrahman H. Al- Aref

Editorial Board:

Prof. Sulieman Alayed

Prof. Saad Alghamdi

Prof. Dakheelallah Alsahafi

Dr. Muhammad Alqurashi

Dr. Dhafer Alamri

Dr. Abdullah Alqarni

Dr. Fahad Alqurashi

Dr. Afaf Khoger

Dr. Mariam Alqahtani

In the Name of Allah
The Most Gracious The Most Beneficent

PUBLICATION NOTES

1- Materials submitted for Publication in *Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature* (UQUJLL) will be accepted according to the followings:

- a) Four paper copies of the manuscript, and a CD copy are required.
- b) The manuscript should be double-spaced, written in Microsoft Word, using Times New Roman Font, size 16 on A4 paper-size. Manuscript length should not exceed 40 pages, including tables, figures and references.
- c) Tables and Figures should be presented on separate sheets, with their proper text position indicated in the original manuscript.
- d) Abstracts in both Arabic and English within 200 words each should be submitted.
- e) Author's name and affiliation should be written on a separate sheet along with a brief CV. A signed consent from the author(s) that the manuscript has not been published or submitted to another publication.
- f) Original figures should be presented on a CD, using appropriate computer software.

2- All references within the text are to be cited according to the followings; Last name of the author, year of Publication, and page number(s) when quoting directly from the text. For example, (Abu Zaid, 1425, p.15). If there are two authors, last names of both authors should be provided for example, (Al-Qahtani & Al-Adnani, 1428, p.50). In case there are more than two authors for the same reference, citation should be in the following form: (Al-Qurashi et al., 1418, p.120). Citations of two references for two authors should be as follows: (Al-Makki, 1425; Al-Madani, 1427) while citation of two references for one author having the same year of Publication should take the form (Al-Mohammady, 1424a, 1424b).

3- All references are to be listed sequentially at the end of the manuscript in an alphabetical order, according to the author(s) last name(s), followed by the first name(s) or their abbreviations; the book title (underlined), or the article title (between quotations). The number of the edition, name of the publisher (for books) or journal, place of publication (for books), and year of publication. For articles, the volume of the journal; or the year, number, and page numbers should be provided.

4- Authors will be provided with 20 reprints, along with a copy of the journal's volume in which the work appears. A free of charge copy will also be forwarded to book reviewers & report dissertation abstract writers.

Correspondence: All correspondences and subscription requests should be addressed to: *Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature* (UQUJLL). Umm Al-Qura University. P.O.Box 715 Makkah, Saudi Arabia.

E-mail: jll@uqu.edu.sa

Exchanges and Gifts: Requests should be directed to: Deanship of Libraries Affairs. Umm Al-Qura University. P.O. Box 715 Makkah, Saudi Arabia.

Copyrights: Materials published in UQUJLL solely express the views of their authors, and all rights are reserved to Umm Al-Qura University Press.

Subscriptions (Annual) fees: Seventy-five Saudi Riyals, or twenty US dollars (price per issue + shipping & handling).

Notification: The current Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature (UQUJLL) used to be part of Umm Al-Qura University Journal of Shariah & Islamic Studies.

ISSN: 1658 / 4694



Umm Al-Qura University
Journal of Languages & Literature

Volume No. 10

Rajab 1434Ah. May . 2013